

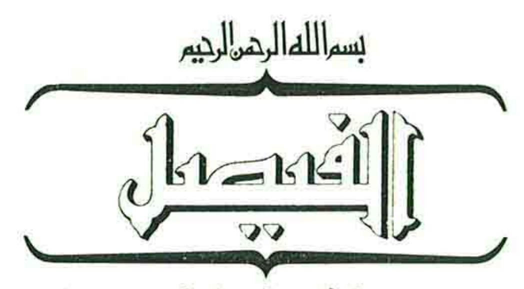
مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 50 JUNE 1981.

العدد (٥٠) ـ شعبان ١٤٠١ هـ السنة الخامسة ـ حزيران (يونيو) ١٩٨١ م

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

العدد (٥٠) شعبان ١٤٠١ هـ السنة الخامسة - حزيران (يونيو) ١٩٨١ م

هذا العدد

★ مدينة بريدة .. بلد الرمال والخضرة والماء .. أين موقعها؟ ما سبب تسميتها؟ أسوارها وقلاعها؟ ما مكانتها في منطقة نجد ماضياً وحاضراً؟ ما معالم الماضي ومظاهر الحاضر فيها؟ طالع ص (٣٥) ★



★ من أجل التعرف والحفاظ على ثروة المملكة من الحيوانات البرية .. أجريت دراسة ميدانية في أول رحلة علمية استكشافية إلى جنوب المملكة تم خلالها تتبع أسراب قردة السعدان البرية، ومعرفة أنواعها، ودراسة سلوكها وتنظيمها الإجتماعي ونشاطها اليومي. طالع ص (١١٢) ★



★ واحد من معالم الفن التشكيلي في مصر. تخصص في التصوير وجعل من الوجه الإنساني محور إهتماماته. تخرج في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة. لم يتعد إنتاجه مدرستين من مدارس فن التصوير هما الواقعية والتأثيرية.

إنه الفنان التشكيلي «صبري راغب». طالع ص (١١٨) ★





صالح سليمان الوشمي

★ من مواليد مدينة «بريدة» ــ القصيم في المملكة العربية السعودية عام ١٣٦٢ هـ .

★ بكالوريوس كلية الآداب ــ جامعة الرياض .

★ عمل مديراً لشؤون الموظفين في مستشفى بريدة المركزي ، ثم موجهاً للوسائل التعليمية بإدارة التعليم في بريدة .

★ يعمل حالياً موجهاً تربوياً لمادة الاجتماعيات بإدارة تعليم البنين في بريدة .

★ له كتاب مطبوع بعنوان «أبو مسلم الخراساني ــ صاحب الدعوة العباسية» ، وله عدد من المخطوطات .



علي أحمد علي النعمي

★ من مواليد ضمد ــ جيزان في المملكة العربية السعودية عام ١٣٥٦ هـ .

★ ليسانس لغة عربية .

★ عمل في الصحافة فترة من الزمن في كل من الدعوة ، واليمامة ، والرياض ، والبلاد .

★ عمل في حقل التدريس .

★ يعمل الآن مديراً لمدرسة متوسطة حرجة ضمد ــ جيزان .

★ اشترك في مهرجان الشباب العربي الثالث في بغداد بقصيدة شعرية فازت بالمركز الثالث .

★ له ثلاثة دواوين شعرية مخطوطة ، ومجموعة مقالات متناثرة لم تطبع .



إبراهيم السمان

★ من مواليد القدس ــ فلسطين عام ١٩٢٨ م .

★ صحافة ، اجتماع ، دراسات خاصة في الأدب العربي ، وكتابة وإنتاج وإخراج البرامج الإذاعية والتليفزيونية .

★ عمل مديراً لإذاعة القدس ، فمديراً للعلاقات العامة في إذاعة الأردن .

★ يتولى حالياً منصب وكيل وزارة الإعلام المساعد في الأردن .

★ حضر عدداً من المؤتمرات .

★ له عدد من المؤلفات المطبوعة ، وله مساهمات في الكتابة للصحف والمجلات ، والإذاعات العربية .

★ عضو رابطة الكتّاب الأردنيين ، والهيئة الإدارية لجمعية أصدقاء بنك العيون الأردني ، والهيئة الإدارية لجمعية بنك الدم الأهلية .





د . إسحاق أوغنبية

★ من مواليد عام ١٩٤١ م ، في مدينة (الارو ILARO) في نيجيريا .

★ بكالوريوس ــ اللغة العربية وآدابها ــ جامعة (إبادان IBADAN) .

★ دكتوراه ــ كلية الدراسات الشرقية والإفريقية .

★ نشرت له عدد من المقالات ، وطبعت له عدد من الكتيبات .

★ يعمل حالياً محاضراً أول في قسم اللغة العربية والثقافة الإسلامية ــ جامعة إبادان .



إسماعيل ولي الدين



★ ولد بالقاهرة ، والتحق بكلية الهندسة جامعة القاهرة وتخرج فيها عام ١٩٦٦ م .

★ كتب الرواية والقصة القصيرة ، وصدرت له حتى الآن اثنتا عشر رواية .

★ من أشهر رواياته : حمام الملاطيلي ، والأقمر ، وحمص أخضر ، والباطنية ، والسلخانة ، ورحلة الشقاء والحب ، والكلاب والبحر .

★ قدمت له السينما خمس قصص من أعماله .

★ أعدت له رواية السلخانة إعداداً مسرحياً ، وقدمت على المسرح القومي بالقاهرة .

* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة.. وندوات.. ومؤتمرات.. ومعارض.. ومناسبات.. وأحداث ثقافية.. وادبية.. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني.

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية.. والتربوية.. والفنية.. الى جانب الأدباء.. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء.. لإضافتها الى ما يرودنا به مندوبونا، والله الموفق **



- موسوعة علمية عن مكة المكرمة.
- وفاة الشاعر السعودي أحمد بن إبراهيم الغزاوي.
- معرض لكتاب الطفل يقام في الرياض.
- وفاة القاص العراقي موفق خضر.
- صدور مجلة للعلوم الإنسانية في الكويت.
- إكتشافات أثرية في عُمان.



- معاني القرآن الكريم تترجم إلى البولندية.
- مجلد عن بلدان الخليج العربي يصدر في المانيا.
- معرض لأعمال الرسام العالمي «ليوناردو دافنشي» يقام في نيويورك.
- قصائد الشاعر بدر شاكر السياب تترجم إلى الفرنسية.
- رواية فلسطينية تترجم إلى الروسية.



مسابقة ثقافية

أعدّ **مكتب التربية العربي لدول الخليج مسابقة ثقافية لطلاب الجامعات** في المواضيع الآتية :

★ دور الجامعات في تطوير المجتمع في دول الخليج .

★ دور الطالب الجامعي المسلم أمام الأطماع الأجنبية في منطقة الخليج العربي .

★ الصهيونية العالمية « أطماعها ، أساليبها ، كيفية مواجهتها » .

وسيشارك **الطلاب الفائزون** بهذه المسابقة **في ندوة تعقد** خلال (الأسبوع الثقافي الفني) **بجامعة بغداد** من شهر فبراير (شباط) عام ١٩٨٢ م ، حيث سيتم استعراض هذه الأبحاث في ندوة ثقافية وحفل تكريمي لهؤلاء الفائزين من الجامعات المشاركة مع توزيع جوائز تقديرية عليهم .



★ أبو عبد الرحمن ابن عقيل ★ ★ د. محمد بن سعد بن حسين ★

موسوعة علمية عن مكة المكرمة

اهتماماً بقبلة المسلمين تجري الاستعدادات لإصدار **موسوعة علمية ضخمة عنها** تتضمن الجوانب السياسية والتاريخية والاجتماعية والعمرانية والاقتصادية ، وكذا عادات سكان أم القرى وتراثها القديم ، **وستكون** هذه الموسوعة **في ستة مجلدات** يشترك في إعدادها نخبة من المؤلفين في تجميع المعلومات وإعدادها وذلك تحت **إشراف أمانة مكة المكرمة** .

معرض الفن السعودي المعاصر

أقيم **معرض للفن السعودي المعاصر بقاعة الفنون** التابعة **لرئاسة رعاية الشباب بالرياض** اشترك فيه أكثر من سبعين فناناً وفنانة من مختلف أنحاء المملكة ، هذا وقد وزعت في نهايته جوائز تشجيعية على الفائزين حيث استمر هذا المعرض عشرة أيام .

معرض لكتاب الطفل

بمناسبة **أسبوع الطفل المعوق** والذي **أقيم بكلية التربية**

وفاة الشاعر الغزاوي

انتقل إلى رحمة الله تعالى **الشاعر السعودي الكبير أحمد إبراهيم الغزاوي** عن عمر ناهز الثلاثة والثمانين عاماً . .

فقد ولد في **مكة المكرمة** عام ١٣١٨ هـ . وتلقى علومه بالمدارس الأهلية (**المدرسة الصولتية . . والمدرسة الخيرية . . ومدرسة الفلاح**) .

عمل في عدة وظائف ، تولى **الكتابة في وزارة الأوقاف** من شوال ١٣٣٤ هـ ، إلى غرة محرم ١٣٣٥ هـ ، **وسكرتارية مجلس الشورى** ، والخلافة . . كما **حاز على ثلاثة أوسمة** في هذه الفترة .

ثم تولى **رئاسة ديوان رئاسة القضاء ، ثم معاوناً لمدير الطبع والنشر** ، ثم سكرتيراً لمجلس الشورى ، فعضواً فيه ، **ثم نائباً ثانياً لرئيس مجلس الشورى** ، ثم نائباً للرئيس وحده من عام ١٣٧٣ هـ ، إلى عام ١٣٨٦ هـ .

في عام ١٣٥١ هـ ، حاز **لقب شاعر جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله** ، وحاز عدة أوسمة من بعض الأقطار



★ أحمد إبراهيم الغزاوي ★

العربية ، كما حاز رتبة **وزير مفوض من الدرجة الأولى** عام ١٣٧٣ هـ .

رأس تحرير كل من **جريدة « أم القرى » ، ومجلة « الإصلاح » ، وجريدة « صوت الحجاز »** .

نشرت أعماله الشعرية التي تميزت بطولها محاكياً بذلك الحوليات في الأدب العربي في الصحف المحلية ، كما نشرت له قصائد ، ومقالات نثرية في بعض الصحف العربية .

اشتهر بقصائده التي كان يلقيها في المحافل الرسمية الكبيرة أمام الملك وضيوفه من رؤساء الدول العربية والإسلامية في المناسبات ، مثل مناسبة (**عيد الأضحى**) ، والمناسبات الوطنية ، حتى أنه أصبح تقليداً أن يلقي الشاعر الغزاوي قصيدة في مثل هذه المناسبات .

أختير كرائد **من رواد الأدب**

التابعة لجامعة الرياض بالرياض أقيم معرض لكتاب الطفل نظمته **اللجنة الثقافية والفنية** بنفس الكلية وبالتعاون مع **وزارة الإعلام وعدد من الشركات** المحلية للنشر مثل (**شركة عكاظ**) وكذا (**الشركة العالمية للكتاب**)، استمر هذا المعرض أسبوعاً واحتوى على أكثر من عشرة آلاف عنوان ووصل التخفيض للأطفال إلى نسبة ١٠٪ إلى ٢٠٪ من قيمة الكتاب.

القرآن الكريم في مسابقة

اهتماماً بكتاب الله الكريم أعلن (**نادي المدينة المنورة الأدبي**) عن **مسابقته السنوية** الكبرى **لحفظ القرآن** وذلك للعام الرابع على التوالي وستقام هذه المسابقة في العشر الأول من رمضان المقبل بمقر النادي وذلك ضمن شروط معينة أهمها:

★ أن يكون المتسابق من منطقة المدينة المنورة والشمال.

★ أن لا يزيد عمره على ٢٥ سنة.

★ أن يكون المتسابق حافظاً للمقدار المحدد حفظه في المرتبة التي يشترك فيها.

★ إذا كان في مرتبة من المراتب المعدة للمسابقة لا يحق له الإشتراك في غيرها.

★ المشتركون سابقاً لا يحق لهم دخول المسابقة.

كما لا يحق للفائزين في المسابقات القرآنية التي أجرتها الجامعات الاشتراك في مراتب المسابقة المماثلة للمراتب التي فازوا بها ولا التي دونها

السعودي في مؤتمر الأدباء السعوديين الأول الذي نظمته **جامعة الملك عبد العزيز في مكة المكرمة**.. ويعد الشاعر الغزاوي واحداً من الرعيل الأول في الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية.

وله باب شهري في **مجلة «المنهل»** الثقافية الشهرية بعنوان **«شذرات الذهب»** ينشر تحته مجموعة من الخواطر والتعليقات الاجتماعية، والقفشات الأدبية والنقدية، وقد استمر يكتب تحت هذا الباب إلى جانب حولياته وقصائده الشعرية حتى انتقل إلى رحمة ربه تاركاً خلفه ثروة أدبية نثرية وشعرية، وحزناً كبيراً في نفوس قراء أدبه الرصين، ومحبيه.

وقد رثاه عدد كبير من الشعراء، والأدباء لمكانته الكبيرة في نفوس الجميع، إذ كان صديقاً للجميع، وفياً في صداقته، متزناً في آرائه.

لم يطبع شيئاً من آثاره النثرية والشعرية المنشورة في مختلف الصحف والمجلات.. ولا يعلم فيما إذا كانت له أعمال مخطوطة يحتفظ بها.

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته.. وألهم أهله وذويه وقراء أدبه الصبر والسلوان.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كلمة

(٨) الحركة الأدبية في المملكة

لا نأتي بجديد حين نقول إن النقد لا ينبت في صحراء، أو أرض بلقع لا زرع فيها. فوجوده مرتبط بوجود العمل الأدبي، لأن وظيفته تقويم العطاء الأدبي من شعر، وقصة، ومسرحية، ودراسات أدبية، ومقالة.. والنقد رغم أنه عملية تالية للعملية الأدبية إلا أنه عامل مواكب يدعم الحركة الأدبية من خلال «التقعيد» و«التأصيل».. وهو إلى جانب ذلك عنصر موصل بين الأديب والقارئ، وعملية «كاشفة» للأثر الأدبي تضيء صوى الطريق أمام الأديب.

والملاحظ على الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية أن النقد لم يمارس حضوره المطلوب في هذه الحركة.

فقد شهدت الساحة الأدبية أعمالا أدبية مختلفة ظهرت في غياب النقد، في الوقت الذي كان يجب أن يقوم النقد بدوره الريادي في تقويم وتصحيح مسار هذه الأعمال.

لقد عرفت الساحة الأدبية ما يسمى بالمعارك الأدبية التي طرحت مجموعة من القضايا الأدبية رغم ما يعتور هذه المعارك من شطط، وخروج عن الموضوعية.. وهذه المعارك مع سلبياتها استطاعت أن تفتح نوافذ جديدة أمام الكوكبة الشابة على ما يحدث في الساحة الأدبية العربية، وأن تسلط الأضواء على ما استجد من ظواهر أدبية ومذاهب فكرية ونقدية عالمية في وقت كانت الحركة الأدبية تفتقر إلى دور النشر لاحتضان معطياتها، وطبعها في كتب لتسهيل مهمة الناقد، وتيسير المشاق أمام الباحث والدارس.

وقد لوحظ ظهور بعض الدراسات الأكاديمية التي تناولت الأدب السعودي مثل كتاب الدكتور بكري شيخ أمين في دراسته عن الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية التي نال بها شهادة الدكتوراه من الجامعة الأميريكية في بيروت، هذه الدراسة رغم صدورها منذ سنوات إلا أنها لم تجد الناقد السعودي الذي يتناولها بالنقد والتقييم.

لقد كنا في الماضي نشكو من افتقار أدبنا إلى الأعمال الأدبية، وكنا نعزو غياب النقد إلى هذا السبب.. لكن بماذا نعلل غياب النقد في الوقت الذي ظهرت فيه مجموعة كبيرة من الأعمال الأدبية المختلفة لعدد من الأدباء الشبان؟

سؤال يطرح مشكلة النقد الأدبي في المملكة بكل أبعادها، وإن كنا نعذر أصحاب هذه الأعمال الجديدة لشعورهم بالحزن أمام سلبية النقد والنقاد، فأي عذر يمكن أن يعطي للنقاد الحق في مواقفهم السلبية؟

هل تعني هذه المواقف أن الأعمال الأدبية المطروحة دون المستوى المطلوب؟

أو تعني أن الحركة النقدية في المملكة قاصرة عن استيعاب المرحلة التي يعيشونها؟

لا نريد أن نسبق الأحداث فنتصور أسباباً غير واقعية، وأموراً قد تكون بعيدة كل البعد عن مجريات الواقع.

كل ما يمكن أن يقال إن الحركة الأدبية في المملكة تفتقر إلى حركة نقدية مواكبة لها من الداخل.. وهذا ما جعل أصحاب الأعمال الجديدة يلجأون إلى النقاد العرب لتوصيل أعمالهم إلى القراء.. وكل ما قرأناه في هذا المجال مع أهميته يظل قاصراً عن فهم البيئة التي أفرزت هذه الأعمال، وهي عامل هام في الحركة النقدية.

إننا ندعو إلى حركة نقدية سعودية، انطلاقاً من المثل القائل «أهل مكة أدرى بشعابها»، وهي دعوة صحية لا تحكمها الإقليمية، والذاتية بقدر ما تدعو إليها الضرورة التاريخية النقدية.

وأملنا كبير أن تشهد السنوات القادمة حركة نقدية سعودية مواكبة للحركة الأدبية لتحقيق ما نتطلع إليه كجماعة لها مقوماتها الفكرية والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية.

علوي طه الصافي


★ د. أحمد شقلبة ★

ويحق لهم الاشتراك في المراتب الأعلى ، هذا وقد **رصد النادي جوائز قيمة للفائزين** .

مؤتمر جيولوجي عن الصخور

سيعقد خلال شهر (صفر) من العام القادم ١٤٠٢ هـ ، **مؤتمر جيولوجي** يدور حول موضوع **الصخور الجيولوجية ومقارنتها بما قبل عصر الكمبري** وذلك تحت إشراف **كلية علوم الأرض التابعة لجامعة الملك عبد العزيز بجدة** » وسيشارك فيه وفود من الدول التي تتشابه ظروفها الجيولوجية مع المملكة مثل السودان وأغلب الدول الإفريقية ، كما سيشارك فيه عدد كبير من العلماء والمفكرين الجيولوجيين من مختلف الدول والجامعات وذلك بهدف التعرف على آرائهم للوصول إلى طرق تطوير البحوث في هذا الميدان وبالذات في المملكة لهذا الفرع من العلوم .

الحلقة الخامسة لدراسات الخليج والجزيرة العربية

عقدت في (**الرياض**) **الحلقة الخامسة** للمراكز والهيئات **المهمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية** وذلك تحت إشراف (**دارة الملك عبد العزيز**) شارك فيها وفود من **مركز دراسات الخليج العربي بالبصرة ، ومجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية بالكويت ، ومركز الوثائق والدراسات بأبي ظبي ، ومركز الوثائق التاريخية بالبحرين ، ومركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء ، ودائرة المخطوطات والمؤلفات العمانية بمسقط ، ومركز الوثائق والأبحاث بقطر ، إلى جانب دارة الملك عبد العزيز بالرياض** ، استمرت هذه الحلقة ثلاثة أيام نوقش فيها عدد من المواضيع من أهمها :

★ إصدار أطلس للخليج والجزيرة العربية .

★ إصدار موسوعة علمية للمنطقة .

★ عمل ترجمة للشخصيات العالمية الموجودة بها ، أو التي نشأت فيها والتي لها أثر في الحياة العلمية ، بالإضافة إلى العلماء العرب والأجانب الذين اهتموا بالدراسات المتعلقة بتاريخ وجغرافية وحضارة المنطقة .

مجلة متخصصة في العمارة الإسلامية

تعتزم **الأمانة العامة لمنظمة العواصم الإسلامية** والتي تتخذ من (**مكة المكرمة**) مقراً لها إصدار **مجلة علمية دورية متخصصة في العمارة والتخطيط وأحوال المدن ومشاكلها في العالم الإسلامي** تكون مجالا لأبحاث العلماء المتخصصين في هذا المجال ، وستكون هيئة تحريرها من أمناء بعض العواصم الإسلامية أو ممن يقوم هؤلاء بترشيحهم لهذا الغرض .

الندوة الخامسة للتراث الشعبي

إهتماماً بهذا **اللون من التراث** أقامت **جامعة الرياض ندوتها الخامسة** اشترك فيها عدد كبير من الشعراء : شعراء الرد ، والشعراء النبطيين ، كما أقيم فيها عدد من العرضات والرقصات الشعبية وقد حضرها عدد كبير من المهتمين واستمرت أربع ليال . ولعل الهدف الرئيسي من هذه الندوة هو تقوية الرابطة بين الجامعة والمجتمع .

معرض للكتاب الإسلامي

أقامت **عمادة شؤون الطلاب** التابعة **لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض معرضاً للكتاب الإسلامي** وذلك **بمخيم المعاهد العلمية بالرياض** ، استمر أسبوعاً وقد خصص فيه سعر رمزي لبيع الكتب المعروضة .

إدارة الآثار ومجموعة من المتاحف

قررت **إدارة الآثار** إنشاء متاحف إقليمية في كل من **الجوف ، وأبها ، والدمام ، وحائل ، وتبوك** ، وذلك بهدف المحافظة على التراث من الإنقراض ، كما تقرر تحويل (**قلعة أجياد بمكة المكرمة ، وقصر سعد بن العاص بالمدينة المنورة**) إلى متحفين إسلاميين .

كتب جديدة

● « **الخمر بين الطب والفقه** » ، تأليف **الدكتور محمد علي البار** ، صدر عن **الدار السعودية للنشر والتوزيع** .

● « **العمارة الإسلامية** » ، تأليف **الدكتور محمد حماد** ، صدر عن **دار الوطن بالرياض** .

● « **تبسيط رسم المنظور** لأعمال الهندسة المعمارية وأعمال هندسة



★ د. محمد علي البار ★

الديكور » ، تأليف الدكتور مهندس محمد حماد ، صدر عن دار الوطن بالرياض .

● « بنو هلال أصحاب التغريبة في التاريخ والأدب » ، دراسة أعدّها أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري والدكتور عبد الحليم عويس ، صدرت عن نادي الرياض الأدبي .

● « النفط العربي وصناعة تكريره » ، دراسة أعدّها الدكتور أحمد رمضان شقلية ، صدرت عن إدارة النشر بتهامة ضمن سلسلة « الكتاب الجامعي » .

● « الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا » ، تأليف الدكتور عبد المنعم رسلان ، صدر عن إدارة النشر بمؤسسة تهامة ضمن سلسلة « الكتاب الجامعي » .

● « علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية ــ دراسة فقهية مقارنة » ، تأليف الدكتورة سعاد إبراهيم صالح ، صدر عن إدارة النشر بتهامة ضمن سلسلة « الكتاب الجامعي » .

● « أضواء على كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء » ، كتيب صدر عن تلك الكلية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

● « النمو من الطفولة إلى المراهقة » ، تأليف الدكتور محمد جميل محمد والدكتور فاروق سيد عبد السلام ، صدر عن تهامة ضمن سلسلتها « الكتاب الجامعي » .

● « الشعر السعودي بين التجديد والتقليد » ، محاضرة وضعت في كتيب للدكتور محمد بن سعد بن حسين ، صدر عن نادي بريدة الأدبي .

● « الرحيق المختوم » ، بحث في السيرة النبوية ، تأليف الشيخ صفي الرحمن المبار كفوري ، صدر عن رابطة العالم الإسلامي وضمن منشوراتها .

● « معجم معاني مفردات القرآن الكريم » ، إعداد الدكتور عبد الله عباس الندوي ، صدر عن دار الشروق للطباعة والنشر بجدة .

● « التخلف الإملائي » ، دراسة من إعداد نوال عبد المنعم قاضي ، صدرت عن إدارة النشر بتهامة .

● « حوار مع الرجل » ، تأليف سميرة أحمد لاري ، صدر عن إدارة النشر بتهامة .

● « وجوه من الريف » ، مجموعة قصصية تأليف حجاب الحازمي ، صدرت عن نادي جيزان الأدبي .

صورة وتعليق

السنة الدولية للمعوقين
١٩٨١

★ في العالم اليوم ٣٠ مليون معاق نتيجة لحوادث السير ، أي ما يساوي نحو ربع عدد سكان العالم العربي ! ★



★ خليل الزهاوي ★



★ إبراهيم عبد القادر المازني ★

سورية

✱ كتب جديدة ✱

صدرت الكتب التالية عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق :

★ «**تركيب العائلة العربية ووظائفها** ـ دراسة ميدانية لواقع العائلة في سورية» ، **للدكتور محمد صفوح الأخرس** .

★ «**المختار من التراث العربي** : من تهذيب الأخلاق لمسكوية» ، **اختار النصوص** وقدم لها **سهيل عثمان** .

★ «**هذه الشركات المتعددة** الجنسيات التي تحكمنا» ، **لكريستوفر توغندهات** ، ترجمة **سهام الشريف** .

★ «**تصحيح خطأ الموت**» ، **مجموعة شعرية** للشاعر **دعد حداد** .

★ «**اللوز المر**» ، **مجموعة قصصية** للقاص **محمد الهراوي** ، صدرت عن **إتحاد الكتاب العرب بدمشق** .

العراق

معرض للخطاط الزهاوي

أقيم في بغداد وبقاعة (الواسطي) التابعة لدائرة الفنون التشكيلية المعرض الأول للخطاط العراقي **خليل الزهاوي** ، اشتمل المعرض على أعمال اختصت **بخطوط الآيات القرآنية والرسائل والأحاديث الشريفة** ، وكلمات للخلفاء الراشدين ، والحكم المأخوذة من التراث .

وفاة موفق خضر

إنتقل إلى رحمة الله تعالى **القاضي العراقي (موفق خضر)** عن أربع وأربعين سنة (١٩٣٧ ـ ١٩٨١ م) والذي كتب خلال حياته روايتين هما (المدينة تحتضن الرجال ، الإغتيال والغضب) وثلاث مجموعات قصصية هي (الانتظار والمطر ، نهار متألق ، أغنية الأشجار) كما زاول العمل الثقافي في عدد من الصحف والمجلات وكان مديراً عاماً لدار الجاحظ للطباعة والنشر ببغداد .

كتاب العدد

● **الكتاب : «النثر الفني في القرن الرابع الهجري»**

● **المؤلف : الدكتور زكي مبارك**✱

الدكتور **زكي مبارك** معروف لجميع قراء العربية في عصرنا هذا ، بما قدم من بحوث أدبية ، وشعر جيد ، وكتب عظيمة تحمل آراء جديدة في عالم الأدب .

من هذه الكتب التي أثارت الكثير من القضايا الأدبية كتاب «**النثر الفني**» ، الذي كان رسالة قدمها الدكتور زكي مبارك لنيل **شهادة الدكتوراه** من **جامعة السوربون في فرنسا** سنة ١٩٣١ م .

وعلى كل حال فإنه قد **نال شهادة الدكتوراه من قبل جامعة القاهرة** (الجامعة المصرية وقتئذ) سنة ١٩٢٤ م ، عن رسالته «**الأخلاق عند الغزالي**» ، ثم **نال الدكتوراه الثالثة من الجامعة المصرية** أيضاً سنة ١٩٣٧ م ، عن كتابه «**التصوف الإسلامي**» .. لذلك فقد **عرف بين الناس «بالدكاترة»** .

وكتاب «**النثر الفني**» قد أثار بين الأدباء ألواناً شتى من التفكير ، وضروباً عدة من الحركة والنشاط .. **ويشتمل الكتاب على ستة أبواب** ، قدم لها ببحث رصين عن نصيب النثر الفني من عناية النقاد ، وأوضح فيها الغرض من تأليف الكتاب .

● **في الباب الأول** : تكلم المؤلف عن النثر الجاهلي والنثر الإسلامي وأطوار السجع والازدواج .

● **في الباب الثاني** : درس خصائص النثر في القرن الرابع الهجري ، مبيناً ما فيه من الظواهر الفنية والعقلية .

● **في الباب الرابع** : يتحدث المؤلف عن كتاب النقد الأدبي .

● **في الباب الخامس** : يشرح المؤلف بعض الجوانب الهامة من كتاب الآراء والمذاهب .

ثم يختم الكتاب **بالباب السادس** ، فيتحدث فيه عن



★ موفق خضر ★

★كتب جديدة★

● « الملابس العربية والإسلامية في العصر العباسي » ، تأليف **الدكتور صلاح حسين العبيدي** ، صدر عن **دار الرشيد ببغداد** .

● « **آثار بلاد الرافدين** » ، تأليف **سيتون لويد** ، **ترجمة الدكتور سامي سعيد الأحمد** ، صدر عن **وزارة الثقافة والإعلام العراقية** ضمن سلسلة « **الكتب المترجمة** » .

● « **فهرسة المخطوط العربي** » ، **دراسة** أعدّها **ميري عبودي فتوح** ، صدرت ضمن سلسلة « **المعاجم والفهارس** » التي تصدر عن **وزارة الثقافة والإعلام** .

● « **فن الترجمة** » ، **ترجمة الدكتورة حياة شرارة** ، صدر ضمن سلسلة **الموسوعة الصغيرة** التي تصدر عن **وزارة الثقافة والإعلام العراقية** .

● « **العصافير يقتلها الظمأ** » ، **مجموعة شعرية** للشاعر **خالد الخزرجي** ، صدرت عن **دار الرشيد للنشر ببغداد** .

★كتب جديدة★

● « **المرأة العربية والإنتاج** ــ نموذج المرأة الفلسطينية » ، **دراسة** من إعداد **فرج الله صالح ديب ونبيلة برير** ، صدرت عن **دار الحداثة** ضمن سلسلة « **قضايا المرأة** » .

● « **تسعون ميخائيل نعيمة** » ، **دراسة لرياض فاخوري** ، صدرت عن **مؤسسة الموارد الثقافية** .

● « **وجه يسقط ولا يصل** » ، **مجموعة شعرية** للشاعر **بول شاوول** ، صدرت عن **دار النهار للنشر** .

● « **موت معالي الوزير سابقاً** » ، **مجموعة قصص** قصيرة **للدكتورة نوال السعدي** ، صدرت عن **دار الآداب البيروتية** .

● « **لورقا** ــ مختارات من شعره » ، كتاب صدر عن « **فيدريكو غارشيا لورقا** » وهو شاعر إسباني ولد سنة ١٨٩٧ م ، أصدرته **دار المسيرة ببيروت** .

● « **صندوق الدنيا** » ، **مجموعة قصص ومقالات** تأليف **إبراهيم عبد القادر المازني** ، صدر عن **دار الشروق ببيروت** .

● « **الصورة في الشعر العربي** » ، دراسة **للدكتور علي البطل** ، صدرت عن **دار الأندلس للطباعة والنشر ببيروت** .

● « **العلامة محمد إقبال : حياته وآثاره** » ، **دراسة للدكتور أحمد معوض** ، صدرت في كتاب **دار العودة للطباعة والنشر** .

● « **رابندر انات طاغور** » ، **ترجمة** تناولت هذا الشاعر أعدّها

كتاب الرسائل والعهود .

وقد جاء الدكتور زكي مبارك في هذا الكتاب بأفكار جديدة مبتكرة . . . منها أن أساتذة الأدب كانوا يعتقدون أن « **رسالة الغفران** » **لأبي العلاء المعري** هي أول مسلاة في لغتنا العربية ، ويظنون أن [illegible] **ابن شهيد الأندلسي** قد حاكاه في رسالته « **التوابع والزوابع** » .

فجاء مؤلف « النثر الفني » وأثبت أن رسالة ابن شهيد الأندلسي قد ألفت قبل رسالة المعري بنحو عشرين عاماً ، وأن **المعري هو الذي حاكى ابن شهيد** .. فالموضوع واحد بين الرسالتين : وهو عرض المشاكل الأدبية ، والعقلية ، بطريقة قصصية ، ولكن الخلاف في جوهر الموضوع .. فأبو العلاء يحرص أولا وقبل كل شيء على عرض المعضلات [illegible] وابن شهيد يحرص على عرض المشكلات الأدبية والبيانية ، ويتفق كل منها على التعريض بمعاصريه !!

حتى **المسرح** في الرسالتين واحد تقريباً ، فهو عند ابن شهيد **وادي الجن في الدنيا** .. وعند أبي العلاء **وادي الإنس في الآخرة** ، والممثلون عند ابن شهيد **جن** يسخرون الناس ، وعند أبي العلاء **إنس** تسخرهم الملائكة والشياطين !

كما جاء زكي مبارك بقضية جديدة في الأدب العربي تستحق [illegible] الاستقصاء ، وهي أن واضع الأقصوصة في اللغة العربية ، والملهم الأول لبطل « **مقامات** » **بديع الزمان الهمذاني** هو **ابن دريد** الذي ولد في **البصرة** ، في خلافة **المعتصم** سنة ٢٢٣ هـ ، ثم صار إلى **عمان** ، فأقام بها مدة ، ثم صار إلى **فارس** مدة ، ثم أقام في **بغداد** ، إلى أن مات سنة ٣٢١ هـ .

وكان كتاب **ابن حزم** « **فن الحب** » مجهولا في الشرق العربي ، فلما أخرج زكي مبارك كتابه « النثر الفني » أميط عنه اللثام وعرف الناس بهذا الكتاب ، ودفع الأدباء والعلماء إلى البحث والاستقصاء .

عادل النشار

الحواشي

* عن شخصية الدكتور زكي مبارك : انظر العدد (٢٠) ، ص ٩ من مجلة « **الفيصل** » .

نصري الصايغ ونبيل حبيقة ، صدرت في كتاب عن « دار الرواد » ببيروت وضمن سلسلة « نوبل للآداب » .

● « منطلقات ومفاهيم أساسية » ، للدكتور إلياس فرح ، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

● « الفردوس الأرضي ـ دراسات وانطباعات عن الحضارة الأميريكية الحديثة » ، تأليف الدكتور عبد الوهاب المسيري ، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

● « الشوكة البنفسجية » ، مجموعة شعرية للشاعر محمد علي شمس الدين ، صدرت عن دار الآداب ببيروت .

● « وجوه ثقافية من الجنوب اللبناني » ، تأليف مجموعة من الكتاب ، صدر عن دار ابن خلدون .

● « جنون لبنان ـ مأساة وصمود » ، كتاب بسبع لغات صدر عن وزارة الإعلام اللبنانية وتحت إشرافها .

● « طيور عمان تحلق منخفضة » ، مجموعة قصص قصيرة للقاص إلياس فركوح ، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

● « فتات البياض » ، مجموعة شعرية للشاعر شربل داغر ، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

● « الأدب الصهيوني الحديث » ، دراسة أعدها جودت السعد ، صدرت في كتاب عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

● « الحرب العالمية الثالثة ـ الخوف الكبير » ، تأليف الجنرال فيكتور فرنر ، ترجمة الدكتور هيثم الكيلاني ، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

● « من يعرف الوردة ؟ » ، مجموعة شعرية للشاعر سعدي يوسف ، صدرت عن دار ابن رشد .

صدرت الكتب التالية عن دار الوحدة :

★ « يوم الدين والحساب ، دراسات قرآنية » تأليف الدكتور شكري محمود عياد .

★ « أحاديث في الأمن القومي » ، كتبه أمين هويدي .

★ « هذا الانفتاح الاقتصادي » ، تأليف الدكتور فؤاد مرسي .



★ الزبيري ★

السودان

* كتب جديدة *

● « في تاريخ الطب العربي » ، دراسة للدكتور التيجاني الماحي ، صدرت عن دار جامعة الخرطوم .



* كتب جديدة *

● « الشورى وأثرها في الديمقراطية » ، تأليف الدكتور عبد الحميد إسماعيل الأنصاري ، صدر في القاهرة عن المطبعة السلفية .

● « ديوان النيل » ، ويضم قصائد مختارة من الشعر المصري والسوداني القديم والحديث ، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .



* كتب جديدة *

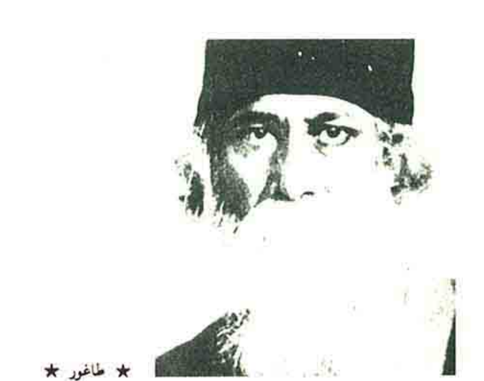
● « الغد والغضب » ، رواية تأليف خفانة بنونة ، صدرت عن دار النشر المغربية بالرباط .

● « الفكر الإسلامي والاختبار الصعب » ، تأليف الدكتور عباس الجراري ، صدر عن الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي بالرباط .



إكتشافات أثرية

تم العثور على مجموعة من الإكتشافات الأثرية في ولاية (المضيبي) بسلطنة عمان يرجع تاريخها إلى ما قبل (٤) آلاف سنة وذلك من قبل البعثة الألمانية المكلفة من قبل وزارة التراث القومي والثقافة العمانية وقد شملت هذه الإكتشافات قوالب من



★ طاغور ★

النحاس المصبوب تزن سبعة كيلوجرامات ، كما تم العثور على كتابات ونقوش ورموز يعتقد أنها حروف هجائية للغات قديمة في شبه الجزيرة العربية ، كما عثرت أيضاً **على مجموعة أثرية بمنطقة (خور روي) بجبال ظفار** ، وأخرى في **(صحار)** والبلدان المجاورة ، كما تم العثور على عدة آثار حجرية وفخارية وكميات من نفايات المعادن في **منطقة (بات والأسيل)** واكتشافات إسلامية في **منطقة (عرجاء)** ، كما دلت الحفريات التي أجريت في **(رأس الحمراء)** مع نشاط الصياد العماني منذ عهد قديم والمعدات التي كان يستخدمها في الصيد .

اليمن

أسبوع ثقافي كويتي

أقيم في **العاصمة (صنعاء) أسبوع ثقافي كويتي** شمل **عروضاً فنية وثقافية** ، وإقامة عدة معارض للفنون التشكيلية والصور الفوتوغرافية ، كما شمل إقامة **أمسيات شعرية** وعدداً من المسرحيات الكويتية .

ندوات عن الزبيري

أقيمت في **صنعاء أمسيات ثقافية** تدور حول أدب ورحلات وشعر **(محمد محمود الزبيري)** أقامها كل من **إتحاد الكتاب والأدباء اليمنيين ، وجامعة صنعاء ، ومركز الدراسات والبحوث اليمني** وقد أقيمت هذه الندوات والأمسيات **بمناسبة مرور ست عشرة سنة** على وفاته (١٩٦٥م) ، كما تهدف إلى محاولة **إكتشاف مزيد من إنتاجه الأدبي والشعري وتاريخ حياته** .

الكويت

مجلة للعلوم الإنسانية

صدرت في الكويت **مجلة عربية للعلوم الإنسانية عن جامعة الكويت** وذلك خلفاً **لمجلة كلية الآداب والتربية** ويرأس تحريرها **الدكتور خلدون النقيب** ، هذا وقد وضعت هيئة تحريرها شروطاً لنشر البحث في هذه المجلة أهمها :

★ اعتماد الأصول العلمية في إعداد وكتابة البحث .

★ ألا يكون قد سبق نشره .

★ إقرار من صاحب البحث بأن بحثه عمل أصيل من انتاجه وغير مرسل لمجلة أخرى .

★ وأن يزود المجلة بنسخة البحث الأصلية وأن يرفق به خلاصة له في حدود (٤٠٠ ــ ٥٠٠) كلمة بلغة البحث .

وتنشر الأبحاث فيها بعد تحكيم سري يقوم به مختص أو أكثر فإن اختلف الرأي عرض على محكم ثالث ــ كما أن لهيئة التحرير حالات خاصة تجيز على مسؤوليتها نشر بعض الأبحاث دون تحكيم . هذا وقد صدر العدد الأول منها ، حافلاً بالأبحاث المتنوعة .

ندوة تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها

نظم **مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي** بالتعاون مع **مركز اللغات التابع (لجامعة الكويت)** ندوة عن **تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها** ، استمرت تسعة أيام وذلك خلال الفترة من التاسع من شهر جمادي الأخرى إلى السابع عشر منه ، وقد نظمت هذه الندوة تحقيقاً لتوصيات **مؤتمر وزراء التربية العرب** وحضرها وفود من معاهد ومراكز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في مختلف دول الخليج وعدد من الخبراء وعلماء الصوتيات في العالم العربي ، وقد نوقش فيها عدد من الأبحاث أهمها :

★ اللغة ومناهجها .

★ تدريس النحو .

★ أهمية تدريس العربية لغير الناطقين بها .

★ إبراز الدور الحضاري للعرب والمسلمين من خلال هذه اللغة وتذليل عقبات تعلمها ، وتسهيل قواعدها ، ونشرها في الخارج ، والمساعدة في حركة التعريب .

* كتب جديدة *

● « **إرتقاء الإنسان** » ، تأليف **ج بروفوفسكي** ، ترجمة **الدكتور موفق شخاشيرو** ، مراجعة **زهير الكرمي** ، صدر ضمن سلسلة « **عالم المعرفة** » التي تصدر عن **المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت** .

● « **الرواية الروسية في القرن التاسع عشر** » ، **دراسة** ــ أعدتها **الدكتورة مكارم الغمري** ، صدرت عن **المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب** ضمن سلسلة « **عالم المعرفة** » .

● « **هرقل فوق جبل أويتا** » ، تأليف الشاعر والفيلسوف **سينيكا** ، ترجمة وتقديم **الدكتور أحمد عثمان** ، مراجعة **الدكتور عبد اللطيف أحمد علي** ، صدر ضمن سلسلة « **من المسرح العالمي** » التي تصدرها **وزارة الإعلام الكويتية** .

الأردن

* كتب جديدة *

● « **حلية العلماء في معرفة مذهب الفقهاء** » ، للإمام **سيف الدين أبي بكر محمد الشاشي** ، تحقيق **الدكتور ياسين أحمد إبراهيم دراكة** ، صدر **الجزء الثالث** عن **دار الأرقم بعمان** .

● « **قبسات إسلامية** » ، تأليف **يحيى إبراهيم جعجوم** ، صدر **في عمان** .

● « **دموع** » ، رواية تأليف **محمد خلف الشبول** ، صدرت عن **مطبعة الزرقاء** .

● « **الحركة الشعرية في بلاط الملك عبد الله** » ، تأليف **تركي المغيص** ، صدر عن **وزارة الثقافة والشباب بالأردن** .

● « **الانحدار من كهف الرقيم** » ، ديوان شعري للشاعر **محمد إبراهيم لافي** ، صدر عن **جمعية عمان ـ المطابع التعاونية** .

● « **ثلاثة كتب في ميزان الإسلام** » ، تأليف **الدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب** ، صدر عن **مكتبة النهضة الإسلامية بعمان** .

● « **اتجاهات التفسير في العصر الراهن** » ، تأليف **الدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب** ، صدر عن **مكتبة النهضة الإسلامية بعمان** .

● « **العلاقات الدولية في القرآن والسنّة** » ، تأليف **الدكتور محمد علي حسن** ، صدر عن **مكتبة النهضة الإسلامية بعمان** .

● « **الحركة الفكرية** : في ظل المسجد الأقصى المبارك في العصرين الأيوبي والمملوكي » ، تأليف **الدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدي** ، صدر عن **مكتبة الأقصى بعمان** .

● « **أوراق عرار السياسية** : وثائق مصطفى وهبي التل » ، جمع وتصنيف **محمد كعوش** ، صدر **في عمان** .

● « **قصائد لامرأة من الشمال** » ، ديوان شعري للشاعر **عبد الله منصور** ، صدر **في عمان** .

● « **ارسم ولوّن** » ، كتاب للأطفال من إعداد الفنان **حسن الصمادي** ، صدر **في عمان** .

نافذة

الجوائز الأدبية في فرنسا

تُعتبر فرنسا من أولى الدول الأوروبية التي تولي الجوائز الأدبية اهتماماً كبيراً . . وهذه الجوائز تلفت إليها الأنظار في نهاية كل عام حين تُعلن أسماء الفائزين بها ، والكتب التي فازت بتقديراتها الخاصة . وعمر هذه الجوائز يبلغ تقريباً السبعين عاماً . . بعض هذه الجوائز تقدمها مؤسسات صحفية وصناعية . إلا أن الجوائز التي تقدمها الأكاديميات الأدبية الفرنسية والتنظيمات الثقافية ، تُعتبر أكثر شهرة وأهمية . . وإذا كانت الأكاديمية الفرنسية هي أهم الأكاديميات . . إلا أن الجائزة التي تقدمها أكاديمية **(جونكور)** تعتبر أهم جائزة تمنح للأدباء في فرنسا ، وخاصة الشبان منهم . . ونتيجة لأهمية (جونكور) وجائزتها ، فسوف نتحدث عنها في هذا المقال بشيء من التفصيل .

أما الجوائز الأخرى فهي عديدة ، وتمنح سنوياً دون انقطاع لأفضل الأعمال الأدبية في مجال الرواية ، والنقد ، والنتاج الأدبي النسائي . . فجائزة (انترالبي) يرأسها الصحفي جان كوفرور منذ أكثر من خمسين عاماً . . وهي تعتبر مؤسسة خاصة تتولى الاهتمام بالإبداع الأدبي والفني . . وتضم في عضوية إدارتها عشرة أعضاء تعدى بعضهم الثمانين من العمر . . وكلهم يعملون في مجال الصحافة عدا الروائي ميشيل ديون . . ورينيه فاليه ، المخرج السينمائي الذي يكتب الرواية . . وقد منحت هذه الجائزة على مدى أكثر من ثمان وستين عاماً لجان فرنيو ، وميشيل ديون ، ولوسيان بوادر .

وفي عام ١٩٢٦م ، أسس جورج شارنسول جائزة رنودو ، وهو أحد المشتركين في إعداد موسوعات « لاروس » ، ويعمل بالنقد السينمائي في مجلات السينما المتخصصة . . وهذه الجائزة تتبع مؤسسة ثقافية كبيرة تضم في عضويتها مجموعة من الأدباء مثل : لوج استان الذي فاز بالجائزة عام ١٩٦٢م ، ويديرها « مازارس » الناقد الفني في مجلة وصحيفة (الفيجارو) . . ومن أهم الأسماء التي فازت بهذه الجائزة الصحفي بيير جان لوناي عام ١٩٣٨م ، والأديبة جيرمين بومون ، وجان مارك روبير . . أما آخر من نالها في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٨٠م ، فهو دانيال سالفانا عن « أبواب جوبيو) .

أما جائزة (فيمينا) فقد أسستها مدام سيمون عام ١٩٣٥م ، وهي



تونس

* كتب جديدة *

● « **شهادة من الميدان** : وثائق عن حرب فلسطين ١٩٤٨م » ، تأليف **شكيب الأموي** ، صدر عن **الدار التونسية للنشر والتوزيع بتونس** .

رئيسة شرف الجائزة ولا تشترك في التصويت .. وبالرغم من أنها قد بلغت المائة عام من العمر ، إلا أنها تعتبر أنشط أعضاء المجلس الإداري الذي يتكون من عشر نساء .. وكما هو واضح من اسم الجائزة فإنها تهتم بصفة خاصة بالأدب النسائي .. سواء ما كتبته امرأة .. أو أفضل ما كتب عن المرأة .. وقد فاز بها عام ١٩٧٩ م ، الروائي بيير موانو عن رواية « مراقب ظل » .

أما جائزة (ميدتش) فهي أحدث هذه الجوائز نسبياً وأقلها أهمية .. إلا أنها تعتبر الوجه الآخر للجوائز .. فهي تهتم بالأدب التجريبي أكثر ولا تميل إلى اللون التقليدي في الشكل أو المضمون .. وبالنظر إلى بعض الأسماء التي فازت بجوائزها يتضح اتجاهها .. فألان روب جرييه الذي يكتب فيما يسمى باللارواية .. ومارتا روبير .. وفي عام ١٩٧٩ م ، فازت كلود ديوران بها عن رواية « ليل حديقة الحيوان » .. وإذا كانت المؤسسات الثقافية الفرنسية تهتم بالإبداع الفرنسي فقط ، فإن (مديتش) تمنح أيضاً جوائزها للآداب الأخرى المترجمة إلى الفرنسية .

وفي فرنسا جوائز أخرى أقل أهمية .. فهناك جائزة الشعر .. وجائزة للمكتبات .. وأخرى للنقد الأدبي .. وجوائز لأفضل الأعمال الصحفية .

أما أكاديمية جونكور فتعتبر جائزتها أهم الجوائز الحالية في فرنسا .. وقد أسسها الأخوان ادمون وجول جونكور في أواخر القرن الماضي .. وهما صحفيان كانا يكتبا الرواية .. ولهما دراسات في تاريخ الفن ، ونظريات الطبيعة .. وقد أسسا معاً جريدة « جورنال » وكتبا فيها .. ومن أهم أعمالهما « الفتاة أليزا » ، و « فوسفين » لادمون .. الذي اشترك مع أخيه في كتابة روايات أخرى مثل « جرمين لاسرتو » ، و « سليمان » .. وقد أعادت فرنسا نشر هذه الروايات في العام الماضي تكريماً لمؤسس أكبر جوائزها .. فعندما مات ادمون عام ١٨٧٠ م ، أوصى — مثلما فعل الفريد نوبل من بعده — أن تخصص ثروته لتشجيع الإبداع الفني .. ولذا فهذه الجائزة تُمنح للمهتمين « بالإبداع الأدبي ، والإجادة الفنية ، والتجديد في الشكل والمضمون ، والتعبير الصادق عن معاناة الإنسان المعاصر إزاء قضايا الإنسانية .. وأن تبتعد هذه الأعمال عن الصراعات السياسية والطائفية داخل فرنسا والعالم ... » .

ومنحت الجائزة أولى جوائزها لأديب مغمور يدعى جون أنطون نو عام ١٩٠٣ م ، عن روايته « قوة العدو » .. كما منحت الأكاديمية جائزتها للكثير من الشبان .

ويتكون مجلس إدارة الأكاديمية من عشرة أعضاء ، يعتبرون أهم الأسماء الفرنسية الموجودة حالياً .. يرأسه هيرفين بازان منذ عام ١٩٥٨ م ، وعضوية ميشيل تورنييه ، وارمان لانو ، وفرانسوا نورسييه .. وتجرى الانتخابات كل عشرة أعوام لاختيار رئيس ومساعد للأكاديمية .. وفي كل عام يتم ترشيح مجموعة من الروايات التي تظهر في أكتوبر (تشرين الأول) من العام الحالي إلى أكتوبر (تشرين الأول) الذي يليه دون محاباة ، أو تحيز .. فيجتمع الأعضاء اجتماعات منتظمة يومياً بين أول أكتوبر (تشرين الأول) حتى الخامس عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) كي يتم اختيار الكتب الفائزة التي تتم تصفيتها إلى عدد محدود يصل إلى ثمانية أو ستة كتب .

وفي يوم الاقتراع يجلس أقدم عشرة أعضاء الأكاديمية ، ويختار كل منهم في ورقة اسم الكتاب الذي يرشحه للفوز في وريقة صغيرة قبل أن يقرأه على الآخرين .. ولكل عضو من الأعضاء صوت ، أما الرئيس فله صوتان .. وتعلن الجائزة بعد ذلك للكتاب الذي نال أعلى الأصوات .

وأهمية الجائزة ، كما يقول أحد أعضائها ، ليست في « الجائزة نفسها ، لكن لأن وظيفتها أشبه بقرع أجراس الكنيسة التي تنبه الغافلين » .. ويقول بازان : « إن الفائز بهذه الجائزة ليس دائماً هو الأحسن ، فطالما أن هناك اقتراعاً ، فهناك رأي شخصي ، والآراء الشخصية لا تعبِّر دوماً عن الأفضل » .. لكن المتتبع للأسماء الثلاثة التي فازت بهذه الجائزة أخيراً ، يجد أنها قدمت فعلاً أفضل الكتابات خلالّ الأعوام الثلاثة الماضية .

فاز الشاب باتريك موديا فون — تونسي الأصل — عام ١٩٧٨ م ، عن رواية « شارع الحوانيت المعتمة » .. وهي تقص حكاية رجل فقد الذاكرة يرحل من مكان إلى آخر بحثاً عن اسم وهوية ... وعن طريق احتكاكه بالكثير من فاقدي الذاكرة مثله ، يرجع إلى بيته ويتذكر كل شيء ..

أما الروائية — الكندية الأصل — أنطونين مايه ، فقد فازت بالجائزة عام ١٩٧٩ م ، عن رواية « بيلاجي لا شاريت » .. وهي رواية تدور في إطار تاريخي خلال القرن السابع عشر ، من خلال امرأة تدعى بيلاجي ، تشترك في الحرب القائمة بين الإنجليز والفرنسيين ، وتغرم بكابتن عجوز تحاول من خلاله تحقيق حلمها وهو الاستقرار .. فتشتري عربة تنتقل بها من مكان لآخر ، إلا أنها تموت قبل أن تسدد ثمنها .. أما أحدث من فاز بهذه الجائزة في نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٨٠ م ، فهو ايف نافار ، عن روايته « حديقة الحيوانات » .

محمود قاسم
الإسكندرية

- « **أزمة المثقف التونسي** من خلال القصة » ، تأليف **الحفناوي الماجري** ، صدر في **تونس** .
- « **النباتات الطبية** — زراعتها ، مكوناتها » ، تأليف **فوزي طه قطب حسين** ، صدر عن **الدار العربية للكتاب بتونس** .
- « **حاتم المكي** » ، صدر عن **دار سيراس للنشر** .
- « **أولاد الحفيانة** » ، تأليف **عبد القادر بالحاج نصر** ، صدر عن **الدار التونسية للنشر** .



مهرجان ثقافي

أقامت **كلية البحرين الجامعية للعلوم والتربية والآداب مهرجاناً ثقافياً** عرضت فيه الكتب العلمية والأدبية باللغات الثلاث العربية والإنجليزية والفرنسية إلى جانب عروض سينمائية ومجسمات للوسائل التعليمية في مختلف الفنون والمعرفة .



★ بدر شاكر السياب ★

فرنسا :

قصائد السياب إلى الفرنسية

قام (**أندريه ميكيل**) وهو أحد الأساتذة العاملين في « **الكولج دي فرانس** » **بترجمة** قصائد الشاعر العراقي (**بدر شاكر السياب**) وذلك بهدف التعريف بالفكر العربي في فرنسا ، وقد صدرت هذه الترجمة في كتاب عن « **دار السندباد** » بباريس .



معرض لأعمال الرسام دافنشي

أقيم في **نيويورك** بمتحف « **متروبليتان** » معرض **لأشهر أعمال الرسام العالمي** « **ليوناردو دافنشي** » الذي اشتهر **برسم الطبيعة** استمر أسبوعاً عرضت فيه لوحة « فرع الشجرة البتولا » ولوحة « الإبحار عبر النهر » و « ساق زهرة الزئبق » و « ثورة الجبل » التي تعتبر شاهدة على حبه الشديد لرسم الطبيعة ، والمعروف أن (دافنشي) ولد عام ١٤٥٢ م ، وتوفي عام ١٥١٩ م ، وأشهر أعماله لوحة « الجيوكاندة » أو الموناليزا .

ألمانيا :

مجلد عن بلدان الخليج

إنتهت جامعة (**جون هوبكينز**) الألمانية من **طباعة مجلد عن بلدان الخليج** جعلت عنوانه « **نظرة عامة على دول الخليج** » محتوياً على تحليلات وإحصائيات **حول الأوضاع الداخلية والدولية في هذه البلدان** ، كما يستعرض **الشؤون التاريخية والثقافية** وكذا **الفلسفية والإنمائية** في كل من **المملكة العربية السعودية والكويت** وغيرها ، كما اشتمل على **فصول في الفن والأدب والسياسة والاقتصاد** .

معرض عن أعمال كلاوس مان

أقيم في **فرايبورغ** ، **وفيز بادن** ، **ودسلدورف** معرض عن أعمال الكاتب الألماني « **كلاوس مان ١٨٧٠ ـ ١٩٥٥** » والذي حاز على



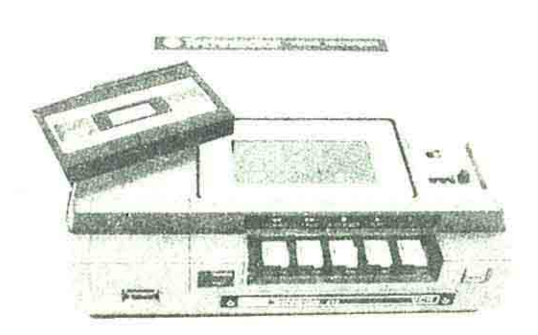
● أخف جهاز تسجيل مرئي (فيديو) ●

أنتجت شركة فوناي إلكتريك اليابانية Funai Electric في مدينة (أوزاكا) أصغر وأخف جهاز تسجيل مرئي (فيديو) V.C.R وبدأ تسويقها في اليابان .

والمسجل الجديد يزن سبعة أرطال إنكليزية فقط (٣,٥ كغ) ويستخدم فيها شريط (فيديو) يختلف عن غيره ، إذ إن عرضه ربع بوصة ويعمل داخل علبة (كاسيت) ويسجل لمدة نصف ساعة ، ويبدو ـ من حيث المظهر ـ أكبر قليلاً من أشرطة التسجيل الصوتي (الكاسيت) العادية . وسوف يتم تسويق هذه الآلة في الولايات المتحدة أيضاً .

وتأتي الآلة الجديدة كاملة مع بقية أدواتها لاستخدامها في التسجيل خارج البيت ، وهي مجهزة بمركم كهربائي (بطارية) من نوع نيكل ـ كادميوم قابلة لإعادة الشحن بالتيار الكهربائي ، وتكفي الكهرباء المخزونة فيها للتسجيل لمدة (٤٠) دقيقة ، كما أنها تكفي لمدة (٨٠) دقيقة في حالة العرض وإعادة الاستماع ، ويمكن لهذا الجهاز أن يعمل على الكهرباء أيضاً كما يعمل على مركم (بطارية) السيارة إذا كان جهده (١٢) فولتاً .

ويقول مصممو الآلة إنها بحجمها الصغير (٣ × ١٠ × ١٠ بوصة) ستكون آلة مثالية من حيث استخدامها في المكاتب . كما أن آلة التصوير المرافقة لها سهلة الاستخدام . ويمكن لهذه الآلة أيضاً أن تسجل مباشرة من المرناة (التلفزيون) . ويبلغ سعرها حوالي ألف دولار أميركي .





★ فلاديمير شاغال ★ ★ رشاد أبو شاور ★

جائزة نوبل عام ١٩٢٠م ، نشر رواية واحدة تحت عنوان «مافسيتو» أي الشيطان .

ندوة عن فلوبير

عقدت في (جامعة بيفلد) الألمانية ندوة عن أدب الكاتب الفرنسي «فلوبير» وأبحاثه عن الشرق وذلك خلال شهر مايو (أيار) ١٩٨١م ، ولمدة ستة أيام ، اشترك في الندوة علماء النفس والاجتماع والأدب من بريطانيا ، وألمانيا ، وسويسرا ، وهولندا وذلك بهدف دراسة أبحاث هذا الكاتب وعلاقته بالشرق .

بولندا

ترجمة معاني القرآن الكريم إلى البولندية

قام أحد أساتذة معهد الدراسات التابع «لأكاديمية العلوم البولندية» بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة البولندية استغرقت هذه الترجمة خمساً وثلاثين سنة وذلك بهدف تعليم المسلمين هناك لمعاني هذا القرآن الكريم وبلغتهم حيث يصل عددهم بضعة آلاف ينتمون إلى أصول تركية وتتارية ومعظمهم يقيم في (وارسو) .

بلغاريا

★ أحدث الكتب ★

● «مثيولوجيا الشرق» ، دراسة حول الأساطير الشرقية القديمة في كل من مصر ، العراق ، فلسطين في عصر ما قبل الميلاد ، تأليف أندريوفتس ميكلوف ، صدرت في العاصمة صوفيا .

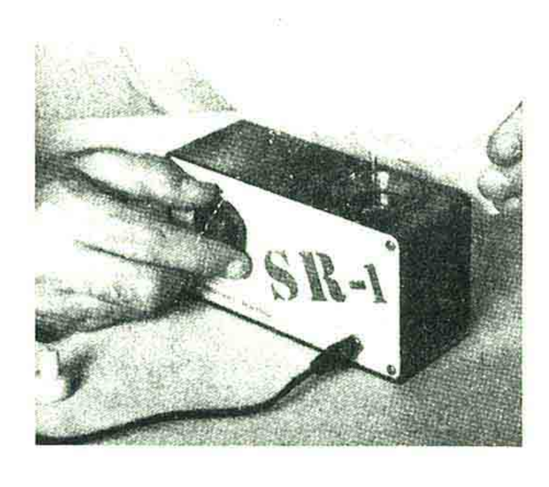


روسيا

رواية فلسطينية إلى الروسية

قام المستعرب السوفياتي (فلاديمير شاغال) بترجمة رواية الكاتب الفلسطيني رشاد أبو شاور (البكاء على صدر الحبيب) إلى الروسية وقد نشرت في مجلة «الآداب الأجنبية» السوفياتية مع ملحق خاص بالأدب الفلسطيني متضمناً ترجمة قصص لعدد من الكتّاب الفلسطينيين .

● مذياع يعمل بالماء والملح لمدة طويلة ●



استطاعت مختبرات جونسون الأمريكية Johnson laboratories INC. N.Y أن تصنع مذياعاً (راديو) جديداً يعمل بمركم كهربائي (بطارية) لمدة غير محدودة ، وهو يستقبل الموجات ذات تعديل السعة A.M. والشيء الجديد في هذا المذياع هو المركم الكهربائي الذي يعمل بالماء والملح ، وقد تم تطويره منذ حوالي عشر سنوات لاستخدامه في آلات خاصة تعمل تحت سطح مياه البحار .

وقد أطلق على المذياع الجديد اسم SR-I survival Radio ، وهو جاهز للعمل دوماً ، وما على المستمع سوى أن يضيف بعض الماء مع قليل من الملح إلى المركم الكهربائي الذي يحتويه المذياع ، وهو مركم فريد من نوعه ، مصنوع من خلائط المغنزيوم ويعمل عن طريق التحليل الكهربائي electrolysis لماء البحر ، ويعمل لمدة عشرة آلاف ساعة وباستمرار . وإذا قمنا بطرح الماء المستخدم واستبداله بماء مالح جديد ، فإن هذا المركم يستطيع أن يعمل لمدة طويلة جداً وبصورة مستمرة .

ويأتي المذياع الجديد SR-I كاملاً مع المركم (البطارية) وسماعة أذن وسماعتين رأسيتين Headphones وهوائي يمكنه التقاط المحطات التي تبث من مئات الأميال .

ومن الجدير بالذكر إنه إذا لم يتوفر الماء والملح ، فإن المركم يمكنه أن يعمل على سوائل أخرى مثل محلول الصودا الغازية أو ماء مشع السيارة (الراديتور) . ويبلغ سعر الراديو (٢٥) دولاراً .

اللغة العربية

وآثارها وراء

إن صلة العرب عموماً ، والمغاربة خصوصاً ، بالقارة الأمريكية ليست وليدة الكشف في آخر القرن الخامس عشر الميلادي عما يسمى بالقارة الجديدة ، بل هي عريقة في التاريخ تمتد جذورها إلى ما قبل الميلاد ، فقد انتقل الفينيقيون الكنعانيون العرب من الشمال الإفريقي بعد هدم القائد الروماني (سيبيون) لمدينة (قرطاج) عام ١٤٦ ق . م . إلى مناطق من المحيط الأطلنطيكي ، أدى بهم التطواف حولها طوال ثلاث سنوات للوصول إلى أمريكا الجنوبية .. حيث أسسوا مراكز تجارية تشهد الحفريات بوجودها بعيد هذا التاريخ بقليل .

ويتجلى ذلك بصورة واضحة من الرخامة التي كشفها **الدكتور البرازيلي السيد (الأديزلونيتو)**[١] وهي تحمل تاريخ ١٢٥ ق . م . أي بعد احتلال الرومان لقرطاج ، غب نزوح الفينيقيين عنها بنحو العشرين سنة ، وهي مكتوبة باللغة البونية Langue Punique حيث توجد عشرات الألفاظ والتراكيب مفرغة في قالب عربي ، مع تحريف لا يخفى حتى على غير الاختصاصيين في فقه اللغة وعلم الاشتقاق[٢] .

ومعلوم أن اللغة البونية تركزت في المنطقة في أعقاب انتشار الحضارة الفينيقية إنطلاقاً من **مدينة (قرطاج)** على طول ساحل الشمال الإفريقي غربي البحر الأبيض المتوسط[٣] . **وقد بدأت البونية تختلف تدريجياً عن الفينيقية الكنعانية تحت تأثير اللهجات المحلية أي البربرية التي تأثرت هي الأخرى بهجرة أهل اليمن من (حمير)** في فترات متوالية ، خاصة بين مصامدة الأطلس الكبير ، وصنهاجة الأطلس الأوسط ، وكتامة السهول[٤] .

كولومبس يسترشد بابن رشد

وقد بدأت اللغة البونية تتوغل بعمق في ربوع **المغرب الأقصى** حوالي عام ٤٨٠ ق . م . بعدما تسربت فلولها منذ عام ١١٠١ ق . م . وهو تاريخ **تأسيس مدينة (ليسكوس Liscus)** الفينيقية[٥] ، **وظلت البونية متغلغلة في البادية المغربية** ـ حسب تأكيدات **الأسقف الإفريقي (سان ـ أغسطين)** Saint-Augustin إلى عهد الفتح الإسلامي **في حين اندرست لغة الرومان باندراس معالم الحضارة اللاتينية** التي تطورت في نطاق محدود لم يتجاوز مثلثاً تمتد أضلاعه من «**طنجة**» إلى «**وليلي**» إلى «**شالة**» مع سلسلة من المدن الرومانية على طول شاطئ المحيط[٦] .

وقد أعاد التاريخ نفسه .. فكان (**ابن رشد**) الطبيب الفيلسوف (المتوفي عام ٥٩٥ هـ/١١٩٩ م) ، أول من تحدث عن القارة الجديدة في (**بلاط الموحدين**) **بمراكش** ، ومنه انطلقت فكرة وجود أرض يابسة وراء المحيط ، وقد اعترف (**كريستوف كولومبس**) نفسه[٧] بأنه لم يشعر بهذا الوجود إلا بعد قراءة كتاب (**الكليات**) في الطب لابن رشد (في مخطوطته اللاتينية) ، على أن مجلة (**نيوزيك**) الأمريكية[٨] **قد** أكدت أن العرب انطلقوا قبل عام ١١٠٠ م (أي عام ٩٤٩ هـ) أي قبل (كريستوف كولومبس) بأربعة قرون من (**أنفا**) ، أي (**الدار البيضاء**



★ ابن رشد ★ ★ كولمبوس ★ ★ طارق بن زياد ★

المحيط الاطلنطيكي

بقلم : عبد العزيز بن سعيد الله

الحالية) فرسوا في عدة مواضع على الساحل الأميريكي .

وقد حدثنا **الشريف الإدريسي** في نزهته عن (**الفتية المغررين**) الذين غامروا انطلاقاً من (**مرسى أسفي**)(٩) في ثبج المحيط ، ووصلوا إلى بعض الجزر النائية .. كل ذلك إنسياقاً مع ما أشيع آنذاك خاصة **بالأندلس** من احتواء غرب (المحيط الأطلنطيكي) على جزر مكثفة تستحيل في نهاية المطاف إلى أرض يابسة شاسعة .

لماذا كان الإسبان .. أول المهاجرين إلى أميريكا ؟

وقد اقترن الكشف عن العالم الجديد آخر القرن الخامس عشر الميلادي (١٤٩٢ م) بانتهاء الوجود العربي بالأندلس ، وطموح الإسبان إلى التوسع المزدوج في كل من أميريكا وسواحل المغرب في نطاق الحملة المعروفة بـ Reconquista ، ولم نستبن من خلال النصوص التاريخية التحاق الأندلسيين المطرودين من (**شبه الجزيرة الأيبيرية**) ، من مسلمين ويهود بغير الأقطار العربية الممتدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، بحيث يصعب العثور على أي أثر لهم في القارة الأميريكية ، في هذه الفترة .. لأن الإسبان تعقبوهم تقتيلاً وتهجيراً فلم يسعهم إلا أن ينساحوا ـ علاوة على المغرب ـ في البلاد الإسلامية التي كانت آنذاك خاضعة للدولة العثمانية لا سيما بعد دخول **سليمان القانوني إلى الخليج العربي** عام ٩٤٣ هـ/ ١٥٤٠ م ، ومنازلة البرتغاليين الذين هزمهم المغرب عام ٩٨٦ هـ/١٥٧٨ م ، في (**وادي المخازن**) المعروفة بمعركة الملوك الثلاثة .

فالإسبان إذن قد انفردوا وحدهم بالهجرة إلى أميريكا الجنوبية بينما التحق الفرنسيون والإنجليز بالجزء الشمالي من القارة ، وقد نقل الإسبان إلى العالم الجديد حضارة الأندلس بما انطبع فيها من تقاليد عربية ، وخاصة التعابير التي تبلور هذه الحضارة ، والتي كان للغة الضاد الأثر العميق في وسمها وتكييفها إلى أواخر القرن الماضي ، فقد ذكر بعض الباحثين **أن المفردات العربية التي دخلت إلى اللغة الإسبانية تقدر بربع محتويات القاموس الإسباني .. بينما دخلت إلى اللغة البرتغالية ثلاثة آلاف كلمة عربية** .

وقد صنّف **الأب ساسا باتيستا** الذي ولد في دمشق من أبوين عربيين قاموساً عام ١٧٨٩ م ، جمع فيه الكلمات التي اقتبستها البرتغال من العربية ، وهذا القاموس يقع في مائة وستين صفحة ، كما ألّف « **دوزي** » و « **انجلمان** » قاموساً للكلمات الإسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية ،

وتوجد في مكتبة « **الأسكوريال** » **معاجم عربية يونانية وعربية لاتينية وعربية إسبانية صنفها علماء مسلمون** . وقد كان للمغرب حظه في هذا التأثير اللغوي على الأندلس الذي استمر حكمه لها نحواً من ثلاثة قرون . أما البرتغاليون الذين عاشوا في المغرب فقد ذكر « **شافرو بيير** » .. في كتابه « **تاريخ المغرب** » ١٧٣٠ م ، أن الجالية التي كانت بالمغرب في القرن السابع عشر كانت تتراسل بعربية حشوها تعابير مغربية وتكتب مراسلاتها بالحروف العربية .

وقد نقل **دوزي** عن صاحب كتاب « **لويس ، وزارايبس دوطوليد** » أن **العربية ظلت أداة الثقافة والفكر في إسبانيا إلى عام ١٥٧٠ م** . ففي ناحية **بلنسية** استعملت بعض القرى الإسبانية العربية كلغة لها ، إلى أوائل القرن التاسع عشر ، وقد جمع أحد أساتذة **كلية مدريد** ١١٥١ عقداً في موضوع **البيوع** (**محرراً بالعربية كنموذج للعقود التي كان الإسبان يستعملونها في الأندلس**)[١٠] . على أن البرتغاليين الذين عاشوا بالمغرب كانوا يرفضون الهجرة البرتغالية إلى أميركا بعد أن تأثروا إلى حد بعيد بلغة الضاد[١١] .

علاقة المغرب بإنجلترا وأوروبا

ومن جهة أخرى . . صار المغرب منذ أواخر القرن السادس عشر الميلادي (أي العاشر الهجري) **حسن الأحدوثة ، ذائع الصيت في أوروبا ، وخاصة إنجلترا ، إثر انتصاره في معركة وادي المخازن** ، مما حدا بريطانيا العظمى إلى خطب ود **السلطان أحمد المنصور السعدي** ، واقتراح احتلال مشترك لـ « **دومينون** » الهند والمغامرة في قضية (**أنطونيو**) المشهورة .

وقد بلغ هذا الصيت مبلغاً رسم عن الأفارقة في المغرب وصحرائه أروع الصور وأمثلها مما حدا بكبار رجالات الفكر أمثال **شكسبير** (الذي توفي عام ١٦١٦ م) إلى التغني بهذه المثالية في رواية (**عطيل المغربي** (Othelo) ، التي كانت من آخر ما أنتج من مسرحيات (عام ١٦٠٤ م) ، وكانت عوامل القلق الوطني قد حزت في نفوس الإنجليز كما تبلورت أخطاء إنجلترا السياسية لا سيما في آخر عهد **الملكة إيليزابيث** (Elizabeth) (التي توفيت عام ١٦٠٣ م) وشجعت احتلال **فيرجنيا** (Virginie) إحدى الولايات المتحدة الأميركية .

وقد أمسى لإنجلترا ارتباط قوي بالمغرب إبان احتلالها لطنجة . . غير أنها اضطرت تحت ضغوط **المولى إسماعيل** أن تجلو عن المنطقة لتحتل (**جبل طارق**) (عام ١١١٧هـ) ١٧٠٥ م ، وكانت قد تبوأت المقام الأول في التبادل الاقتصادي مع المغرب طوال أربعين سنة ابتداء من ١٦٨٨ م ، حيث توقفت العلاقات بين **المغرب وفرنسا** ، وقد واصل حفيد **المولى إسماعيل السلطان سيدي محمد بن عبد الله** علاقاته الدولية مع الخارج في أسلوب دولي جديد اعتبر بادرة قيمة في التشريع المعاصر[١٢] ، وقد تجاوزت هذه العلاقات الصلات التقليدية إلى الدول السكندنافية وإنجلترا والولايات المتحدة الحديثة العهد بالتحرر . . فكان **سلطان المغرب المولى محمد بن عبد الله أول من شجع الحركة التحريرية الأميركية** ، حيث سارع قبل الجميع إلى الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة . وقد عقد قبل وفاته ببضع سنوات معاهدة تجارة ، وملاحة لمدة **خمسين سنة** مع الولايات المتحدة ، وهذه المعاهدة المؤرخة بـ١٦ يوليو (تموز) ١٧٨٦ م ، قد جددت عام ١٨٦٣ م .

ولكن مما لا شك فيه أن الهجرات اليهودية إلى أميركا قد توالت منذ النفي العام بالأندلس ، ولكن بصورة فردية ، كما تم ذلك منذ استقلال المغرب ، وتأسيس دويلة إسرائيل ، حيث هاجرت عائلات يهودية مغربية بكاملها إلى كندا والولايات المتحدة ، وما زالت هذه العائلات تحتفظ بعاداتها المغربية وتستعمل لهجتنا الدارجة في أحاديثها المنزلية .

أثر اللغة العربية .. في اللسان العبري

وقد كان للغة العربية عبر العصور تأثير قوي من خلال عامية المغرب والأندلس على العبرية التي باتت تنشر في أوروبا والعربية المطعمة بالدخيل المغربي ، حيث لم يستطع رجالات الفكر اليهود من شراح (**التلمود**) ، فهم الكثير من نصوصه إلا استعانة باللغة العربية .

ودعماً لهذه النظرية لا نرى مناصاً من رسم صورة عن تطور هذا الرصيد منذ الفتح الإسلامي بالمغرب ، إلى عصرنا الحاضر . . فإذا كانت **النبطية والعبرية** لهجتين من لهجات العرب القديمة كما يقول الأستاذ الكبير المرحوم **عباس محمود العقاد** ، فإن الإسرائيليين قد طعموا بعد الإسلام كثيراً من المعطيات العبرية بعناصر عربية ، فمن المعلوم أن فلولا من اليهود قد دخلت إلى المغرب مع البربر النازحين من فلسطين ، ثم بعد ذلك بقرون عندما تم إجلاؤهم من الجزيرة العربية إثر **وقعة خيبر** ، وقد انضم عدد منهم إلى الجيش العربي الفاتح بقيادة **طارق بن زياد**[١٣] خلال زحفه على الأندلس ، وتظاهروا في عهد **الأدارسة العلويين** بالحنين إلى مسقط رأسهم بالمشرق فتشبثوا برعويتهم للعباسيين ، تلك الرعوية التي لم تكن في الواقع سوى **مظهر للفت في عضد الدولة الإسلامية الناشئة بالمغرب** ، وذلك رغم حماية الأدارسة لليهود طوال قرنين[١٤] ، حيث انتقلوا إلى فاس منذ اعتلاء **المولى إدريس الثاني** أريكة العرش المغربي عام ١٨٨٠ هـ متواردين من **القيروان ومصر وبابل وفارس** .

وقد انبثقت في **القيروان** قبل ذلك **حركة فكرية تلمودية** ما لبثت أن ازدهرت بفاس في عهد المرابطين والموحدين ، وإن كانت حركة التطهير التي قام بها **المهدي بن تومرت** وخلفاؤه ، قد شملت المسلمين والإسرائيليين على السواء عدا الجالية اليهودية بطنجة التي لم يقدر لها أن تخوض غمار الدسائس المرابطية . . مما يدل على أن القمع الموحدي قد اتسم بطابع سياسي لا أثر فيه لأي عامل ديني أو سلالي ، وقد استوطن **موسى بن ميمون** صاحب « **دليل الحائرين** » مدينة **فاس**[١٥] التي « أصبحت ــ كما يقول **البكري**[١٦] ــ أكثر بلاد المغرب يهوداً يختلفون منها إلى جميع الآفاق » .

وقد استعمل اليهود اللغة العربية في كتاباتهم ومحاوراتهم منذ القرن الثالث الهجري في مجموع إفريقيا الشمالية[١٧] كما أصبح كتاب (**سيبويه**) في النحو منطلقاً لتجديد النحو العبري بفاس[١٨] منذ القرن الرابع .

ولقد ظهر في هذا العصر كثير من اليهود بالأندلس، والمغرب كان لهم أثر كبير في بعث اللسان العبري والدراسة التلمودية، ودعم الحركة العلمية من خلال اللغة العربية، فقد ظهر حوالي ٩٦٠م/٣٤٩هـ، عالم يهودي أندلسي هو (**مناحم بن سروق**) حاول، في معجم شهير معروف باسم «**محبرت**»، الاعتناء بلغة (**العهد القديم**) فتصدى الحبر الفاسي (**دونش بن لبرات**) للدعوة إلى فكرة جريئة هي **وجوب العناية بالعربية، والاستعانة بها في فهم مصطلحات «العهد القديم»**، وضرب لذلك مثلاً بنحو مائتي كلمة عبرية ما كان لأحبار التلمود أن يستكنهوا معانيها لولا رجوعهم إلى اللغة العربية. وقد حدث منذ هذا العصر بفاس صراع بين أنصار التعريب وخصومه (أي أنصار تعريب العبرية) حيث نجد (**أبا زكرياء يحيى بن داود حيوج الفاسي**) يرحل إلى **قرطبة** أوائل القرن الحادي عشر الميلادي للاقتباس من آراء مناحم المذكور، وقد تزعم الحركة الهادفة إلى إحياء التراث العبري، فكان بحق المؤسس الأول لعلم «**فقه اللغة العبرية**».

وقد استطاع بفضل ضلاعته في اللغة العربية **تركيز قواعد العبرية التي استكمل نقصها بالمصطلحات العربية** (**أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي**) المولود في النصف الأول من القرن الحادي عشر، والذي ألّف كتاب «**كتاب الأصول**» مؤلفات عربية كخصائص (**ابن جني**) في فلسفة أصول الكلمات وتخريجها التخريج اللغوي السليم.

ومن آثار العربية في اللسان العبري ما لاحظه (**يهودا بن تبون**) مثل كلمة «**فافهم**» التي أصبحت تختم بها الرسائل والكتب العبرية وصيغ عربية كمتفلسفة (**متفلسفيم**) ومتكلمين، ولعل **أول من وضع كتبا في قواعد اللغة العبرية هم يهود العراق**، كما أن **أول من وضع معجماً لغوياً عبرياً هو الحاخام سعديا**[١٩] **الفيومي المصري** (٨٩٢ ـ ٩٤٢م) وقد لفت (**يهودا بن قريش**) صاحب كتاب «**فقه اللغة المقارن**» Philolgie Comparée، يهود الشمال الإفريقي إلى وجوب المزيد من العناية بالعربية، تعزيزاً لفهم أسرار العبرية والعهد القديم، ووضع قاموساً عبرياً لم يصلنا، بينما وضع معاصره (**داود بن إبراهيم**) الفاسي قاموساً سماه «**أجرون**» يحمل نفس الاسم، ويتسم بنفس القيمة، مع شرح بالعربية للألفاظ العبرية، **وكان (يهودا بن قريش) يستشهد في مؤلفاته بالشعر العربي**[٢٠] كما سار (**ابن جناح**) وخلفه في تصانيفهم على منوال اللغويين والنحاة العرب وقلد (**الحريزي**) (**مقامات الحريري**)، فأدخل في الأدب العبري فناً جديداً لم يكن لليهود به عهد، وكذلك الأمثال العربية.

وقد ترجمت **أسرة (تبون)** إلى العبري عديداً من الكتب العربية في الفلسفة والطب والرياضيات والقصص الشعبي، أما (**إسحاق بن يعقوب الكوهن الملقب بالفاسي**)، (الذي ولد عام ٤٠٤هـ/١٠١٣م) في (**قلعة ابن أحمد**) قرب **فاس**، وتوفي بالوسينة بالأندلس عام ٤٩٧هـ (١١٠٣م) فله شرح على التلمود في عشرين مجلداً يعتبر لحد الآن من أهم كتب التشريع التلمودي، وله أيضاً ثلاثمائة وعشرون فتوى محررة كلها بالعربية، وقد أسس بالوسينة قرب **غرناطة** عام ١٠٨٩م، معهداً للدروس العليا التلمودية كان الطلاب يؤمونه من كل الجهات.

وقد توافد على المغرب من الأندلس يهود كثيرون فراراً من اضطهاد رجال التفتيش المسيحيين، فعززوا الحركة الفكرية العبرية والتلمودية، والتحق بهم يهود آخرون طردوا من إيطاليا عام ١٢٤٢م، ومن إنجلترا عام ١٢٩٠م، ومن هولندا عام ١٣٥٠م، ومن جنوب فرنسا عام ١٣٩٥م، بالإضافة إلى من هاجر منهم بعد النفي العام، حيث انتقلت إلى المغرب فلول أخرى من فرنسا وإنجلترا عام ١٤٠٣م، ومن إسبانيا عام ١٤٠٢م، ومن البرتغال عام ١٤٩٦م، فانتشرت جاليات يهودية في السهول والجبال والصحراء المغربية واستقرت عائلات أندلسية بكاملها في ناحية **دبدو** (جنوب غربي وجدة)، كما اتسع في فاس نطاق البيع والمدارس التلمودية[٢١].

وقد ظل يهود المغرب يدرسون العربية، ويكتبون بها على غرار يهود الأندلس حيث انتهى (**يهودا بن نيسم بن مالكا**) الفيلسوف المغربي بالعربية عام ١٣٦٥م، من تأليف كتابه «**أنس الغريب**»[٢٢] وكذلك شيخ التعاليم بفاس (**خلوف المغيلي**) الذي نزل عنده **أبو عبد الله الإبلي العبدري** شيخ **ابن خلدون** قبل أن يرتحل إلى **ابن البناء بمراكش**[٢٣].

تلك صور حية تبرز الدور الهام الذي قامت به المدارس اليهودية بالمغرب لتعزيز العلوم عامة، والدراسات التلمودية خاصة، من خلال اللغة العربية، علاوة على دعم اللسان العبري بأصول العربية وقواعدها. ولا تزال لغة اليهود إلى الآن في الحواضر والبوادي المغربية هي العربية اعتراها ما اعترى العامية من تحريف كما يتجلى ذلك من نص حرره يهود **مدينة** «**ميسور**» الواقعة على «**الملوية**» بالصحراء المغربية قبيل منتصف القرن العشرين[٢٤] هذا مطلعه:

«هذا السلطان نمرود ما كانش يعرف الله، على خاطر كان سلطان عظيم وقوي وأمر على الحكومة ديالوا باش يكونوا يبايعو قدامو ويعبده، على خاطر كان بقولهم هو الله ذي خلق الدنيا وكانوا الناس صاروا يعبده».

تأثر اللسان الإنجليزي والأمريكي باللهجات المغربية

وإذا كان اليهود المغاربة قد قاموا بدورهم كصلة وصل مع أوروبا نظراً لإلمامهم بلغاتها وخاصة منها الإسبانية التي ظل المهاجرون الأندلسيون من الإسرائيليين يستعملونها إلى آخر القرن الماضي[٢٥].. فإن اسهامهم كان أقوى في دعم العربية بالأندلس وفي التأثير في مهاجراتهم بأمريكا سواء منها الشمالية أو الجنوبية. وبالإضافة إلى العنصر الإسرائيلي يوجد **عنصر السود**[٢٦] **الذين هاجر معظمهم من القارة الإفريقية**؛ ومن بينهم الصحراويون السمر الذين نقلوا معهم إلى أمريكا عادات المغرب

ولهجاته، **والعنصر الزنجي** في الأمريكتين يشكل نسبة هامة في المجموع حيث بلغ عام ١٨٠٠ م، ضمن ثلاثة ملايين مهاجر إلى أمريكا الجنوبية حوالي الخمسين في المائة، بينما وصلت نسبة السود الذين هاجروا إلى أميريكا الشمالية (الأنجلوسكسونية) ثلثاً واحداً من المجموع.

ونعزز هذه النظرات التاريخية بلمحة عن مصطلحات يغلب استعمالها في المغرب انتقلت إلى أميريكا وأثرت في اللسان الإنجليزي الأميريكي منها[٢٧]:

★ **عابد (عبود)** abad, abbot

★ **أبز بصاحبه**: معناها ظلمه وبغى عليه abuse، ومنها (بَزْمته) أي بالرغم عنه.

★ **الطوب هو الآجر المشوي**: adobe (يغلب استعماله في المغرب والأندلس).

★ **عفريت**: afreet–afrit

★ **الله** Allah

★ **البرنس** albornoz

★ **الربع (وزن)** alfa ألفا arroba

★ **عنبر** ambar

★ **أنجر (مرساة)** anclar

★ **أوباش** apache (يطلق على هنود التكساس)

★ **عتيق (عريق في القدم)** attic

★ **القبة** alcove

★ **البور (أراضي البور)** boor (مادة «بارَ» أي لم يستعمل كالبضائع البائرة، والآنسة البائرة التي لم تتزوج).

★ **بوس (قبلة)** buse

★ **أزيز**: غمغمة وطنين استحالت في العامية المغربية إلى بزيز (buzz).

★ **بردعة** bard

★ **يسيج الدار** (أي يحيطها بسياج) besiege

★ **ودر** (أضاع وأربك في العامية) bewilder (be بادئة زائدة للدلالة على الفعل مثل belittle) ومنها الكلمة الفرنسية adirer

★ **لوم** blame

★ **قابلية** (يقصد بها في العامية المغربية الاستعداد للشيء) capability

★ **قب** cap, cape

★ **غراف**: (آنية يغرف فيها) carafe

★ **قط**: cat (chat بالفرنسية).

★ **كعك**: cake (وهو نوع من الفرنيات، تصنع مدورة ومحشوة باللوز والسكر).

★ **خملة**: (نسيج من وبر الجمل) camlet

★ **قنت**: (الزاوية والركن بالدارجة المغربية) cant



★ العقاد ★

★ **قفة**: coffin (couffin بالفرنسية).

★ **شنق**: (أصله شنف) chink

★ **جلطة**: clot (يقال خلط جلط بالمغرب).

★ **قطران**: coal tar

★ **دلى**: delve (وكذلك dangle).

★ **دافع**: (to) defend

★ **قاطع**: (من قطع) (to cut): cutter (ويطلق في العامية أيضاً على نوع من المرض يكاد يقطع الأطراف من الألم لتشنج عصبها).

★ **نور**: (lueur) flor (أي ضوء).

★ **نور**: (نَوَّار بالدارجة) flower

★ **فلس**: false

★ **فرن**: (الفران بالعامية) firring

★ **فز**: (أي فزع) ومنه استفزه feeze (يقال في العامية «مول الفز كيقفز» أي من أصيب قفز من التأثر أو الألم).

★ **فتش**: أي بحث (to) fetch

★ **الغول**: ghoul غالى (غل) gall

★ **كأس**: glass

★ **ظلام**: (ظلمة) gloom

★ **وز** (إوز) goose

★ **فنار**: flare (phane بالفرنسية).

★ **فلق**: (سوط للضرب يستخدم كثيراً في الكتاتيب لمعاقبة التلاميذ) Flog.

★ **غربل**: garble (كثير الاستعمال بالمغرب) و (منخل بالمشرق).

★ **جنة**: (يستعمل بالمغرب الجمع وهو جنان) garden (جُنَيْنة في المشرق) (لا يقال حديقة في المغرب كما يقال ذلك في المشرق).

★ **غرغر**: gargle (gargariser بالفرنسية).

★ **الزليجي**: glazed (حسب صاحب نفح الطيب بدل الزيج).

★ **قدماً**: (إلى الأمام) good (يقال قود بالكاف المعقوفة كما



★ الإدريسي ★

ينطق بها الإنجليز ومعناها جميل ومستقيم) .

★ **أحرش** : (أجش وخشن) harsh

★ **الزهر** : (بالعامية معناه الحظ) rasard ومنه تسمية لعب النرد بالزهر أي المخاطرة على الحظ .

★ **اسكت** : hist

★ **حوض** : (حُوض بالدارجة) hod

★ **قايد** : guide (باللغتين الفرنسية والإنجليزية) .

★ **قرقر** : gurgle

★ **أبله** : imbécile (باللغتين الفرنسية والإنجليزية) (بهل أو بهلول أيضاً) .

★ **حورية** : houri

★ **هول** : (عاصفة هوجاء) howl

★ **همهم** : hum

★ **عطل** : (عن العمل) (to) idle

★ **ياسمين** jessamine

★ **جمجم** jimjam (كمكم أيضاً) .

★ جَمَّد وأوقف (jammed) jam

★ **يمون** (limon) lime lemon (هو المعروف بالليم في المغرب وهو الليمون الصغير) .

★ **لعق** : (لحس) lick

★ **الكيف** : kef (اسم الحشيش المخدر بالعامية) .

★ **قنديل** : kindle (chandelle بالفرنسية) .

★ **قسمة** : (تستعمل بكثرة بدل نصيب) kismet

★ **كحل** : kohl (إثمد antimoine) .

★ **بلد** land

★ **عود** lute (luth بالفرنسية) .

★ **مخزن** magasin magazine (وهي الكلمة السائدة بالمغرب والأندلس للتعبير عن مكان المخزن ويعبر بها في الإنجليزية عن الهري لخزن السلاح أو مواد الغذاء أو التجهيز كما تطلق على الدورية لخزن الأخبار وهي عبارة عن الجريدة أو المجلة الدورية) .

★ **مشى** : (to) march (بالفرنسية marcher)

★ **مصطبة** : مكان للجلوس قليل الارتفاع من الأرض mastaba (كلمة كثيرة الاستعمال وخاصة في الكتاتيب القرآنية حيث تخصص للتلاميذ النجباء) .

★ **معنى** meaning

★ **مرابط** : marabout (يطلق في المغرب والأندلس على الصوفي أو المريد الزاهد) .

★ **مارد** : (بمعنى نهاب وخطاف) (maraudeur) marauder

★ **مثال** mettle

★ **موال** mewl (وهو اللحن العامي أي الملحون أو الأناشيد التي يرددها المنشدون فرادى على غرار الأغنية الحديثة) .

★ **مليط** : (من لا شعر له) . . يقال أملط بالعامية (molt) .

★ **مرين** : (بنو) merino (ناحية فجيج بالمغرب هي مركز زناتة من بني مرين وفيها الأصواف الناعمة ويطلق لفظ merinos على الغنم الناعم الصوف) .

★ **المر** : (الحبل) moor (amarrer بالفرنسية) muster

الحواشي

١ ــ ضمنها الجزء الأول من كتابه (الأنطروبولوجية) راجع أيضاً مجلة (تقويم المنصور) للأستاذ توفيق المدني (عدد ١٣٤٣هـ) حيث نشر صورة للرخامة وبحثاً حول كشف الفينيقيين للبرازيل ، وكتاباً حول وصول الفينيقيين إلى (كولومبيا) لإبراهيم هاجر صدر بالإسبانية في (بونس ــ أيريس) بالأرجنتين (مجلة المعرفة ، عدد ١٠ ــ دمشق) .

٢ ــ ففي الفقرة الأولى جملة حررت بالبونية هي : « هنا إحنا بني كنعان فرنم حقرة حمل » يمكن نقلها إلى عامية الشمال الإفريقي كما يلي : « هنا إحنا بني كنعان من فرانم حملنا الحقرة » ومعناها بالفصحى : « هنا نحن بني كنعان من فرانم تحملنا الاحتقار » وما زالت العامية المغربية تستعمل إلى الآن كلمة (حقرة) بمعنى احتقار وكلمة (إحنا) بمعنى نحن .

٣ ــ أوصل صديقنا المرحوم العلامة محمد المختار السوسي الألفاظ البربرية العربية الأصل إلى أزيد من خمسة آلاف في دراسة مقارنة ما زالت مخطوطة وهي في معظمها كلمات ظاهرة المصدر العربي الجاهلي الأصيل تندرج في ضروريات الحياة البدائية وتعتبر من أبرز مقومات اللغة في المجتمعات البشرية الناشئة كان البرابرة يستعملونها منذ أعرق العصور في مخاطباتهم اليومية (راجع كتابنا تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث . ط . القاهرة ١٩٦٩م ، ص ٢٦) .

٤ ــ أنكر ابن خلدون نقلاً عن (ابن حزم) عروبة هذه القبائل رغم إجماع نسابة العرب على ذلك مستنداً إلى أن مؤرخي مصر لم يشيروا إلى مرور الحميريين من (دلتا) النيل ، وهي دعوى واهية ، لأن المرور كان من الصحراء الجنوبية عن طريق (بحر القلزم) وهو ممر أقرب إلى المغرب ، وكان

مطروقاً إلى القرن الثالث الهجري حسب (ابن خرداذبه) ثم القرن العاشر حسب (الحسن بن محمد الوزان) (المعروف بليون الإفريقي) الذي رافق إحدى القوافل في هذه الطريق ومظاهر الشبه والوحدة القائمة اليوم بين اليمن والمغرب تشهد بصحة ذلك خاصة في ميدان الموسيقى والرقص والهندسة المعمارية واللهجة . وقد وردت على المغرب من (عمان) فرقة فولكلورية لهجتها قريبة جداً من (تشلحيت) وقد نشر المؤرخ الألماني Helprit كتاباً بعنوان (البلاد بدون ظل) (Le Pays Sans Ombre) أبرز فيه مجالي هذه الوحدة .

٥ ـ تقع قرب (**العرائش**) وهي التي بنيت على أنقاضها مدينة (**تشمس**) الإسلامية (راجع كتابنا (الفن المغربي) باللغتين العربية والفرنسية .

٦ ـ عاشت الجالية الرومانية ضمن هذه المدن في قفص مقفل بعيدة عن المجتمع البربري المحيط بها وقد اعترف بهذه الظاهرة مؤرخون غربيون دهشوا أمام هذا التجاوب العميق بين الفينيقيين والمغاربة مما مهد للفتح الإسلامي بانتشار « لغة قريبة من العربية » قبل الميلاد بقرون .

–(Siecles Obscurs du Maghreb) Par Gautier

–(moeurs et coutumes des Musulmans)–Surdon

وذلك **خلافاً لما ذكره أبو سالم العياشي** في رحلته (ج ١ ص ٥٣) من أنه « **لا عربية في المغرب قبل الإسلام اتفاقاً** » فكلمة (**قرطاج**) مثلاً أصلها (**قرية حداش**) (صحفت إلى قرتاش بتعطيش الجيم) القرية الحديثة بالنسبة لأول مدينة فينيقية أسست في المنطقة وهي (Utique) في نفس العام الذي أسست فيه مدينة (لوسكوس) المغربية وكذلك (حنبعل) Hannibal أصله حن (من الحنين) ، وبعل أي نعمة الله ، وكان اسم أبيه هو (**هاملكار**) Hamilcar أي حامي القرية وهو الذي حارب الرومان في صقلية .

٧ ـ أكد ذلك رونان في كتابه :

(Averroès et L'Averroïsme Paris 1923)

٨ ـ في (عدد أبريل (نيسان) ١٩٦٠ م) .

٩ ـ وقد شارك مغربي من مدينة أزمور في حملة (**فلوريدا**) Florida عام ١٥٢٧ م ، ونجا منها مما فسح له مجال التجول عدة سنوات جنوبي الولايات المتحدة من حيث التحق بمنطقة (إسبانيا الجديدة) .

ويظهر أن بعض الصلات استوثقت بين جنوب المغرب وأمريكا بعد اكتشافها بنحو ثلاثة عقود من السنين . . ذلك أن خبر جودة شمع منطقة (**أسفي**) وعسلها قد طرق سمع الناس في (المكسيك) و (أمريكا الوسطى) حوالي عام ١٥٢٤ م ، عن طريق راهب مسيحي عاش في (إسبانيا الجديدة) (وتوفي عام ١٥٦٩ م) (مجلة هسبريس ، م ١٧ ، ص ١٩٣٣ ، ص ٩٢) .

١٠ ـ راجع كتابنا (تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث) ، طبعة القاهرة ١٩٦٩ م ، ص ١٧٤ ـ ١٧٩ . ويقال بأن البرتغاليين النازحين عن (**البريجة**) وهي مدينة (**الجديدة**) توجهوا إلى (**البرازيل**) وأسسوا مدينة سموها « **مازاكان الجديدة** » ، **ومانزاغان** هو الاسم القديم **للجديدة** .

١١ ـ (راجع كتابنا « تاريخ المغرب » ج ٢ ، ص ٣٩) .

١٢ ـ وصفه الأستاذ كايي Caillé في كتاب ضمنه مجموعة المعاهدات والوثائق التي أبرمها السلطان مع أوروبا آنذاك ذاكراً أن السلطان سبق الغربيين إلى وضع بعض مبادئ القانون الدولي والتشريعات الجديدة التي أصبحت أساساً للعلائق الأممية في القرن العشرين .

١٣ ـ طوليدانو في (Ner Hamarp) .

١٤ ـ كما اعترف بذلك حبر الجزائر الأكبر موريس ايزانبيل Maurice Eisenbelh .

١٥ ـ حيث كان يسكن الدار المعروفة بدار المجانة حسب وثيقة يهودية عثر عليها بفاس يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر الميلادي . Chronique) Semach P. 83)

١٦ ـ المسالك والممالك ص ١١٥ .

١٧ ـ تاريخ المغرب ـ كودار ، ج ٢ ، ص ٤٥٣ (Godard) .

١٨ ـ ماسينيون Massignon مجموعة البحوث والمحاضرات ـ مؤتمر مجمع اللغة العربية ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ ص ٢١٨ .

١٩ ـ أبو سعيد بن يوسف الذي يعتبر واضع الفلسفة اليهودية في العصور الوسطى ، وقد صنّف ترجمة عربية للعهد القديم واستكمل قانون الميراث اليهودي مستعيناً بالشريعة الإسلامية .

٢٠ ـ « محاضرات من الأدب العبري » للدكتور فؤاد حسنين علي ـ طبعة الجامعة العربية ١٩٦٣ ، ص ١٤٧ .

٢١ ـ حسبما رواه مؤلف Yahas Fes بالنسبة لعام ١٥٠٨ م .

٢٢ ـ عام ١٣٦٥ م ، يوافق ٥١٢٥ من السنة العبرية .

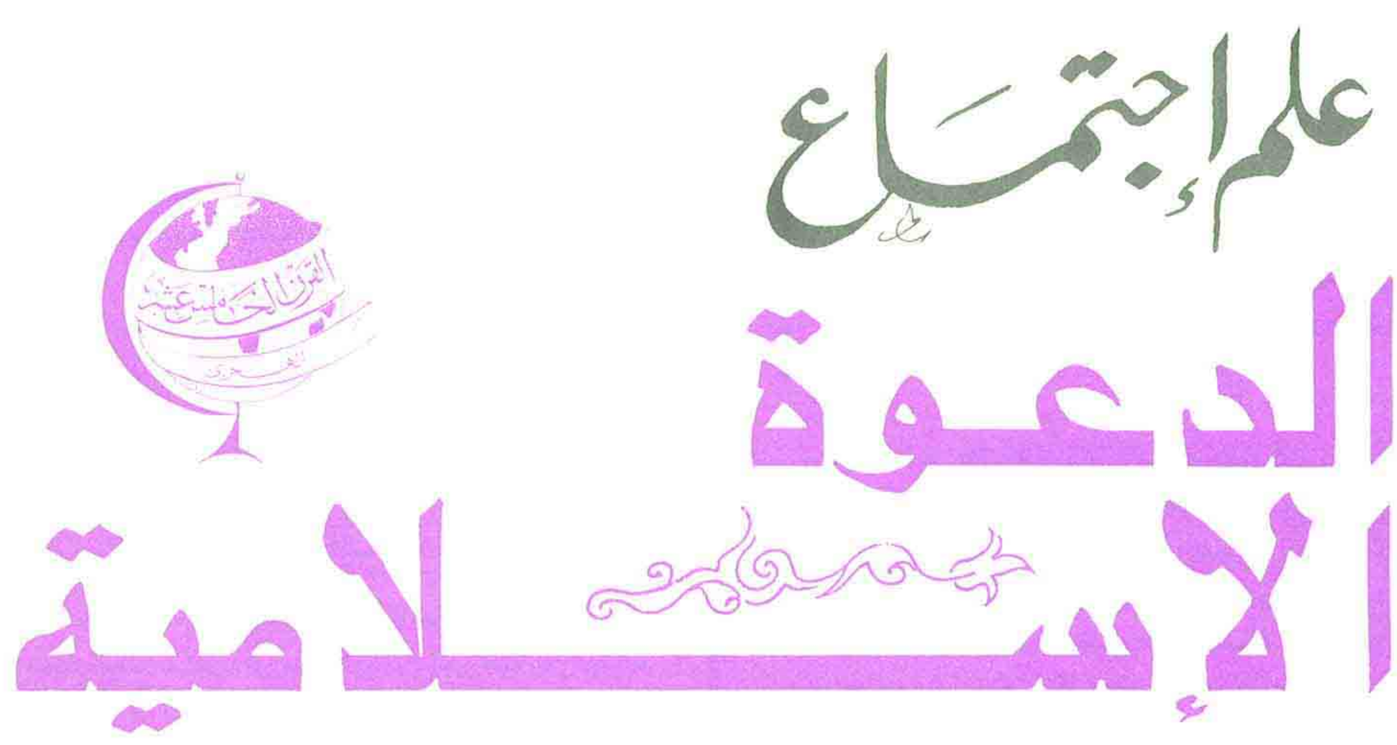
٢٣ ـ طبقات الشعراني ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .

٢٤ ـ عام ١٥٩٢ م ويلاحظ من قراءة هذا النص أن اليهود يرخمون أداة الوصل الذي إلى ذي بينما يرخمها المسلمون غالباً إلى إلي .

٢٥ ـ لاحظ (لوطورنو) في كتابه « فاس قبل الحماية » (ص ١٨٣) استعمالها إلى عهد ملك المغرب مولانا الحسن الأول من طرف نساء بعض العائلات اليهودية ، وفي عام ١٨٨٨ م صدرت عن طبيب الجالية الإسرائيلية بفاس شهادة طبية بالإسبانية كما توفرت هذه الجالية عام ١٩٠٣ على خمسة أطباء (إسباني وتركي وروسي وفرنسي وألماني) ، مما يدل على فسيفساء التأثير اللغوي بملاح فاس وباقي مدن المغرب .

٢٦ ـ قبل بضعة أعوام نشر الكاتب الأمريكي الأسود (الأستاذ ألكس هيلي Alex Haily) روايته الضخمة (جذور Roots) التي يروي فيها قصة وصول الجنس الأسود إلى الولايات المتحدة الأمريكية ممثلة في قصة اختطاف تجار الرقيق لجد الكاتب الأكبر (كونتا كنتي Kunta Kunti) من قرية (جفورا) الواقعة في جمهورية غامبيا (Gambia) في غرب إفريقيا ، ويذكر ألكس هيلي الذي أمضى اثنتي عشرة سنة في البحث والتنقيب عن حقائق تلك القصة أن جده (كنتا) ينحدر من عائلة موريتانية قدمت إلى تلك القرية لتعليمها أصول الدين الإسلامي ومعلوم أن (كنتا) مدينة موريتانية ينتمي إليها الشيخ المختار الكنتي .

٢٧ ـ إن معظم الذين بحثوا اقتراض اللغات الأخرى من اللغة العربية صبوا جل اهتمامهم على المفردات التي أخذتها تلك اللغات من اللغة العربية الفصيحة فقط . في حين أننا نعلم أن الاقتراض اللغوي هو في الأساس نتيجة للتمازج الحضاري والتبادل الثقافي والاقتصادي بين الشعوب . وفي هذا التمازج وذلك التبادل يكون للغات العامية المحلية نصيب كبير ودور فعال . ولهذا فإن بحثنا يتناول بصورة رئيسية الألفاظ العامية المغربية التي اقترضتها اللغة الإنكليزية بطرق مختلفة .



علم اجتماع الدعوة الإسلامية

بقلم : د زيدان عبد الباقي

أصبح الإسلام في زمان تشابكت فيه مصالح الناس واختلطت منازعهم بانتقالهم من مرحلة البداوة والزراعة البسيطة إلى « **حياة القبيلة** » إلى مرحلة **الزراعة المتقدمة والتجارة والصناعة في** « **حياة المدينة** » ، وبذلك صار الفصل بين دين ينظم علاقة الناس الروحية بربهم ، ودنيا لا تتأثر بهذا الدين إلا في أضيق الحدود .. صار هذا الفصل كارثة في حياة الفرد والجماعة ،

وكانت النتيجة ما نشهده من مظاهر اجتماعية مرضية في كثير من المجتمعات المعاصرة التي ضمر فيها وازع الدين ، وتقلصت ظلاله ،

وخبت أضواؤه ... في نفس الوقت الذي استبدت فيه بالناس الشهوات ، وتسلطت عليهم المطامع بحكم التطور المادي الهائل الذي أحدثته الثورة العلمية والتكنولوجية في القرون الأخيرة ، الأمر الذي أدى إلى :

★ انطلاق كل نوازع الشر في الإنسان من عقالها .

★ بمقدار ما تهيأ للإنسان من أسباب الاشباع التي توفرها له مجتمعات الاستهلاك الحديثة .

★ في الوقت الذي ضعفت فيه كل نوازع الخير ، ووهنت لدى الإنسان معظم الضوابط الدينية والاجتماعية التي ترد الإنسان إلى ضرب من التوازن والتوسط ، يحفظ عليه إنسانيته التي هي وسط بين نقيضين .

من هنا كانت الوظيفة الأساسية للإسلام – قديماً وحديثاً – هي « إنشاء علاقة صحيحة بين الإنسان وربه ، والأخذ بيد الإنسان إلى مرضاة ربه » . ولذلك أرشد الإسلام الإنسان ، وأراه من أين جاء ؟ ولماذا جاء ؟ وما الطريق الذي ينبغي أن يسلكه ؟ وما تبعاته في هذا الوجود المؤقت أو الإقامة العارضة في هذه الدنيا ؟ ... أرشد الله الإنسان إلى كل هذا عن طريق **الأنبياء والرسل** ، وهداه إلى **الصراط المستقيم** . فمن يستجيب لدعوة ربه كانت له الجنة خالداً فيها ... ومن يذهب إلى الشيطان فهجرته إلى ما هاجر إليه . وفي هذا يقول سبحانه وتعالى ﴿ **إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً** ﴾ (سورة الإنسان ، الآية ٣) .

والمقصود بالإسلام هنا هو « **ذلك النظام الديني الاجتماعي العالمي الذي أرسل الله سبحانه وتعالى به الرسل والأنبياء – في مختلف الأزمنة والأمكنة – ليخرجوهم من الظلمات إلى النور** » . ومن ثم فإن مثل هذا النظام يدعو الناس إلى الحق والصدق والعدل ، على السنة الرسل الذين كان الله يبعثهم في الأوقات المناسبة ، ليعلنوا للناس واجباتهم نحو أنفسهم ونحو خالقهم .

وكانت رسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم للناس جميعاً ، في سائر بقاع الأرض ، بدليل نص القرآن الكريم ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ (سورة الأعراف ، الآية ١٥٨) ، **وكانت رسالته أيضاً أكمل الرسالات وخاتمتها ، بدليل نص القرآن الكريم أيضاً ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾** (سورة المائدة ، الآية ٣) ، **وقد أكدت هذه الآية إتمام النعمة وإكمال الدين الذي هو الإسلام ، بدليل قوله تعالى ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾** (سورة آل عمران ، الآية ١٩) .

الدعوة الإسلامية

الدعوة الإسلامية ـ في جوهرها ـ هي دعوة الرسل من قبل ، وقد اكتملت حلقات هذه الدعوة بخاتم الأنبياء والرسل محمد بن عبد الله

صلى الله عليه وسلم ، بمعنى أنها ـ أيضاً ـ دعوة **نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام** ، لقوله تعالى **﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾** الآية . . (سورة الشورى ، الآية ١٣) .

وعلى ذلك فإن محور الدعوة الإسلامية هو الدعوة إلى عبادة الله وعدم الشرك به ، وعدم اتخاذ أرباب من دونه ، إذ يُعلن القرآن الكريم **﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾** (سورة آل عمران ، الآية ٦٤) .

وقد كانت منزلة « محمد » صلى الله عليه وسلم ، ومكانته الأساسية أنه « داع » ، وأن منهاجه في الدعوة جاء في قوله تعالى **﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾** (سورة يوسف ، الآية ١٠٨) ، وبذلك أصبحت الدعوة إلى سلوك طريقه صلى الله عليه وسلم ، واجبة على اتباعه أيضاً ، بحيث يكون الاتباع عن وعي وفهم وبصيرة وعلم راسخ ويقين محكم ، لا سيما وأن دعوته هي الطريق المستقيم في هذه الحياة الاجتماعية لقوله تعالى **﴿ وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم ﴾** (سورة الحج ، الآية ٦٧) . ونتيجة لكل هذا كان

على الإسلام إصلاح ما حرفه أهل الديانات من رسالات السماء وإتمام دين الله للبشرية في آخر مرحلة من مراحل تطورها العقلي والحضاري .

كان ذلك هو « الأسلوب الجديد » الذي جاء به الإسلام ، وأهم سمات هذا « الجديد » هو إلغاء « الازدواجية » القائمة بين ما هو « دين » وما هو « دنيا » . وهذا يحتاج إلى صهر القيم الاجتماعية للدين في معاملات الدنيا ، بحيث يصبحان بمثابة « عملة واحدة » ذات وجهين أحدهما « ديني » والآخر « اجتماعي » ، لا سيما وأن **الدين الإسلامي جاء « وسطاً » بين نقيضين . . . بين مادية اليهودية وروحانية المسيحية** .

ومن هنا كان على الإسلام أن يدخل الدين في الحياة الدنيا ، بحيث لا تبقى القيم الدينية « مثلاً عليا » بعيدة عن حياة الناس ، وإنما تصبح « أهدافاً اجتماعية يحققها الناس في حياتهم العادية ، ويحيونها في معاملاتهم اليومية » وألا يصبح الدين طقوساً روحانية بعيدة عن مجرى الحياة التي يعيشها الناس ، وإنما يصبح الدين مجموعة من الأنماط السلوكية المقننة إسلامياً ، وتصبح كل شعائر الدين وفروضه موجهة لتدعيم الجانب الاجتماعي في الإنسان ، بتغذية العنصر الروحي والمعنوي في نفس الإنسان ، والأمثلة على ذلك كثيرة :

- **فالصلاة** ـ بالإضافة إلى أنها صلة روحانية بين العبد وربه ، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، وهذا النهي لا يتحقق إلا في دنيا الناس .
- **والصوم** « جنة » تقي المجتمع والناس شرور الفساد الاجتماعي .
- **والزكاة** تكافل اجتماعي يجعل المجتمع في كفالة الفرد ، والفرد في كفالة المجتمع .
- **والحج** تدعيم للاخاء بين المسلمين في كافة أرجاء المعمورة .
- **والإيمان** بضع وسبعون شعبة ، تضم فيما بينها ـ المادي والمعنوي ـ كما تضم الحياء ـ إلى جانب ـ إماطة الأذى عن الطريق الذي هو أدنى شعب الإيمان .

واجب الإسلام في المجتمع

لما كان الإسلام خاتم الرسالات السماوية ، بالإضافة إلى وسطيته بين المادية والروحانية ، فقد أصبح عليه أن يغرس قيم الدين في نفوس الأفراد عن طريق العبادة وأداء الشعائر والنسك ، وأن يجعل من كل هذه الأمور قيماً اجتماعية يحياها الناس في مختلف نشاطاتهم الإنتاجية والاجتماعية . والإسلام إذ يفعل ذلك ، إنما يعيد صياغة السمات الفردية

للإنسان ، ويتخذ لبناء المجتمع شكلاً جديداً ، ويكون ذلك هو السبيل إلى «نقل المجتمع إلى داخل الفرد» ، وبذلك يصبح الفرد مجتمعاً – أو دولة – داخل الدولة ، بحكم ما تم تزويده به أثناء تنشئته الاجتماعية من نسق قيمي اجتماعي ، يستخدمه كأسلوب معياري في المفاضلة بين ما يتفق مع الدين ، وما يتعارض معه ، وكضمير فردي يحثه على اتباع تعاليم الدين والعمل بتوجيهاته التي تدعو إلى العمل والإنتاج ، وإلى الأمانة والصدق والمودة والمحبة ، وصلة الأرحام ... وبذلك يصبح «ضمير الفرد ضميراً اجتماعياً» ، ويكون سلوكه في هذا المجتمع محكوماً بوحي من هذا الضمير ، الذي يضم بين جنباته كل ما يؤدي إلى زيادة التفاعل الاجتماعي الايجابي في المجتمع ، ويحمل – في ذات الوقت – الروادع الذاتية التي تكبح جماح الفرد إذا استذله الشيطان ، ودفعه إلى ما يتعارض مع صالح المجتمع ، أو إلى الاعتداء على سلطة الجماعة ، وتكون تلك الروادع نابعة من ذات الفرد ، وليست مستمدة من الخوف من العقاب القانوني .

وقد أدى الإسلام هذه الوظيفة ، بحيث بقيت المجتمعات الإسلامية قوية ومتماسكة ، ولا سيما عندما كان الفرد المسلم يحمل في أعماقه روح المجتمع وروح الدين اللتان تفرضان عليه مد يد العون للمحتاجين ، وتجعلان في أمواله حقاً للسائل والمحروم ، وتخرجه من دائرة المسلمين ، إذا بات شبعاناً وجاره جائع ... إلخ .

بيد أن هبوط الإنسان على سطح القمر ، وبلوغه حضارة الأقمار الصناعية ، والثورة في وسائل الاتصال بالجماهير ، أدت إلى استبداد الشهوات بالناس ، وإلى تناقض مصالحهم ، فضلاً عن الطمع الذي لا حد له ، والجشع الذي لا سبيل إلى اشباعه ، كما هو حال سكان المجتمعات الصناعية المعاصرة ، والتي هي وجهة العالم كله في المستقبل . وبات من المستحيل على المجتمع – أو على الدولة – مهما أوتيت من قوة ، أن تكبح جماح الأطماع التي تثيرها مغريات الحس ، والمتعة التي تفيئها الآلات وأدوات الإنتاج على حياة الناس ... ومن هنا انفلت الزمام ، وبات موقف الدين على غير ما كان عليه ، ولم يعد لدور الدين ذلك التأثير الفعّال الذي كان له في المجتمعات غير الصناعية . وبذلك – ولأن الدين للناس كافة في كل زمان ومكان – أصبح من الضروري تطوير وظيفة الدين ، بنفس الدرجة التي تطورت بها المجتمعات من مجتمعات بدوية ريفية ، إلى مجتمعات حضرية صناعية ، وتلك هي وظيفة علم الاجتماع .

علم الاجتماع والدعوة الإسلامية

ودور علم الاجتماع هنا هو تطوير وظيفة الدين الذي جاء ليحرر الإنسان من كل ألوان الخوف والعبودية ، ويغرس العزة في الأنفس ، لتعلو الهامات وترتفع الجباه ، لقوله تعالى ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** ﴾ (سورة المنافقون ، الآية ٨) ، وعلى ذلك فإن الإنسان إذا تأمل ذاته ومكانه في الكون ، فسيعرف أنه ليس ذرة تافهة في هذا الوجود ، وإنما هو من ناحية «مخلوق لله» ، ومن ناحية أخرى هو «خليفة لله في الأرض» . فهو إذن سيد في هذا الوجود الذي سخر الله له كل ما فيه ، ليكون ميداناً لممارسته للخلافة وللأمانة التي قبل تحملها بنص القرآن في قوله تعالى ﴿ **ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ..** ﴾ الآية .. (سورة الحج ، الآية ٦٥) .

فإذا أدرك الإنسان هذه المعاني ، إدراكاً واعياً ، أمكن القول بأنه قد اكتشف ذاته . وبذلك **تصبح الوظيفة الأولى لعلم الاجتماع هنا هي «مساعدة الإنسان على إعادة اكتشاف ذاته من خلال إطار إسلامي»** .

ولأن التقدم التكنولوجي المعاصر قد جعل الجانب المادي يطغي على الجانب الروحي ، الأمر الذي يتطلب ضرورة إعادة التوازن بين الجوانب المادية والجوانب الروحية في ذات الإنسان ، بصورة تؤدي إلى تكامل ما هو حسي ، مع ما هو معنوي لتحقيق إنسانية الإنسان ، دون قهر أو الزام ، وإنما بوحي من الفطرة ، وبدافع من داخل ذات الإنسان . ولن يتحقق ذلك إلا إذا أصبح الفرد مجتمعاً – في نفسه – داخل المجتمع ، أو «الفرد .. المجتمع» . وعلى ذلك فإن **الوظيفة الثانية لعلم الاجتماع هي «حتمية إعادة التوازن بين ما هو حسي وما هو معنوي في ذات الإنسان بوحي من الفطرة ، وبدوافع من داخل ذات الإنسان»** .

ووسيلة علم الاجتماع للوصول إلى نموذج «الفرد .. المجتمع» هي **«الدعوة الإسلامية بمفهومها الاجتماعي»** ، فالدعوة بهذا الأسلوب هي القادرة على ترجمة هذا التصور الجديد الذي ينادي به الإسلام «للفرد .. المجتمع» إلى حقيقة ماثلة في حياة الناس في المجتمع . ولكن **مجال الدعوة الإسلامية من وجهة نظر علم الاجتماع لا يقع داخل المسجد فحسب ، وإنما في المجتمع كله** – لا سيما وأن مفهوم المسجد يشمل الكرة الأرضية بأسرها – . ففي حديث **جابر ابن عبد الله** رضي الله عنه ، قال صلى الله عليه وسلم حينما أراد ذكر خصائص دينه : «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلي ... وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**» (متفق عليه) .

وبذلك فإن المجتمع هو البوتقة التي تنصهر فيها الدنيا مع الدين ، وتصاغ فيها شخصية الفرد صياغة إنسانية باقية ، تمتزج فيها العبادة

بالسلوك العملي لايجاد المواطن الصالح الجدير بحياة المجتمع الإسلامي الحديث . وعندما تصبح غالبية الأفراد في المجتمع بهذه السمات الاجتماعية الإسلامية ، فإن مثل هذا المجتمع يمكن أن يوصف بأنه « المجتمع .. الفرد » ، وبذلك **تصبح الوظيفة الثالثة لعلم الاجتماع هي جعل الفرد للمجتمع والمجتمع للفرد ، بصورة تجعل كل منهما يفنى في الآخر .**

ولما كان الإسلام دين حياة ومعايشة ، تتعانق فيه العبادة بالأنماط السلوكية للناس في حركة متصلة ، لا ينفصل فيها دين عن دنيا ، ولا يختلف إيمان عن عمل . وقد رأينا أن في ذلك تكمن حيوية الإسلام وقوته الخارقة في صياغة أو إعادة صياغة النفوس البشرية ، وفي إقامة المجتمعات المتكاملة والمتماسكة اجتماعياً ، والمكتفية بذاتها بحكم ما غرسته في نفوس الأفراد من أنساق قيمية مستمدة من الدين . تلك القيم التي تستحيل مع الزمن إلى دوافع للفعل ، جاهزة في أعماق النفوس ، تتفجر كلما واتتها الظروف براً وبركة ورحمة في حياة الأفراد والجماعات . ومن هنا فإن **الوظيفة الرابعة لعلم الاجتماع هي « جعل الحياة الاجتماعية فعالة ، لكي تتفق مع هذا الدين الفعال ، لاسيما وأن عدم فعالية الحياة الاجتماعية ، تجعل الإحساس الفردي والجماعي بالدين غير فعال » .**

هذا وعندما كان **الاقتصاد في الدولة الإسلامية** في أوج ازدهاره ، تميز المجتمع الإسلامي بالقوة والحيوية التي كانت ترتكز على الاقتصاد المتطور ، الذي كان يشيع في حياة الناس الحيوية ، فتزدهر **الزراعة والصناعة والتجارة** ، ويزدهر ما يتصل بها من علوم **الرياضيات** ، وعلوم **الفضاء والفلك والأحياء** ، وما يتصل بها من فنون **الطب والهندسة** وما إليها من العلوم والفنون التي تهدف إلى وضع الحلول الملائمة للمشكلات الاجتماعية . . .

وحين انهار الاقتصاد في المجتمع الإسلامي ، وتقلَّصت الزراعة والصناعة والتجارة ، وتدهورت الأحوال الاجتماعية في المجتمع ، ولا سيما بعد **الغزو الصليبي والتتاري . . .** فقد اكتفى الناس في حياتهم المعيشية بالحد الأدنى الذي يقيم عليهم أودهم . والتالي تقلَّصت مجالات المعرفة المرتبطة بكل ذلك ، وفقدت معناها في حياة الناس فنسوها ، واكتفوا في حياتهم الفكرية ــ مثلما ــ اكتفوا في حياتهم المادية بالحد الأدنى الذي يحفظ عليهم وجودهم الحضاري ، وهو القاسم المشترك الأعظم في علوم اللغة والدين ، اللذين لا بقاء لمجتمع إنساني بدونهما .

وعندما بدأت النهضة الإسلامية الحديثة ، تدب في أوصال المجتمعات الإسلامية في العصر الحديث ، لم تتصل أغصان هذا التطور بجذوره القديمة ، بحيث يجد تطور الحياة المادية تعبيره الصادق في معطيات التراث الفكرية ، فتنتفي الازدواجية وتتكامل حياة الناس المادية والروحية . . . غير أن هذا التطور تم ، ومعظم الشعوب الإسلامية تحت نير الاستعمار ، فصرفها عن أصالتها ، وسعى إلى بترها عن ماضيها ، وعن مرتكزات تراثها . وبدلا من العمل على تطوير **النظام التعليمي الإسلامي** ، أهملناه ، وأخذنا بالمدرسة المدنية ، وتعصبنا لها على حساب نظامنا الأصيل ، ظناً منا أن ذلك هو النظام التعليمي الأمثل ، لا سيما وأن الاستعمار قد غرس في عقول الناس أن الدين من عوامل التخلف .

ومن هنا حدث « **الإنشطار** » في حياة الأمة القانونية ، بتجميد الشريعة ، ووضع **القانون المدني الأوروبي** مكانها . وفي ظلال هذه القوانين أتيح لعملاء الاستعمار ــ وبمساعدة منه ــ زرع مؤسسات الهدم الديني في المجتمع مثل : **المسارح ودور الخيالة والنوادي الليلية** ، وكذلك النوادي المشبوهة مثل : **الروتاري والماسونية** وما إليها ، بل وأباح البغاء بصورة رسمية ، والذي لا تزال ملامحه باقية في بعض المجتمعات حتى الآن .

وعلى ذلك فإن المجتمع الإسلامي لن يستعيد تكامله الاجتماعي ، ولن يستعيد وحدته الفكرية إلا برجعة واعية إلى التراث الإسلامي ومؤسساته ، بالإضافة إلى الارتكاز على روح الإسلام الخلاقة كنقطة ارتكاز بعيدة المدى ، لنكتشف من خلالها ذواتنا الضائعة بين ركام الجهل والتخلف وتقليد الآخرين ، بحيث « لا نكون إلا أنفسنا » ، وعلى ذلك فإن **الوظيفة الخامسة لعلم الاجتماع هي « محو هذه الازدواجية التي فرضها علينا التخلف في الماضي وأسهم الاستعمار في استمرارها ، حتى نحقق أصالتنا وتتحقق التنمية الاجتماعية والاقتصادية المرتقبة » .**

ولما كان « المسجد » بمثابة المظهر الرسمي للإسلام ، ولكنه بوضعه الحالي فقد قدرته على جذب الناس إليه ، بسبب منافسة النوادي الرياضية والاجتماعية والسياسية له ، فضلاً عن دور اللهو وغيرها ، فمن الضروري العمل على **تحويل المسجد إلى « مؤسسة دينية اجتماعية »** مع إعادة تخطيط أبنية المسجد لتتفق مع أغراض المؤسسة الدينية الاجتماعية المقترحة .

وهذه المؤسسة ينبغي أن يمتد نشاطها إلى حدود المنطقة الجغرافية التي يخدمها المسجد ، وينبغي أيضاً أن تتوافر فيها الأدوات والمرافق والملابس والقوى البشرية التي تمكنها من أداء وظائفها ، وأن يكون إمام المسجد رئيساً لكافة العاملين في هذه المؤسسة ، ولا مانع من وجود أئمة مساعدين لرئيس المسجد . وأن يتولى الإمام ومساعدوه إعداد سجل يحتوي على كافة أسماء أفراد العائلات التي تقع مساكنها في المجال الجغرافي للمسجد ، وأن يحدد في هذا السجل الوظائف والمهن

والأعمار والحالة الاجتماعية لكل من سكان منطقة المسجد ، وذلك بالإضافة إلى :

(١) أن يقضي الإمام فيما بينهم في المسائل البسيطة ، ويفتي في المسائل الشرعية .

(٢) أن يرشدهم إلى محبة بعضهم بعضاً ، وأن يقوي أواصر الصداقة بينهم بالزيارات والمحاضرات ، والندوات والنشرات .

(٣) أن يعودهم في حالة المرض ، وأن يساعد المحتاجين ، وييسر للمرضى منهم استشارة الأطباء في عياداتهم الخاصة ، أو ادخالهم المستشفيات المجانية ، والحصول على الدواء .

(٤) أن يعمل على تيسير التحاق أولاد المصلين وبناتهم بالمدارس والمعاهد والجامعات .

(٥) أن يشجع الأنشطة الرياضية والكشفية والفنية ، سواء بتكوين فرق تابعة للمسجد بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، حتى يمكنه غرس القيم الدينية والأخلاقية في نفوس أفراد هذه الفرق ، ومنهم تمتد إلى المشجعين وتنتشر بين المشاهدين .

(٦) أن ينظم دورات تدريبية في مجالات الدفاع المدني والاسعافات الأولية ومكافحة الحرائق .

(٧) أن ينشئ فصولا لمحو الأمية وأخرى لتقوية التلاميذ والطلاب .

(٨) أن يسعى إلى عضوية المؤسسات العامة والخاصة بمنطقة المسجد ، حتى تتاح له ، وللمصلين فرصة الاستفادة من الخدمات وفرص العمل التي تقدمها هذه المؤسسات .

(٩) أن يوفر الخدمات الضرورية لتكوين الأسرة ، وأن يعمل على تدعيم القائم منها ، ولا يسمح بفض عرى الأسرة إلا بعد ممارسة كل سبل الإصلاح .

(١٠) أن ينشئ صالة للمحاضرات العامة ، ويستعين فيها بأبناء المنطقة كل في تخصصه ، لإثراء الجوانب الفكرية للمصلين .

وعلى ذلك فإن **الوظيفة السادسة من وظائف علم الاجتماع هي « تحويل المسجد إلى مؤسسة اجتماعية ، وتعديل نظم ومواد الدراسة في الكليات الدينية ، بحيث يكون المتخرج في هذه الكليات على إلمام كامل بالجوانب الاجتماعية للدعوة الإسلامية »** .

وبالنسبة للتقدم العلمي الحادث والذي يختلف في كل يوم عن الذي يسبقه ، وما يرتبط بذلك من تقدم وسائل الاتصال الإعلامي من صحافة وإذاعة وتليفزيون ومطبوعات . . . إلخ ، فإن الأمر يتطلب إعادة النظر في القول المأثور ، ونصه : « **إن آخر هذه الأمة لا ينصلح إلا بما صلح به أولها** » . . . فإن أول هذه الأمة قد صلح — ولا شك — برسالة الإسلام ، ولن ينصلح آخرها — ولا شك — إلا برسالة الإسلام أيضاً . ولكن أسلوب الدعوة الذي كان يستخدم في أولها من خطب ومواعظ . . . لم يعد مجدياً — وحده — في مواجهة السينما والإذاعة والتلفزيون والمطبوعات ، ومن هنا فإن **الوظيفة السابعة من وظائف علم الاجتماع هي « المساعدة في التأهيل النظري للمتخرجين في الكليات الشرعية على كيفية استخدام وسائل وأساليب الاتصال في المجالات الاجتماعية والإعلامية . . . في المجالات الدينية »** .

ويعتقد البعض خطأ — بسبب طول العهد ، وعدم الرغبة في التجديد ، ظناً منهم أن كل جديد بدعة — يعتقد هؤلاء أن أساليب الدعوة « بيانية » بالضرورة ، ويستشهدون على صحة وجهة نظرهم هذه على أن الدعوة في جملتها عدد من الكلمات والعبارات التي تحمل المعنى المراد تبليغه ، وهو جزء من دين الله تعالى . . . وكذلك يستشهدون بقوله تعالى ﴿ **فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً** ﴾ (سورة مريم ، الآية ٩٧) ،

وقوله تعالى ﴿ **كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون** ﴾ (سورة فصلت ، الآية ٣) ، وقوله تعالى ﴿ **نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين** ﴾ (سورة الشعراء ، الآيتان ١٩٣ — ١٩٤) ، وكذلك قوله تعالى ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ (سورة القمر ، الآية ٣٢) .

ونحن لا ننكر أثر الأساليب البيانية في تحقيق أهداف الدعوة ، ولكن لا يمكن الاكتفاء بها أو الاقتصار عليها ، ونطالب — اتساقاً مع تطور الإنتاج الزراعي والصناعي — أن تكون الدعوة الإسلامية مقرونة ببرامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية . . . ومن خلال هذا الاقتران يمكن استخدام الأساليب البيانية . وعلى ذلك تصبح **الوظيفة الثامنة لعلم الاجتماع هي « تأهيل المتخرج في إحدى الكليات الشرعية على أن يكون كل منهم « منمياً اجتماعياً » قبل أن يكون عالماً دينياً »** .

وظائف علم اجتماع الدعوة

من العرض السابق يمكن تحديد وظائف ـ أو أهـداف ـ علم اجتماع الدعوة على النحو التالي :

(١) مساعدة الإنسان المسلم على إعادة اكتشاف ذاته من خلال إطار إسلامي .

(٢) حتمية إعادة التوازن بين ما هو حسي وما هـو معنـوي في ذات الإنسان المسلم ، بوحي من الفطرة السليمة ، وبـدوافع مـن داخـل ذات الإنسان .

(٣) جعل المجتمع للفرد ، والفرد للمجتمع بصـورة تجعـل كل منهما يفنى في الآخر .

(٤) جعل الحياة الاجتماعية فعالة لكي تتفق مع الـدين الإسلامي الفعال ، لا سيما وأن الفعالية بين الجانبين متبـادلة ، ومـوتها أو حيـاتها في جانب ينعكس على الجانب الآخر .

(٥) محو الازدواجية التي فرضها علينا التخلف في الماضي ، وأسهم الاستعمار في استمرارها حتى نحقق أصالتنا ، وتتحقـق التنمية الاجتماعيـة والاقتصادية المرتقبة .

(٦) تحويل المسجد إلى مؤسسة اجتماعيـة وتعـديل نـظم ومـواد الدراسة في الكليات الشرعية بحيث يكون المتخرج في أي من إحدى هـذه الكليات على إلمام كاف بالجوانب الاجتماعية للدعوة الإسلامية .

(٧) المساعدة في تـأهيل المتخـرجين في الـكليات الشرعيـة على الاحاطة بالخلفيات النظرية لاستخدام وسـائل وأسـاليب الاتصـال في المجالات الاجتماعية والدينية والإعـلامية ، وكذلك بـالآثار الـفـكريـة والاجتماعية المترتبة عليها .

(٨) المساعدة في تأهيل المتخرج في إحدى الكليات الشرعية على أن يكون « منمياً اجتماعياً » قبل أن يكون عالماً دينياً .

وعلى ذلك فمن الضروري أن يكون هنـاك فرع جديد مـن بـين فـروع علم الاجتماع العام لدراسة هذه النواحي ، وتدريسها ، وحبـذا لـو وافقنـا الزملاء المتخصصون على أن يكون اسـم هــذا الفـرع **« عـلم اجتماع الدعوة الدينية »** .

تعريف علم اجتماع الدعوة الدينية

في ضوء ما قدمناه يمكن تعريف هذا الفرع الجديد بأنه **« علم اجتماع الدعوة ، علم وصفي تقريري ، يرمي إلى دراسة شؤون الحياة الدينية من ظواهر ونـظم وممـارسات وتيـارات وطـوائف . . .**

دراسة علمية موضوعية لبيان ما هو كائن ، ورسم الطريـق الواقعي إلى مـا ينبغي أن يـكون عليـه المجتمـع المتـدين ، في ضوء فلسفة الدين السـائد » . . . وأن يـدور مجـال هـذا العـلم الجديد ، مع مجال الدعوة الإسلامية وجوداً وعدماً .

ضرورة علم الاجتماع للدعاة

وترتيباً على ذلك ، فـإن كافة الكليات الـتي تهيئ لطلابهـا فـرصة تعلـم العلـوم الشرعيـة ، وكذلك المعـاهد المتخصصة مثـل **المعهـد العـالي للـدعوة الإسلامية ، ومعهـد تـدريب أئمة المساجد بـوزارة الحج والأوقـاف** . . . في حـاجة ـ مـن أجل تحقيـق أهـداف علـم اجتماع الـدعوة الدينية ـ والـتي هـي ضرورية مـن أجـل تطوير أسـاليب الـدعوة الإسلامية بما يتفـق مع الـتطورات الـتكنولوجية المتلاحقة . . . في حـاجة إلى تـدريس علمـين جديـدين وضروريـين لطلابها وهما :

١ ـ علم اجتماع الدعوة الدينية ـ أو ـ علم الاجتماع الإسلامي .

٢ ـ وسائل وأساليب الاتصال في المجالات الاجتماعية والدينية .

ترى هل تستجيب هذه الكليات والمعاهد والقـائمين عليهـا لاقـتراحنـا هذا ؟! . .

المراجع والمصادر

١ ـ الدكتور زيدان عبد البـاقي : عـلم النفس الاجتماعـي في المجـالات الإعلامية . مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .

٢ ـ الدكتور زيدان عبد الباقي : علم الاجتماع الإسلامي . مكتبة وهبـة ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .

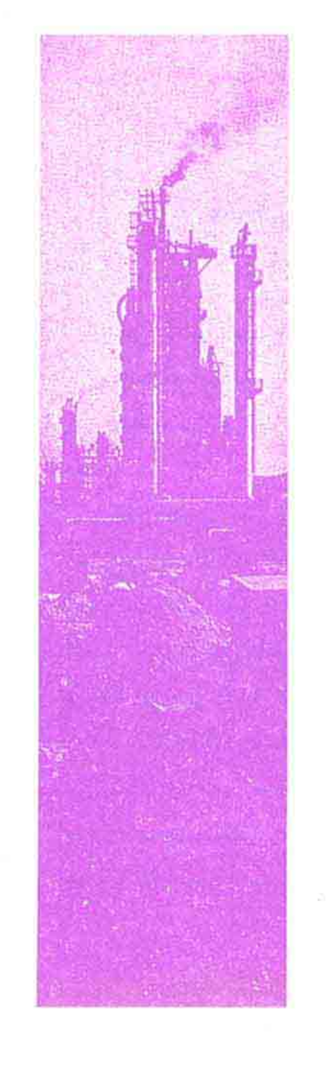
٣ ـ الدكتور زيدان عبد الباقي : وسـائل وأسـاليب الاتصـال في المجـالات الاجتماعية والتربوية والإدارية والإعلامية . (الـطبعة الـثـانية) ، مـكتبة النهضـة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .

أهمية التنمية الصناعية للدول النامية

بقلم
د. أحمد الحوراني

تحتل التنمية الصناعية أولوية عالية في الخطط التنموية للأقطار النامية ، فقد حظيت بأكبر الحملات وأوسعها منذ منتصف القرن الحالي . فهي الحملة التي تتنافس فيها الدول الصناعية لمساعدة الدول النامية على تحقيق التطور الصناعي .

فعملية التصنيع تتعلق فيها أكبر آمال الدول النامية . . . علّها تجد فيها حلولا للمسائل الرئيسية التي تعاني منها . وأهمها الفقر ، والمرض ، والانفجار السكاني ، وتضع بالتالي حداً لتخلفها في العالم المتحضر . ويتمثل اعتقاد العالم النامي في هذه الحقيقة بقول نهرو : « يجب أن يعتمد التقدم الحقيقي في النهاية على التصنيع » . وهكذا أصبح « التصنيع » الكلمة السحرية منذ منتصف القرن العشرين .



ارتباط بين التصنيع .. والثروة ومستوى المعيشة

وليس من الصعب اكتشاف انفجار رغبة الأقطار النامية في التصنيع . . . فهذه الأقطار منتجة للمواد الخام منذ فترة طويلة ، وقد لاحظت أن هناك ارتباطاً إيجابياً وقوياً بين الثروة ، ومستوى المعيشة ، ومدى التصنيع ، ووجدت أيضاً أن التقلبات في أسعار المواد الخام تحدث بصورة أكبر من التقلبات في المواد المصنّعة . فالاقتصاد الذي يعتمد على تصدير سلعة واحدة أو عدد قليل من السلع الأساسية يعاني من عدم استقرار الدخل القومي بصورة أكبر من الاقتصاد المصنَّع .

ويعتقد سكان الدول النامية بأن مرحلة متقدمة من التصنيع تجلب لهم المزيد من الأمن والاستقرار ، والمستوى المعيشي الأفضل . وقد وصف **(ميردال)** Myrdal العلاقة بين التصنيع والتنمية الاقتصادية بقوله : **« يمثل التصنيع أعلى مراحل الإنتاج في الدول المتقدمة ، فالتطور الصناعي في تلك الأقطار ملازم للتقدم الاقتصادي ، وارتفاع مستويات المعيشة . وإنتاجية القوى العاملة في الدول النامية أعلى في الصناعة منها في الزراعة رغم وجود بعض الاختناقات bottlenecks والمعوقات في القطاع الصناعي لديها . فالتصنيع ، ونمو عدد العاملين في القطاع الصناعي وسيلة لزيادة الدخل الفردي »** .

ولاحظ (**ميردال**) أن الدول ذات الكثافة السكانية العالية، وخاصة تلك التي تتناقص فيها نسبة الموارد الطبيعية للسكان كالهند واليابان يصبح التصنيع الأمل الوحيد لزيادة إنتاجية العمل، ورفع مستويات المعيشة، وحتى الدول ذات الكثافة السكانية المنخفضة، فإن العلاقة المثلى بين السكان والموارد الطبيعية تتطلب زيادة التصنيع.

ويذهب قول إلى أن التصنيع يمثل الرد الأمثل على معظم الصعوبات التي يعاني منها الاقتصاد لأنه يحقق اكتفاء أكثر، وتنوعاً أفضل من الاعتماد على مادة خام واحدة أو محصول زراعي واحد، ويعتمد حجم القطاع الصناعي على مقدار المدخرات المحلية، والصرف الأجنبي، والإدارة، والمهارات الصناعية، والمواد الخام، والأسواق المحلية والأجنبية القائمة والمحتملة.

الدوافع السليمة للتصنيع

تعتبر الرغبة في زيادة الدخل القومي للدولة السبب الأكثر أهمية، والأكثر سلامة في تبني برنامج للتصنيع. **فنجاح المشروع الصناعي في تحقيق أهدافه في التوسع والإنتاجية يؤدي إلى زيادة تكوين رأس المال** «Capital information» **، وبالتالي زيادة الدخل القومي**. وعلى العكس من ذلك فإن فشل المشروع يؤدي إلى تبديد في رأس المال، وبالتالي تناقص الدخل القومي.

وهناك مشروعات صناعية تستمد أهميتها من أسباب غير اقتصادية حيث تجد تبريرها بعيداً عن المبدأ العام الذي يجب أن يكون مرشداً للقائمين على إعداد وتنفيذ البرنامج الصناعي. فميل الحكومة لمشروع صناعي معين يجب أن يبنى على درجة أهميته للاقتصاد أولا، والربح الصافي المتوقع ثانياً.

أما اختيار المشاريع على أساس آخر، كأن يتم اختيارها مثلاً على مقدار ما يستوعبه المشروع من الأيدي العاملة، أو كمية رأس المال المطلوبة، أو الغلة المتوقعة من الصرف الأجنبي... فإن ذلك يتسبب في عائد أقل لكل وحدة نقدية مستثمرة. فاختيار المشروعات الصناعية، وتسييرها بصورة منتظمة يضمن مساهمتها الفعّالة في الدخل القومي.

هناك سبب آخر أساسي ومهم للتصنيع يتلخص في تحسين الاستقرار الاقتصادي عن طريق تنويع الصادرات التي تتسبب في زيادة الحصيلة من العملات الأجنبية. **فمعظم الدول النامية تعتمد على محصول واحد أو محصولين للتصدير**، وغالباً ما يتم البيع في سوق تنافسية دولية، حيث لا تستقر الأسعار نظراً لتقلبات العرض والطلب، مما يتسبب في اختلاف الأسعار من سنة إلى أخرى. وإذا أضفنا إلى ذلك التغير في حجم الإنتاج الزراعي لتبيّن لنا مدى عدم الاستقرار في حصيلة العملة الأجنبية. وهكذا فإن التصنيع يملك أثراً تثبيتياً جيداً، لأنه يتضمن خلقاً إضافياً للثروة، ويعتبر في حد ذاته إضافة للدخل القومي.

أما استخدام العاطلين عن العمل، أو استخدامهم بصورة جزئية... فإنه يعتبر سبباً سلبياً آخر للتصنيع، فالعاطلون عن العمل لا



يمكن استخدامهم بإنتاجية أكبر في الزراعة أو أي قطاع إنتاجي آخر... شريطة أن تكون المشاريع الصناعية التي يمكن أن يستخدموا فيها سليمة إلى درجة معقولة لعمل مساهمة كافية في الدخل القومي.

ويعتبر توفير الأسواق للمواد الخام المحلية أو المنتجات الزراعية أو التعدينية أو منتجات الغابات، والتي يضيع أجزاء كبيرة منها بدون فائدة أساساً سلبياً آخر للتصنيع، لأنه يزيد في قيمتها ويؤدي إلى الانتفاع الأمثل منها.

ويمكن القول بأن التصنيع الذي يؤدي إلى الاستخدام الأفضل للموارد المادية والبشرية يؤدي إلى زيادة في الإنتاج، وبالتالي توسع الاقتصاد وازدهاره.

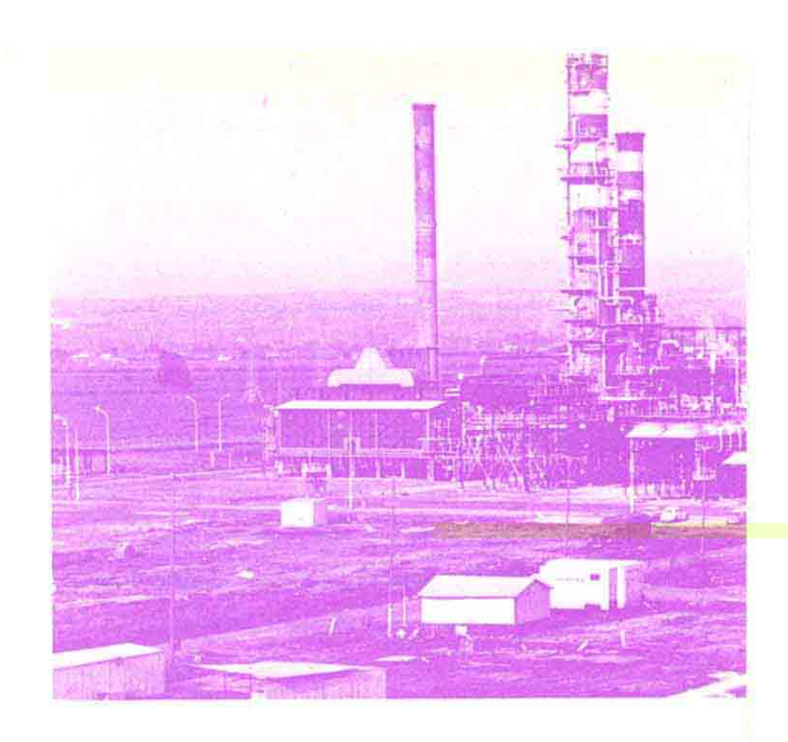
★ ★

مكانة التصنيع في خطة التنمية

ينبغي أن يتم تخطيط حجم القطاع الصناعي في الدولة النامية على أساس إمكاناتها المتاحة، وألا تذهب بعيداً في مجال الاعتماد على النفس، وهذا يتطلب دراسة مفصلة لمنافع وتكاليف المشروعات الصناعية المقترحة.

ويمكن القول، بأن حجم القطاع الصناعي يكون صغيراً في المراحل الأولى للتنمية، لإتاحة الفرصة للتركيز على الأنشطة التي توفر التمويل للقطاع الصناعي. فمن الناحية التاريخية بنيت الصناعة في المراحل الأولى للتنمية الصناعية على كاهل المزارعين، حيث كانت الزراعة من أكثر الأنشطة التي توفر التمويل للتصنيع، بالإضافة إلى أن قطاع المزارعين كان من أكبر القطاعات الاستهلاكية التي توفر السوق للسلع المصنوعة.

وهناك دول نامية تعتمد على قطاعات اقتصادية أخرى لتوفير التمويل لعملية التصنيع، فبعض هذه الدول يعتمد على استخراج البترول أو المواد التعدينية الأخرى، حيث تمارس إنتاجية القطاعات المذكورة الدور الرئيسي



في تحديث القطاعات الأخرى للاقتصاد .

ومع أن التنمية الصناعية تتمتع بجاذبية أكبر من التنمية الزراعية . . . إلا أن استثمار مبالغ مناسبة ومساوية في القطاع الزراعي ــ التجهيزات الزراعية والبذور المنتقاة ــ يتضمن إضافة أكبر للدخل القومي . وتمثل الزيادات المتلاحقة في الدخل القومي شرطاً مسبقاً لتحقيق التنمية الصناعية .

وهكذا فإن التنمية الاقتصادية يجب أن تتجه إلى التنمية الصناعية والزراعية المتوازنة ، فتحسن إنتاجية القطاع الزراعي يعتبر من أهم الوسائل لتشجيع التنمية الصناعية. فما لم يجر تحديث الزراعة بصورة أساسية ، فإن التوسع الصناعي ــ في معظم الدول النامية ــ يكون بحاجة إلى الأسواق ، لأن معظم السكان لا يملكون القوة الشرائية الكافية ، وبالمقابل فإن التحسينات في القطاع الزراعي لا يمكن أن تذهب بعيداً دون قيام التنمية الصناعية لاستيعاب القوى البشرية الفائضة ، ولتوفير الأساس التقني للتجهيزات والخدمات الضرورية لتحديث الزراعة .

فتخطيط التنمية الاقتصادية يتطلب تحديد حجم الاستثمارات الحكومية والخاصة خلال الخمس سنوات القادمة ، ورسم الأهداف الحقيقية للتنمية بكل وضوح ، وبالتالي توزيع الاستثمارات بصورة تضمن الحصول على أفضل النتائج .

أخطاء شائعة في التصنيع

تتحقق المنافع الاقتصادية العظمى في التصنيع عند قيام المشروعات الصناعية السليمة اقتصادياً ، ولكن الاختبار الضروري والحاسم للمشاريع الصناعية في كثير من الأقطار النامية يكشف أن مشاريع عديدة لا تمر بمعظم الاختبارات الاقتصادية الأساسية . وهذا يعني أن عدداً من المشاريع الصناعية غير السليمة تمثل ضياعاً في الوقت ورأس المال .

ويتم تأسيس معظم تلك المشروعات لاعتبارات سياسية أو قومية كمصانع الحديد غير الاقتصادية في كثير من الأقطار . وتستطيع الحكومات تجنب تلك الأخطاء عن طريق **الامتناع عن الاستثمار المباشر في الصناعة أو تطبيق مبدأ يتضمن عدم تمويل أي مشروع إلا من خلال البحث والتحليل الكافيين** . وبالتالي تصنيفه من النواحي الاقتصادية والمالية والفنية .

ولا تقتصر الاتجاهات الاقتصادية غير السليمة في التصنيع على القطاع العام إذ إنها تمتد إلى القطاع الخاص أيضاً . . . ويحدث ذلك عند وجود دافع قوي لتقليل المخاطر إلى حدها الأدنى . أما التطور الصناعي غير السليم في القطاع الخاص فإنه يرجع أحياناً إلى أخطاء في السياسة الاقتصادية . . . وذلك عند وجود تعرفة جمركية عالية ولمدة غير معقولة لحماية صناعات معينة ، مما يجعل بعض المشاريع غير السليمة مربحة للمستثمر في القطاع الخاص . ومثال ذلك وجود تعرفة جمركية بمعدل ١٠٠٪ على نوع من الأقمشة المستوردة . . . **الأمر الذي يجعل من الأقمشة المحلية المماثلة صناعة مربحة رغم ارتفاع كلفة إنتاجها عن الأقمشة المستوردة .**

ولكي يتجنب القطاع الخاص مثل هذه الأخطاء فإنه ينبغي لرجال الأعمال التركيز على المشاريع السليمة اقتصادياً وتجارياً ، والمتوائمة في نفس الوقت مع خط الرغبات العامة .

وتبرز الاتجاهات غير السليمة في التصنيع عند وجود ضغط قوي لتحقيق درجة عالية من الاكتفاء الذاتي في دولة ذات عدد قليل من السكان ، ودخل قومي متدن ، فالقرارات المتعلقة بالتنمية الصناعية التي تبدو معقولة في دولة كبيرة وغنية يمكن أن تصبح غير مجدية اقتصادياً في دولة فقيرة وصغيرة . والقرارات الاقتصادية الملائمة لمرحلة تنموية معينة يمكن أن تصبح غير ملائمة في مرحلة تنموية أخرى .

فصناعة السيارات وإنتاج الكيماويات ــ للمثال ــ تعتبر أساسية في الاقتصاديات الصناعية الواسعة إلا أن إنتاجها نادراً ما يكون سليماً في دولة لا تملك سوقاً محلية واسعة ، وفي نفس الوقت لا تملك أسواقاً عادية للتصدير . وكذلك الحال بالنسبة للصناعات التي تعتمد على مستوى تكنولوجي عال ، ومهارات علمية ، وتسهيلات مساعدة ، فإن قيامها في دولة غير مُصنّعة سيواجه بصعوبات متعددة ، وبصورة عامة فإن **الصناعة التي تعتمد على الإدارة الأجنبية ، والمعونة الفنية لفترة زمنية طويلة يعتبر تأسيسها سابقاً لأوانه .**

أما بالنسبة للمادة الخام ، فليس المهم وجودها فقط ، ولكن المهم مدى تكلفتها المحلية بالمقارنة مع كلفتها في مكان آخر ، وينطبق نفس الشيء على اليد العاملة . ويمكن تجنب الكثير من المشاريع الصناعية المكلفة والمظهرية ــ إلى حد كبير ــ عن طريق ترك الاستثمار الصناعي للقطاع الخاص كلما كان ذلك ممكناً ، فالأقطار النامية لا يمكنها أن تضيع مواردها النادرة عن طريق الاستثمار الصناعي الذي لا يعود بالنفع الاقتصادي .

ولكن هل المطلوب في المشاريع الصناعية أن تكون سليمة اقتصادياً وفنياً فقط؟ تحتاج المشاريع الصناعية في الدول النامية بالإضافة إلى ذلك أن تكون قادرة على تحقيق الأرباح بصورة مبكرة لكل من المستثمر والاقتصاد، وتحتاج أيضاً وعلى المدى البعيد أن تتواءم مع الاتجاهات الاقتصادية الطويلة الأجل، واحتياجات الاقتصاد المتنامي.

وتحتاج كذلك إلى توافر السوق محلياً كان أم خارجياً، وأن يكون الإنتاج الصناعي قادراً على مقابلة مقاييس معقولة في الجودة والسعر. فالمقدرة على المنافسة المحلية والخارجية شرط أساسي لنجاح الصناعة.

وهكذا فإن الخطوة الأولى المطلوبة لتحقيق التنمية الصناعية هي كشف المشروعات الصناعية غير السليمة والمعروفة بـ«White elephants»، ولحسن الحظ فإن هذه المشاريع بارزة وغير مخفية، وغالباً ما تكون غير سليمة فنياً، أو بحاجة إلى التمويل أو أن إدارتها مهلهلة وقليلة الخبرة... وفي معظم الأحيان تكون هذه المشاريع بحاجة إلى سوق دائم ذات حجم كاف، أو أن السوق الموجودة غير مؤكدة، وتتطلب من المستهلكين تغيير عاداتهم الشرائية أو أذواقهم.

فالدول النامية بحاجة إلى المشاريع الصناعية التي يتميز إنتاجها بتكلفة حقيقية أقل من تكلفة السلع المماثلة المستوردة لتشجيع نمو السوق عن طريق بيع السلع المحلية المنتجة بأسعار أكثر انخفاضاً. ولكن ينبغي الإشارة إلى أن حكومات الأقطار النامية غالباً ما تكون بحاجة مباشرة أو غير مباشرة إلى تأسيس مشاريع صناعية رغم عدم توافر بعض الأسس الاقتصادية أو الفنية لمثل تلك المشاريع، ومثال ذلك تأسيس بعض المشاريع الصناعية الثقيلة لأسباب قومية أو للدفاع أو لأسباب أخرى مشروعة.

نموذج التنمية الصناعية

تعتبر الصناعة الثقيلة أساساً للتنمية الاقتصادية بصورة عامة، والتنمية الصناعية بصورة خاصة، ويحتاج تحقيق هذا الأساس إلى تضحية كبيرة، ويبرر هذه التضحية أنها تعتبر ضرورية وأساسية لايجاد ودعم الصناعات الخفيفة والمتوسطة. وإذا كانت هذه الفكرة صحيحة بالنسبة لدول العالم كمجموعة، فإنها تعتبر خاطئة بالنسبة للدول النامية الصغيرة.

فمن الأرخص والأفضل لهذه الدول استيراد منتجات الصناعة الثقيلة من الدول الصناعية المتقدمة اقتصادياً، ولكن لا يمكن تعميم هذا القول... إذ يمكن لدولة نامية صغيرة أن تنشئ صناعة ثقيلة ناجحة عندما تملك ميزات طبيعية غير عادية في مادة أو مادتين، كأن يكون لديها احتياطي كبير من خام الحديد والفحم الجيد لإنشاء صناعة الفولاذ، حيث تصبح الصناعة المذكورة سليمة بنفسها... لا لكونها من الصناعات الثقيلة.

وتنحصر الطريقة المنطقية لاختيار الصناعات في أحد اتجاهين:

● **الاتجاه الأول:** ويُنظر فيه إلى المشاريع التي تزيد في قيمة المنتجات الزراعية أو التعدينية أو الغابات... والمنتجة للتصدير.

● **الاتجاه الثاني:** وينحصر في اختيار المشاريع التي يمكن أن تنتج السلع بصورة اقتصادية، وفي نفس الوقت يتم استيرادها بكميات كبيرة.

ولكن كيف يمكن اكتشاف الفرص الصناعية الجديدة؟

يمكن اكتشاف وتعيين الفرص الصناعية الجديدة باتباع الوسائل التالية:

ـ دراسة المستوردات، لأنها تكشف عن حاجة السوق للسلع المختلفة، وتوحي بالفرص لمشاريع جديدة لإشباع الطلب الثابت.

ـ البحث عن الموارد المحلية... فتوافر المواد الخام بنوعية جيدة ورخيصة يؤدي إلى إنتاج تنافسي للتصدير والأسواق المحلية.

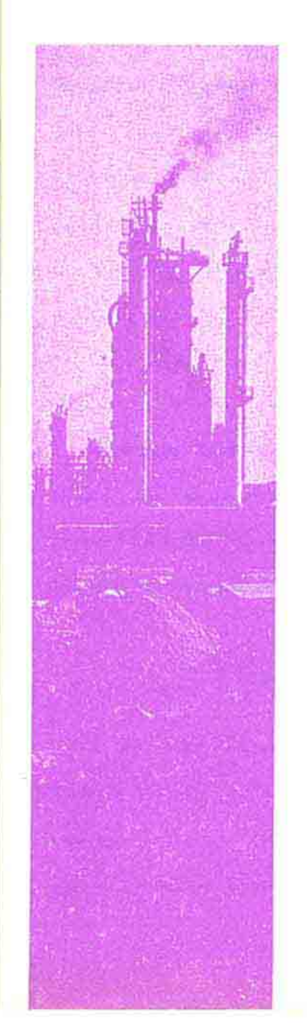
ـ دراسة المواهب المتاحة مما يسهل إنتاج سلع تتطلب مهارات ومواهب معينة.

ـ تنويع وتوسيع الصناعات القائمة مما يساعد على تحقيق الفرص الصناعية المناسبة.

ـ إحراز التقدم التكنولوجي والعلمي لأنه يساعد على إعادة النظر في المواد الخام المحلية المتاحة.

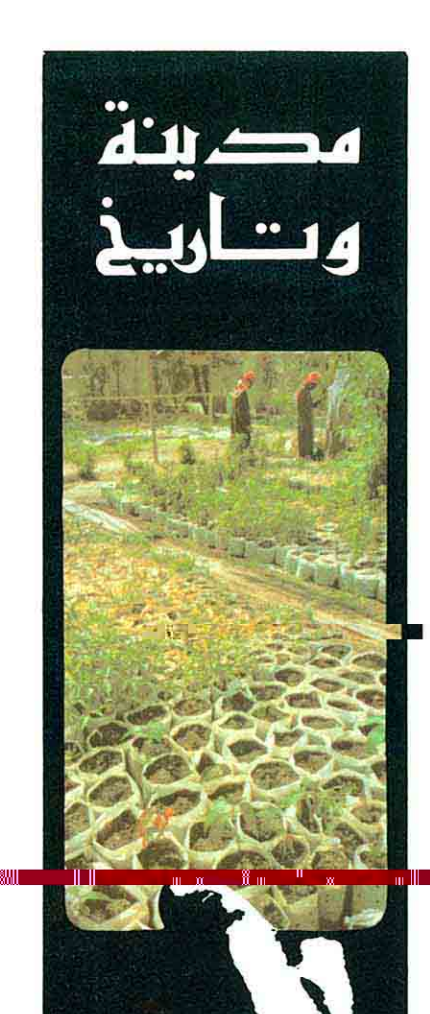
ـ تقييم خطط التنمية المتلاحقة مما يساعد على إيجاد الفرص المناسبة للتصنيع.

ـ مراجعة الأفكار المتعلقة بالمشاريع القديمة... فمن المحتمل وجود فرصة جديدة في الأفكار القديمة.



ومهما يكن، فإن نجاح التنمية الصناعية يعتمد بصورة رئيسية على السلامة الفنية للمشروع، وتوافر التمويل الكافي، وكفاية الإدارة، وتوافر السوق المحلي أو الخارجي لتصريف الإنتاج، وأخيراً مقدرة المشاريع الصناعية على تحقيق الأرباح بصورة مبكرة لكل من المستثمر والاقتصاد.

فتنمية القطاع الصناعي مطلب أساسي لتوازن الاقتصاد، واستيعاب العمالة الفائضة، وشحذ ذهن الأفراد للانتقال إلى مرحلة التفكير الخلاق، والاعتماد على النفس... وبالتالي تحقيق التنمية الحقيقية التي تضع حداً للمشاكل والصعوبات الرئيسية التي تعاني منها اقتصاديات الدول النامية.





بلد الرمال والخضرة والماء

بقلم : صالح سليمان الوشمي

تقع مدينة بريدة في الوسط من منطقة القصيم التي تشكل إحدى المناطق الرئيسة في المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية ، وقرب منتصف وسط الجزيرة العربية .

وهي أحد الأجزاء المشكلة لمنطقة القصيم التي يبلغ متوسط ارتفاعها عن سطح البحر ٦٠٠ ــ ٧٠٠م تقريباً ، وتقع على خط طول ٤٤° شرقاً مع خط عرض ٢٦,٥° شمالا تقريباً[١] .

وتفصلها عن حافة **وادي الرمة** الشمالية تكوينات رملية متوسطة الارتفاع كما تحيط التكوينات الرملية التي تلف أعطافها من جميع جهات المدينة واحات النخيل الجميلة والبساتين الغناء ، وهي ما يسمى **بالخبوب**[٢] .. التي قال عنها الرحالة **أمين الريحاني** : « الخبوب التي تطوق مدينة بريدة كالقلادة من الزمرد في خيط من الذهب لبدوية القصيم »[٣] .

★ منظر طبيعي لمزارع ورمال بريدة ★



★ منظر عام من مكان مرتفع لمدينة بريدة ★



★ مبنى الإمارة ★

وقد لفت موقعها على أكتاف الرمال الذهبية المتموجة انتباه أكثر السياح والزوار الذين قدر لهم أن يزوروا المدينة ويسجلوا انطباعاتهم ومشاهداتهم ليقرأها الناس .

يقول **حافظ وهبه** : « وتقع المدينة على مرتفع رملي ، وهي صحية جداً وأرضها خصبة وبساتينها كثيرة وتروى بسهولة »[٤] .

وهذا الشاعر **عبد العزيز النقيدان**[٥] أحد أبنائها يرسم بريشته تعبيراً صادقاً لمدينته ووطنه **بريدة** ، وقد خطر بباله وعبّرت مخيلته وهو ناءٍ عنها ، يقول :

الـرؤى والجمال مـلء إهابه
وسنى الحسن في اتقاد اشتبابه
تتغنّى به الطيور نشاوى
تتهادى مزدانة في رحابه
شاقها منه روضه ومحيا
ه ونفح الأريج ملء ترابه
وخرير المياه ينساب لحناً
عبقرياً في وهنه واضطرابه
و (دعوص) الرمال شع بها النور
زكياً في سهله وهضابه
والبساتين ماثلات بها الطير
شغوف بلحنه وانسكابه
إنها صورة تغنى بها الأهل
وعاشوا الجمال وسط إهابه
صنعتها يد الإله فباتت
آية الله حين لاذت ببابه
تلك يا عشق الجمال مزايا
لن تراها بالمثل من أترابه

تاريخ تأسيس المدينة

المعتقد أن تأسيس مدينة **بريدة** قديم ، وهي على أي حال مورد ومحطة على أحد طرق الحاج العراقي المحاذي لوادي الرمة من الشمال .. وقد استوطنت قبل الإسلام لسبب توفر مواردها المائية والمحيطة بها كضاحية **(الزرقاء ، الجريه ، الموطا)** ، ففيها سابقاً عيون مائية تجري ، والماء مورد مقصود وهو عنصر الحياة ، **وهذا شاهد قائم على أن المدينة عرفت جاهلياً وإسلامياً** .

وذكر **ياقوت** أن بريدة : تصغير بردة ماء **لبني ضبينة** وهم **ولد جعدة بن غني** ، وقال يوم بريدة من أيامهم[٦] .. إلا أن بعض المحققين المتأخرين لا يعتقد أن المقصود بهذا النص بريدة المدينة الحالية[٧] .. وعلى أي حال فهي قديمة ولم تحتل مكانها في المنطقة إلا في القرن التاسع الهجري ، ولعل أساسها ضاحية **(التغيرة)** حيث هي مورد للحاج ، فالمخلفات الفخارية والنقود الإسلامية التي عثر عليها



★ بئر ماء ارتوازية طبيعية بدون ضخ في إحدى المزارع ★

في هذا المكان تثبت استيطانه . وقد رافقت في ربيع عام ١٣٨٩ / ١٣٩٠ هـ ، بعثة أعضاء **جمعية التاريخ والآثار لجامعة الرياض** في زيارتها لهذا المكان ، وشاهدنا أطلاله التي أزيلت ، واستخدمت الزراعة هناك .

يذكر المؤرخون أن أول من قام بإعمارها الذي استمر حتى وقتنا الحاضر هو راشد الدريبي من آل أبي عليان ، وأنها ماء **لآل هذال من شيوخ عنيزة** ، اشتراه منهم وعمرها وسكنها سنة ٩٨٥ هـ[٨] .

وقد ناقش **الشيخ محمد العبودي** في معجمه هذا النص الذي تفرد به **ابن عيسى والذكير** ، وأكد أن ما حولها ومكانها كان معموراً مأهولا قبل هذا التاريخ ، وأن تاريخ عمارة هذه المدينة من الأشياء التي جهله الناس[٩] .

سبب التسمية

أورد صاحب **معجم القصيم الجغرافي** ص ص (٤٦٥ ـ ٤٧٢) تعليلات كثيرة لسبب التسمية منها : **برودة مائها** ، ونسبتها لرجل يقال له **(البريدي) أول من عمرها ، أو لانفصالها عن الشماسي حيث سميت برزة ، أو لكونها روضة تجتمع فيها المياه فتنبت البردي** ، أو إذا غاض ماؤها أصبحت **باردة** ، أو أن فيها ملك لامرأة اسمها **(بريدة)** ، أو أن أصلها بئر حفرها **الصحابي بريدة بن الحصيب الأسلمي** رضي الله عنه حيث أرسله **الرسول صلى الله عليه وسلم** لتفقد إبل الصدقة .

والذي أميل إليه أن سبب التسمية يرجع إلى برودة مائها لقرب منابعه في السابق وتوفر مياهها السارحة في الماضي ، وقد لمح شاعر سوري معاصر هو **الأستاذ علي دمر** حين مشاركته في التدريس وإقامته في بريدة هذه الظاهرة فيها بقصيدته[١٠] :

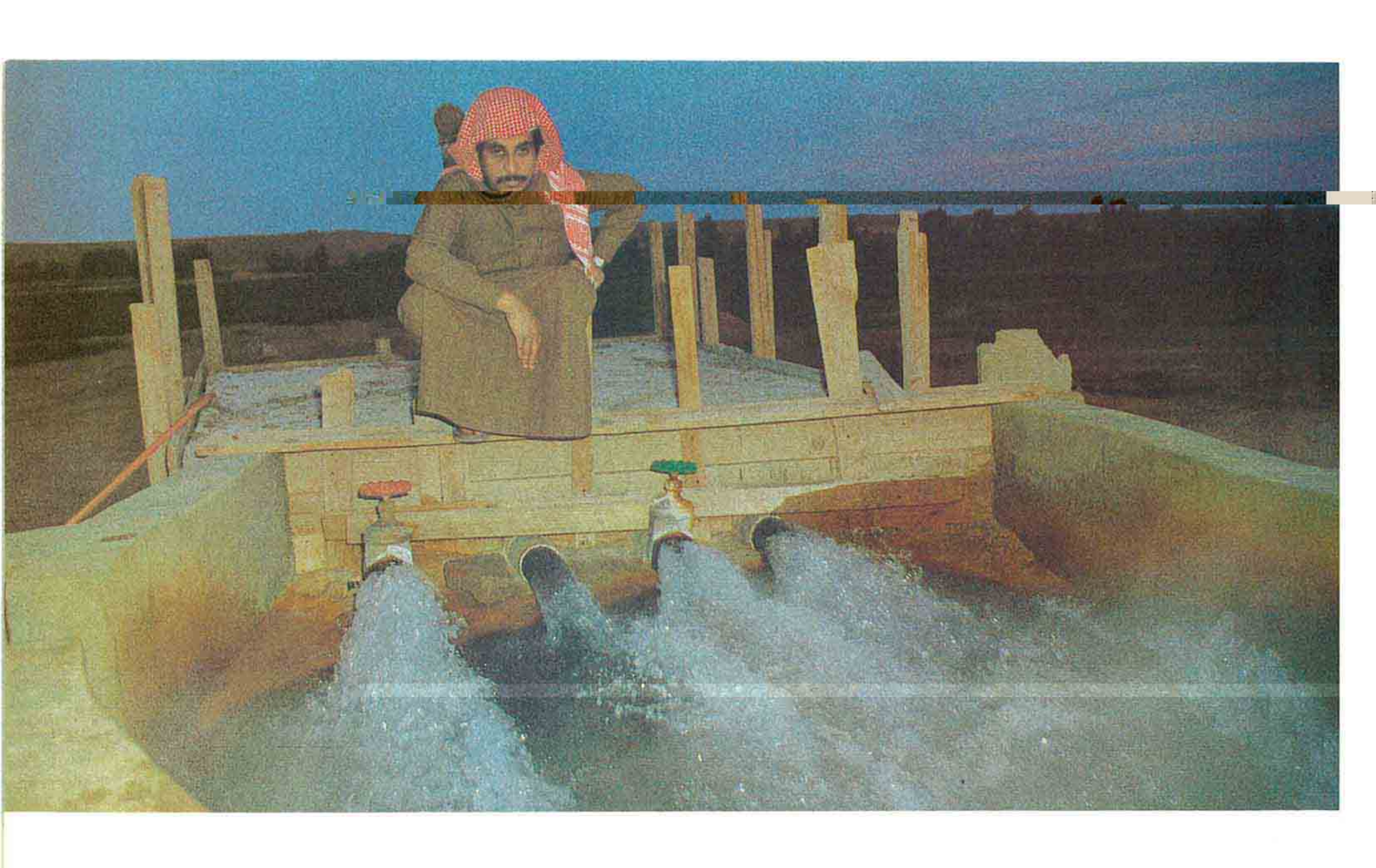
ما زلت أبحث في الأكوان عن عرب
صافين ما اختلطوا يوماً بأعجام

حتى يقول :

حتى نزلت على نجد بزاهية
من القصيم لدى ماء وأنسام
بريدة بردت فيها المياه لدى
خضر الخمائل في سهل وآكام

أسوار وقلاع المدينة

حظيت بريدة كغيرها من مدن قلب الجزيرة العربية من **تعدد الأسوار والقلاع والأبراج** حيث تشكل في دقتها خطوط الدفاع والتحصين العسكري ضد الهجمات الناتجة عن الفوضى التي عاشتها قبل توحيد المملكة ونشر لواء الأمن عليها من قبل المغفور له **الملك**



عبد العزيز بن سعود رحمه الله . وقد عرف لمدينة بريدة أسوار ثلاثة ، أولها وهو أكبرها حيث يشمل ساحة واسعة يقدر طولها بحوالي ثلاثة كيلومترات بعرض كيلومتر واحد تقريباً ، وهذا السور قد طمرت الرمال المتحركة أجزاء كثيرة منه عثر عليها بشكل منتظم حين حفر الآبار داخل البيوت ، ولعل القصد من إقامته بهذا الحجم شموله لمساحة كافية لرعي ماشية البلد حين الحصار .

أما السور الثاني فهو سور (حجيلان بن حمد) أحد أمراء مدينة بريدة في السابق ، ويؤمل أن تشييده في حدود عام ١١٩٤ هـ ـ ١١٩٦ هـ ، حيث إن عام ١١٩٦ هـ ـ كما ذكر ابن عيسى ـ حاصر سعدون بن غرير الخالدي بريدة لمدة خمسة أشهر ، فعجز عنها[11] . . ومن بقايا هذا السور ما أزالته البلدية في شهر ذي القعدة عام ١٤٠٠ هـ ، لدخوله في نزع ملكية لصالح المواقف الواقعة شرقي شارع الصناعة .

وأما السور الثالث فيسمى سور (أبا الخيل) ، وقد شمل مساحة أوسع من سور حجيلان وأقيم في عام ١٣٢٢ هـ ، وهو آخر سور أقيم حول البلد ولعله هو الذي عناه حافظ وهبة بقوله : « بريدة محاطة بسور يحمي البيوت والأسواق ، ويبلغ ارتفاعه ١٥ قدماً »[12] ، وقد تعاورت معاول الهدم هذه الأسوار ليحل مكانها البناء الحديث .

أما القلاع والأبراج التي كانت مشيدة سابقاً ببريدة فأهمها برج الشماسي : ويقع شمال المدينة ، وقد شاهدته شامخاً في مكان منعزل من البلد يسمى حالياً الجفر (جفر الحمد) ، وقد امتدت معاول حاملي تربة البناء إلى هذا البرج الشامخ فأردته طريحاً في الأرض .

وبرج آخر يقع على مرتفع رملي كبير غربي المدينة يسمى (بالصنقر) ويستخدم للمراقبة وصفه الدكتور عبد الرحمن زكي : « بأنه ضخم منيع يبلغ قطره خمسين قدماً ، يستطيع الزائر إذا أراد الصعود إلى قمته أن يشاهد منظراً ممتعاً للصحراء التي تحيط ببريدة »[13] .

وأما البرج الثالث فيقع جنوب شرقي البلد بما يسمى بـ (حارة السادة) حالياً ، وهو كبير وجيد التحصين ، ولعله من بقايا السور الأول الذي أشرنا إليه ، إذ لا يُعرف مَنْ بناه . وقد أشار المؤرخ إبراهيم بن عبيد إلى هذا الموضع بقوله : « وهي السادة فيها نخيل وبساتين ، وفي هذا الموضع آثار حصن عظيم قد صاد ثويني وإبراهيم باشا وكان ذلك الحصن عظيم الحيطان بحيث يبلغ مسطح الحائط ثلاثة أمتار »[14] .

ومن أهم القلاع وأشهرها في بريدة (قصر الإمارة) القديم وقد بني بالحجارة والطين ، ويحتل كل زاوية منه مقصورة على شكل برج لأكثر من طابق ، ومساحته واسعة تبلغ (٢٠٠ × ١٥٠ م) تقريباً . . وقد وزعت من الداخل إلى أروقة وغرف تناسب الشكل الخاص بالقلاع في ذلك الوقت ، وفيها بئر ماء ، ولها بوابة رئيسية متجهة إلى الجنوب أمام ساحة الجردة ، وقد أدركنا هذه القلعة ولم تهدم إلا من عهد قريب واستخدم مكانها ساحة ودكاكين لبيع اللحوم والخضار أعدته البلدية .



★ تربية الأبقار في المزرعة النموذجية التابعة للمعهد الزراعي الفني ★

وقد استوعبت هذه القلعة في بداية العهد السعودي أغلب الدوائر الحكومية التي أوجدت في ذلك الوقت كالإمارة ، والمالية ، والجوازات ، والسجن ، كما يقيم فيها الحاكم الإداري للمنطقة ، ويستقبل ضيوفه ، وفيها مقر رجال الإمارة سابقاً ، وهي بناء حصين محكم ، قال عنها الأستاذ حافظ وهبة : « إنها قلعة البلد الرئيسية وقد بنيت بناء هندسياً جميلاً »[١٥] .

وذكر الريحاني أنه نزل هذه القلعة وأنها : « قصر كبير ذو أبراج متعددة وأفنية رحبة وقلاع للدفاع الواحدة دون الأخرى ، وفيه بيوت للضيافة وماء ومسجد »[١٦] .

وأما الدكتور عبد الرحمن زكي فقد خصها من مقال له بعنوان (جولة في القلاع التاريخية في الجزيرة العربية) نشره في **مجلة قافلة الزيت ،** عدد محرم عام ١٣٧٧ هـ ، بقوله : « إذا وصلنا إلى بريدة وجدنا مقر الحاكم يجتذب أنظارنا ، وهو يشغل القلعة القديمة تلك التي تعبِّر عن أجمل عمائر المدينة مع مساجدها العتيقة ، وتربض القلعة فوق مرتفع في الشمال الشرقي من المدينة وتحتوي على أربعة طوابق ترتفع جدرانها نحو أربعين قدماً ، والمعروف أن بناء قلعة بريدة يرجع إلى ستمائة عام » اهـ . أما تحديده لتاريخ البناء فلعل فيه وهم .

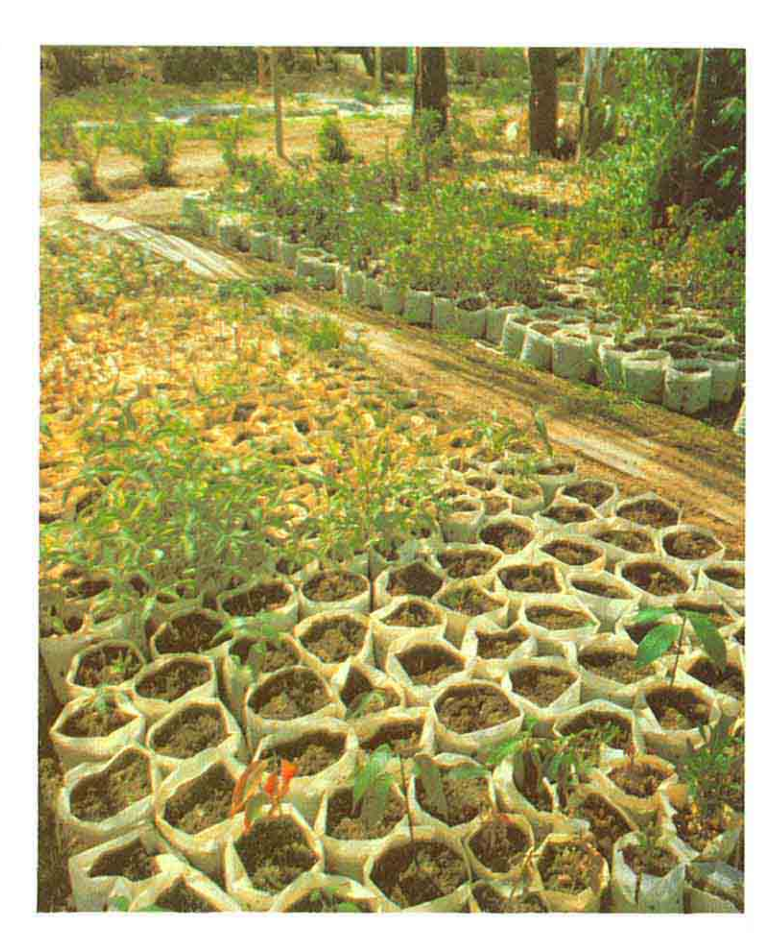
مكانة بريدة في المنطقة ماضياً وحاضراً

ذكر الإخباريون أن مدينة بريدة أكبر المدن النجدية وأحسنها نظاماً ونظافة[١٧] ، ويثبت **الأستاذ عبد الرحمن صادق الشريف** : « أن بريدة احتلت مركز الصدارة وصارت قاعدة القصيم وعاصمته فسميت **أم القصيم** »[١٨] . هذا ، وهي من قديم مقر الحاكم الإداري للمنطقة عموماً ، كما فيها الإدارات العامة وفروع الوزارات والمصالح الحكومية الأخرى .

والواقع أن لاستراتيجية موقع مدينة بريدة من منطقة القصيم أهمية جعلها تحتل الصدارة في المنطقة حيث تنتهي إليها الطرق الفرعية التي تربط أجزاء القصيم ببعضه وهذه الطرق القديمة ترتبط برباط الاتصال الحيوي حيث توفر الموارد المائية حولها . . فالصحراء فيما بينها وبين جهات الشمال حتى مدينة **حائل** والشرق حيث تكوين النفود الكبير كلها سابقاً صحراء مقفرة دون ماء عدا موارد قليلة وليس فيها مراكز تجارية . من هنا **كانت بريدة محطة تجارية مرورية مهمة في المنطقة . .** والحاضر يحكي الماضي تماماً ، فمن ناحية المواصلات وارتباطها بالمدينة ، فقد أصبحت بريدة الآن عقدة لمواصلات رئيسية بين العاصمة الرياض ، والديار المقدسة مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، والشمال حائل ، وطرق فرعية ما بين مدن وقرى وهجر القصيم الكثيرة ، وأقرب لمحة على خرائط وزارة المواصلات السعودية للطرق البرية توضح هذه الحقيقة .

الزراعة في بريدة

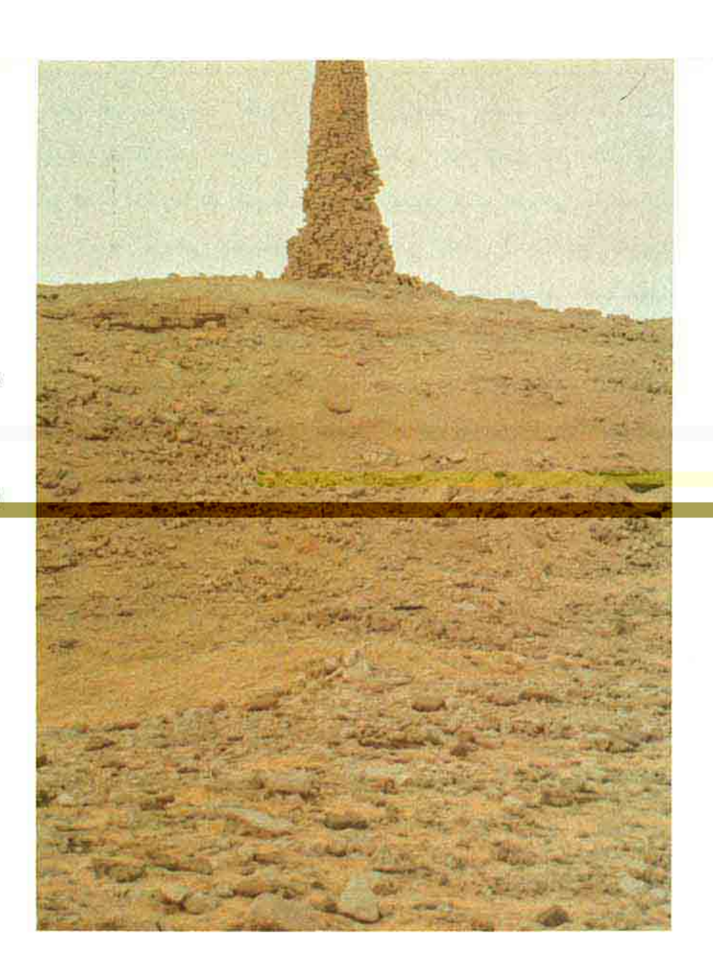
أما بالنسبة لتوفر مياهها حيث تحيط بها البساتين من أكثر الجهات



وخاصة فيما يسمى بـ **(الخبوب)** ، فهذه البساتين والحقول الزراعية تمد المدينة بمتطلباتها من الخضار والفواكه والرطب ، وفي وقت مضى قد تعز مثل هذه الأشياء عند غيرها في نجد ، وتوفر هذه المحاصيل الفصلية لتوفر الاتجاه الزراعي عند سكان الأرياف التي تكتنف المدينة وصلاحيتها لذلك .. وأما في الحاضر ، وبعد (ميكنة) الزراعة وتوفر الخدمات الهائلة التي تمنحها **وزارة الزراعة السعودية** للمنطقة ، فقد توسع النمو الزراعي في جميع أطراف المدينة ، بل في كل زاوية من المنطقة الواسعة الأرجاء ، وأصبح المحصول الزراعي يُشكِّل عملاً رئيسياً بالمنطقة عموماً ، وفي مدينة بريدة خصوصاً ، حيث أصبحت الزراعة تدار بالآلات الحديثة وبالطرق الفنية السليمة مع توفر الخبرات والأيدي العاملة ، ووجود مساحات واسعة ومنسقة للحقول الزراعية ، وكلها تمد بمخزون مائي ضخم سواء من الطبقات العليا أو من مخزون التكوينات السفلى من حوض تكوين **(ساق وغيره)** .

فقد تعددت الآبار الأرتوازية وتحوَّلت الصحراء الواسعة في الشمال والشرق إلى حقول خضراء ، والتكوينات الرملية أكثرها سطح واستصلح زراعياً .. وأصبحت المحصولات الزراعية ضخمة ، والآن تُصدِّر المدينة فائض استهلاك المنطقة من الإنتاج إلى دول الخليج العربي خاصة من حاصلات الخضار والبطيخ .. ولوفرة إنتاج الحبوب **(القمح)** ،

★ جانب من سوق الخضار والفواكه ★



★ أحد الأبراج في بريدة ★

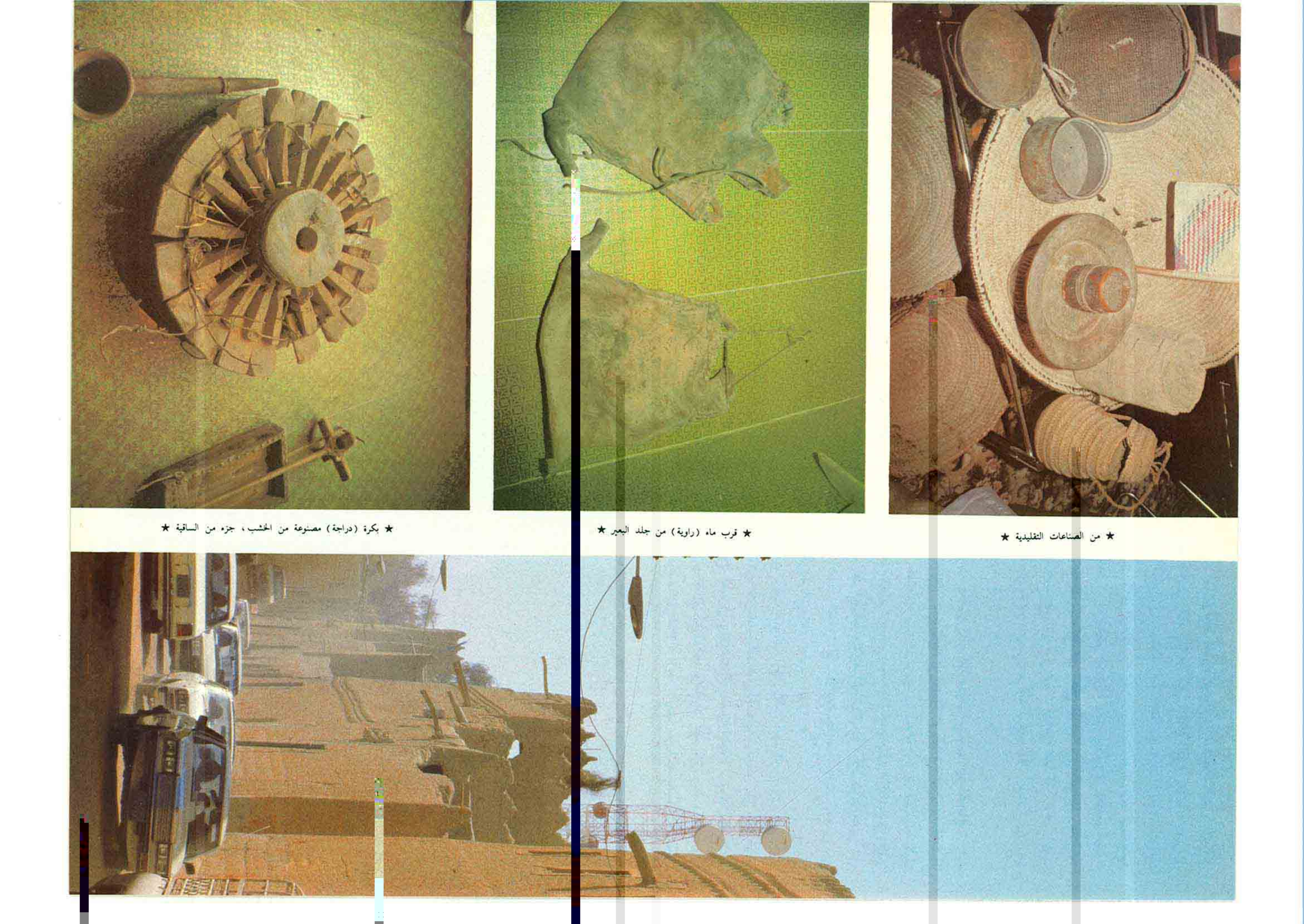
★ من البيوت التقليدية في بريدة ★

أنشأت الدولة فيها محطة لتخزين الحبوب (صوامع غلال)، وصدرت تعليمات لاحقة في توسعتها وإضافة مطاحن إليها، وأصبح المركز الرئيسي للبنك الزراعي في المنطقة دافعاً قوياً للمزارع البريدي، بل القصيمي عموماً.

هذا وقد اختير أخيراً، في شمال شرقي المدينة في **جهة الأسياح**، مكان زراعي واسع لتنفيذ **مشروع تربية الثروة الحيوانية والزراعية بالمملكة**، ويتبع المشروع **للشركة العربية المشتركة لتنمية الثروة الحيوانية المنبثقة عن مجلس الوحدة الاقتصادية**، ويغطي المشروع مساحة (٥٠) ألف دونم، ومن أهدافه زراعة **الأعلاف** .. ففي عام ١٩٧٩ هـ، بدأ فيه، وتمّ حتى الآن حفر خمس [illegible] طبيعياً دون الآلات الرافعة .. ويتم ري المساحة بواسطة الري الحديث **(الرش)**.

ومن أهداف هذا المشروع أيضاً تربية **الدواجن**، وقد تم ترسية مشروع الدواجن على **شركة هولندية** بحوالي ٩٥ مليوناً لإنتاج دجاج لاحم وبيض وصيصان كما أفاد مدير المشروع **المهندس صالح الرميح**.

وقبل هذا المشروع يوجد **مشروع المشيقح للألبان والدواجن**، إذ في مزارعهم الحديثة قرابة ألف رأس من الأبقار لإنتاج الحليب المبستر واللبن والزبدة، وحظائر كثيرة لدجاج اللحوم والبيض .. وقد أوجدت



★ من الصناعات التقليدية ★

★ قرب ماء (راوية) من جلد البعير ★

★ بكرة (دراجة) مصنوعة من الخشب، جزء من السانية ★

الدولة في المدينة معهداً زراعياً نموذجياً زودته بالآلات والخبرات الفنية . . علماً أن زراعة **النخيل** في القصيم وبريدة بالذات تؤتي ثماراً كثيرة وجيدة . . ففي نهاية كل فصل صيف يمتار منها الراغبون في تخزين التمور – من بادية وحاضرة – وذلك من مختلف أنواعه (**كالشقر ، والسكري ، والحلوة ، ولكويري ، وأم الخشب ، والرشودية**) وأنواع أخرى اشتهرت بها بريدة في بساتينها المزروعة في خبوبها بكميات كثيرة ، فتمد بهذا الفصل من كل سنة مدن وقرى وهجر منطقة القصيم بالاحتياج السنوي من التمور التي يعمل على تخزينها لمدة عام بطريقة بدائية جيدة وسليمة .

قصة الماء في بريدة

وأحب أن أشير عند هذه النقطة إلى قصة الماء في بريدة ، ففي الماضي الموغل في القدم كانت المياه وافرة لكثرة **العيون الدارجة** .. وأما في الماضي القريب وبعد تقليص هذه العيون لردم الرمال المتحركة لها أصبح الماء ، وخاصة العذب ، فيه شحاً يستنبطه الأهالي من أطراف المدينة ويجلبونه على الدواب .

وحدث فجأة أن قام مزارع في **ضاحية (الزرقاء) شمال غربي بريدة واسمه « سليمان الخريف »** وذلك في أوائل عام ١٣٧٢ هـ ، بمحاولة تعميق بئره بإنزال أنبوبة في قاعه بطريقة الحفر اليدوي البدائية ، ومهندس الحفر لهذه العملية هو **المواطن « صالح العايد »** من أهل ضراس ، وقد اشترى قطع الحفارة اليدوية من مستجلبها السابق من أهل **عيون الجواء** الذي جاء بها عن طريق **الظهران** ، وعمق الحفر إلى ١٢٠ متراً في قاع البئر بأنبوبة قطرها ثلاث بوصات . وفجأة ، وبعد مدة شهر ويومين من العملية المتواصلة ، نبع الماء عذباً قوياً دون ضخ إلى سطح الأرض .. واستبشر الناس ، وهي أول بئر في القصيم عموماً وفي بريدة خاصة تفجر ماؤها على سطح الأرض .. دون آلة رافعة .. وقد توافد لمشاهدته جمع كبير من مختلف مناطق المملكة ، وجاء إليه أناس آخرون من الخليج العربي .. وقد شاهده جلالة الملك سعود رحمه الله حين زيارته لمدينة بريدة .

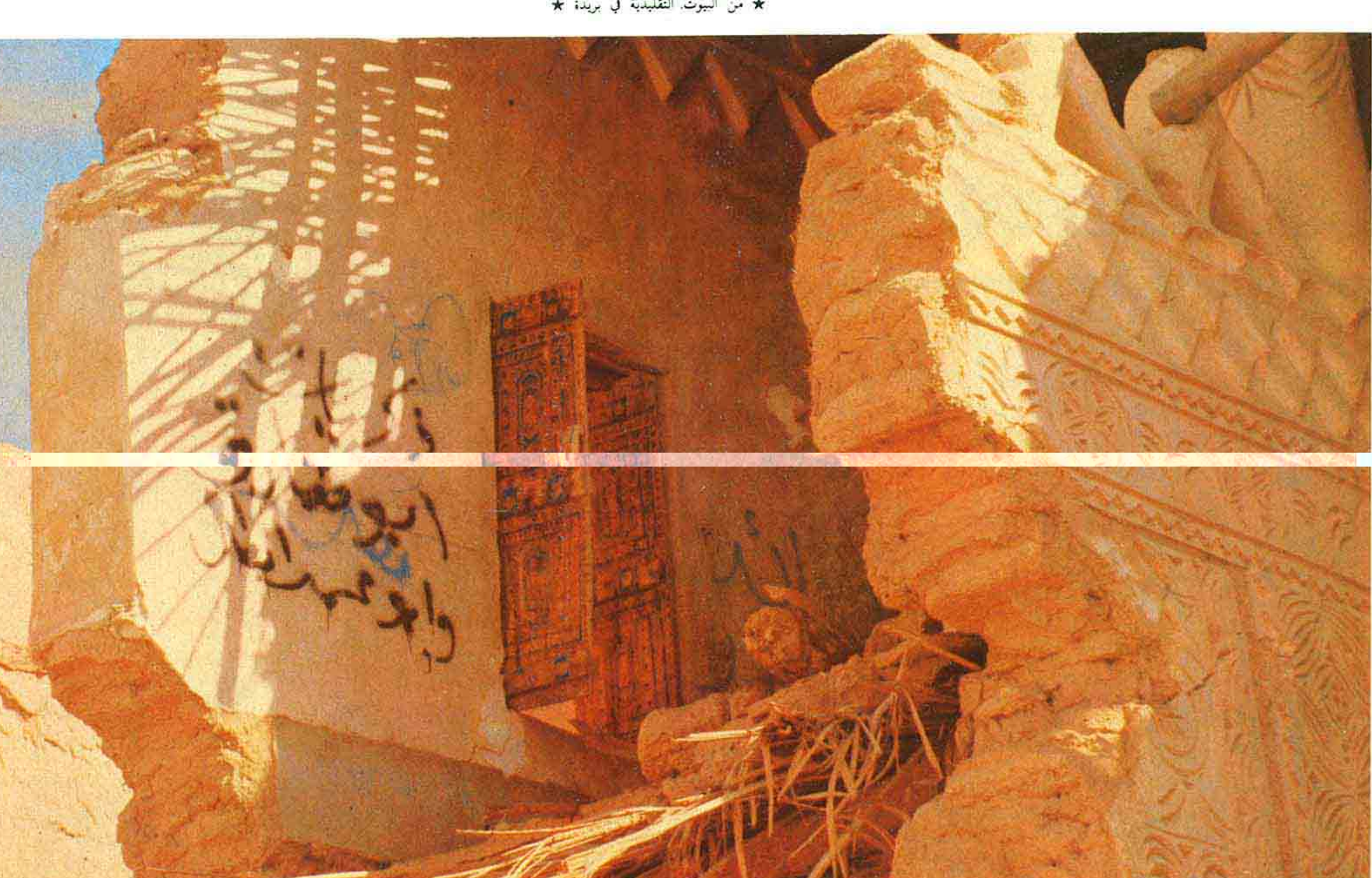
وقد جاء بتقرير أو ملاحظات يوسف أبو الحجاج :

R Emarks on the Artesian Water of Nejd p. p. 103 – 111 .

قوله : « وقد اكتشفت المياه الأرتوازية في المملكة العربية السعودية لأول مرة في مقاطعة القصيم بمنطقة بريدة ، وقد قدم هذا الاكتشاف ملامح هامة في الجغرافيا الطبيعية والاقتصادية في البلاد ، لأن مورداً جديداً كل الجدة للمياه اكتشف بمحض الصدفة بواسطة مزارع كان يعمق بئره القديمة في **قرية الزرقاء** بجانب بريدة » ا هـ[١٩] .

ومن يومها توالت عمليات الحفر بآلات أحدث وأقوى منها ما استجلبه **إبراهيم الراشد الحميد وإخوانه** وأطلقوا على مشروعهم هذا **(مشروع الري والمعدات الزراعية)** ، ووصلت هذه الحفارات الأرتوازية إلى أعماق أبعد وتفجرت المياه بكثرة والحمد لله ، وقد تصل حرارة بعضها إلى (٥٠) درجة ، ومنها ما هو معدني صحي

★ من البيوت التقليدية في بريدة ★



استخدم للاستشفاء .

وأصبحت **بريدة** كغيرها من مدن المملكة تُسق بالمياه العذبة بواسطة شبكات جيدة وصحية . . وقد جاء في تصريح مدير عام الشؤون الزراعية بالمنطقة قوله : « وقد شغل مؤخراً محطة تنقية مياه الشرب في مدينة بريدة والتي تقدر طاقتها بـ (٨٠) ألف متر مكعب ، وبلغت تكاليفها ستين مليون ريال ، كما تقرر **إنشاء برج مياه بريدة** في ساحة ميدان الملك ، حيث تم طرحه في المناقصة »[٢٠] . . وبجانب هذه الشبكة المائية أيضاً توجد شبكة مشروع تصريف مياه المجاري العامة والسيول للمدينة التي بدأ تشغيلها .

التجارة في بريدة

أما من الناحية التجارية فلعل شهرة أهالي القصيم ــ وخاصة مدينتي **(بريدة وعنيزة)** ــ في الرحلات التجارية لأطراف الجزيرة العربية سابقاً بل وخارجها أيضاً ، تغني عن الحديث . فمن أهالي بريدة ما عرف باسم **(العقيلات)** وهم جماعة يسافرون في رحلات منتظمة خارج المنطقة وعبر الصحراء إلى كل من **سورية والعراق والأردن ومصر** للتجارة بالماشية ، ومن هذه البلاد يستوردون مستلزمات الحياة التي تقلها رواحلهم في وقتهم مما أضفى على المدينة وأهلها سمة التجارة وأعطاها مركزاً تجارياً مرموقاً . . يقول أمين الريحاني : « إن بريدة مدينة تجارية وليس لأهلها وقت لغير الاتجار والصلاة »[٢١] .

والبستاني « يرى فيها أسواقاً حسنة وشوارعاً فسيحة وأنها ذات تجارة وثروة »[٢٢] . وموقعها ما بين الرمال التي فيها واحات النخيل ، وقرب (وادي الرمة) ومراعيه الخصبة ، وعلى مشارف الصحراء الممتدة شمالها حيث المراعي الشتوية التي تربى عليها الماشية ، هذا الموقع جعل منها سوقاً عامرة لتجارة الماشية . . ففي الشتاء ترعى ماشيتها شمال المدينة وشرقها ، وفي الصيف تقطف نبات الرمال وبطن وادي الرمة .

يقول أصحاب **الموسوعة العربية :** « بريدة : قاعدة القصيم ومياهها وافرة ولكنها ليست خالصة العذوبة ، وتتوسط كثيراً من القرى الزراعية ومركز تجاري هام ، يُقال إنها أكبر سوق للإبل في العالم »[٢٣] .

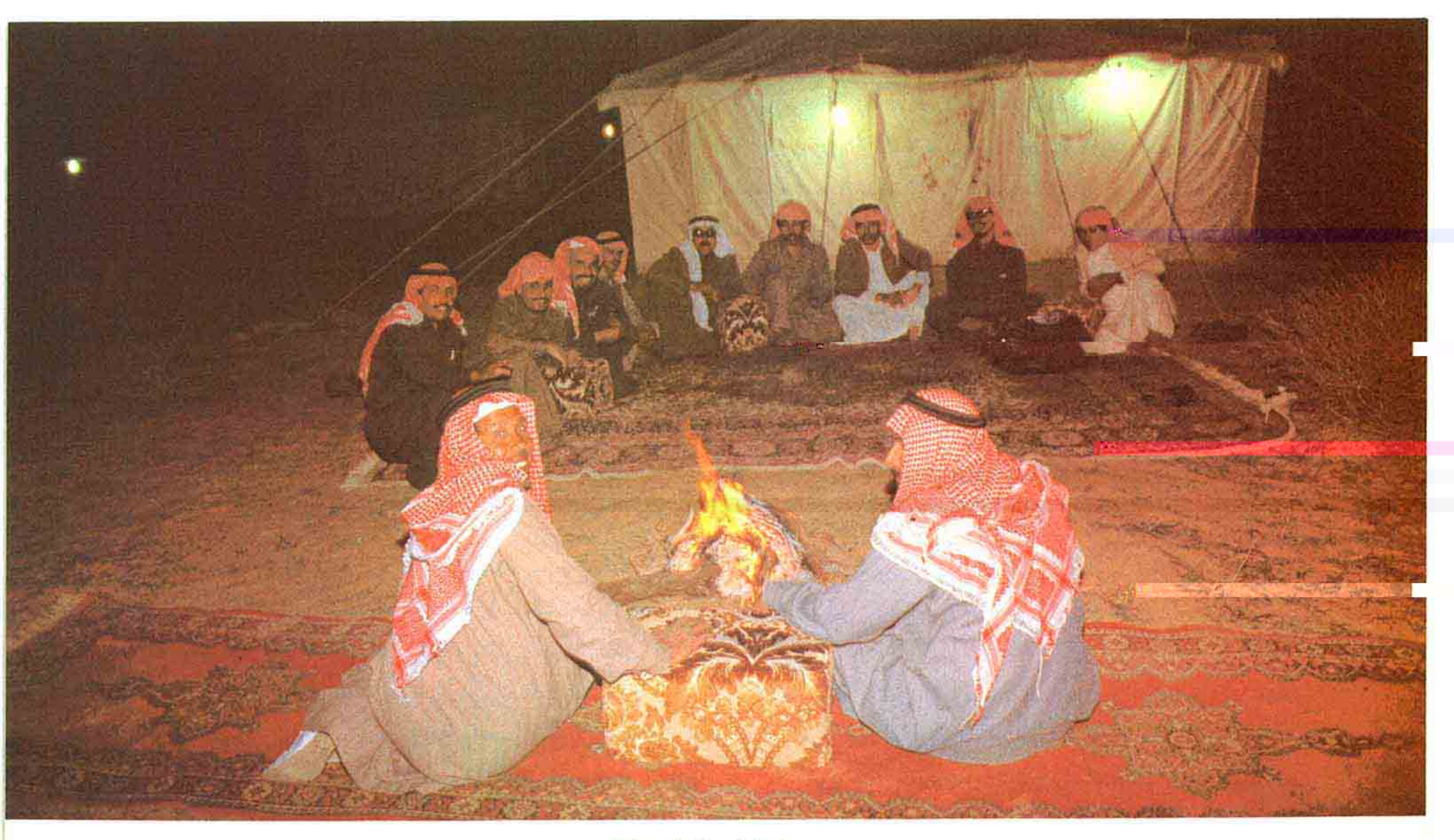
ويقول **حافظ وهبه** : « ويربى في بريدة وما يليها الإبل والغنم وهي تكوِّن جزءً من ثروة البلاد ، ويصدرون للخارج الزائد عن الاستهلاك المحلي . . وكذلك يُعنى فيها بتربية الخيول وتصدر إلى الشرق والشمال »[٢٤] .

وعن **سوق الإبل** في بريدة يقول أمين الريحاني وقد شاهدها : « **إنها أكبر سوق لبيع البعارين بالمزاد في البلاد العربية** »[٢٥] .

وقد عني أهالي بريدة بتنويع وتوزيع تجارتهم وذلك بتخصيص جهات وشوارع لكل نوع من البضاعة . فمثلاً **سوق الجردة** خصص لبيع الماشية ، وأسواق أخرى **للعطارين** وبائعي **التوابل** والمواد **الغذائية ، وأهالي الحرف . فعن سوقها التجاري يقول حافظ**

★ نقش على إحدى النوافذ الخشبية القديمة ★





★ جلسة مسائية في مزرعة ★

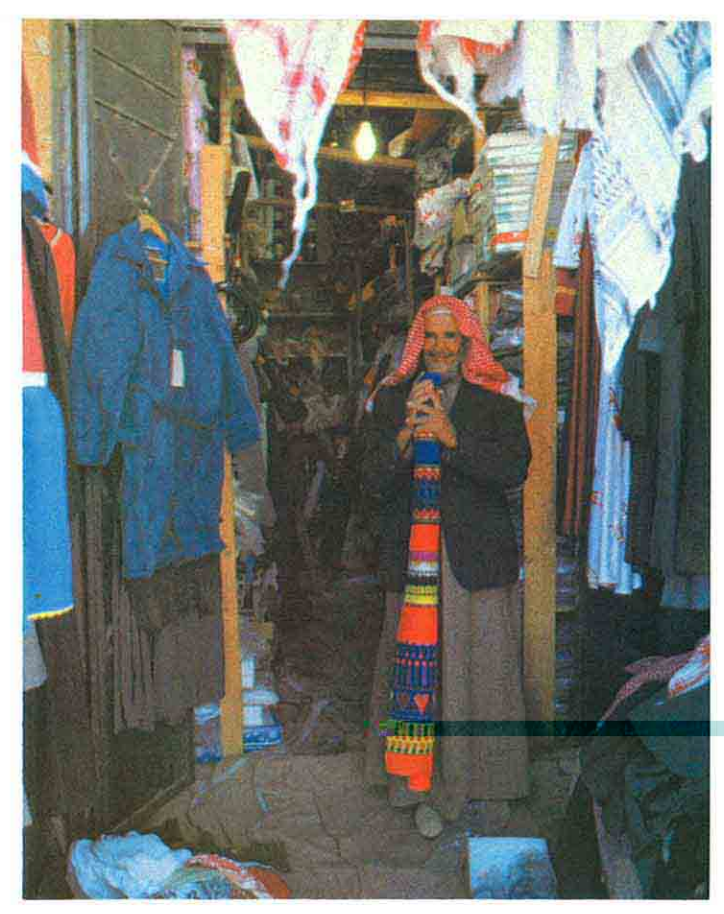
وهبه : « إنه يقع في الجهة الجنوبية من البلدة وبه نحو ٣٥٠ حانوتاً ، وهو مقسم إلى أقسام حسب نوع البضاعة ، وبها سوق للجمال »(٢٦) .

فشارع (الصناعة) الذي لا يزال الآن اسمه يطلق عليه حتى بعد توسعته تعد فيه من الصفائح النحاسية المستوردة أنواع القدور والأواني والأوعية النحاسية ، والدلال العربية وتوضع عليها زخارف ونقوش جميلة . . ومن الحديد أيضاً آلات الحراثة بأنواعها ، والعتل والفؤوس . . ومثله شارع (**الخرازة**) حيث تعد فيه أنواع الأحذية النجدية المزركشة والجواريب والمناطق التي تحمل الذخيرة ، وأغمدة السيوف ، والحقائب الصغيرة ، وأشرطة الزينة التي توضع على الزكائب (**الخروج**) وكلها تعد من الجلود والمتوفرة في المدينة حيث تقوم المصانع البدائية اليدوية في إعداد الجلود عن طريق دباغتها لهذا الغرض .

ومن الصناعات الريفية واللطيفة أيضاً **صناعة (الخوص)** وهو ما تعمله النساء في الغالب من جريد النخيل كصنع **الفرش** (**الحصر**) من الخوص والأقفاص وأنواع **الزبلان** [أوعية لحمل التمور وغيرها من منتوجات الزراعة] ، **والوقر والمراوح** اليدوية (**المهاف**) ، وأنواع الحبال للشد والحمل من مخلفات القنوان (**عثاكيل النخيل**) . . وكل هذه الصناعات اليدوية انقرضت أو كادت تختفي للتطور الهائل السريع ولوجود (الميكنة) في الصناعات الحديثة التي سدت الفراغ الذي تركته هذه الحرف اليدوية ، علماً أن بعضاً منها لا يزال يمارس في بعض القرى والأرياف بشكل نادر ولسد الحاجة الذاتية فقط .

أما الصناعات الخشبية في السابق كانت تحتل **جزء من سوق الصناعة خصص للنجارين** حيث تتوفر لديهم مواد صناعتهم من جذوع وأخشاب الأثل ، أو جذوع النخيل التي يستغنى عن إنتاجها ، فهم يعملون من هذه الأخشاب بعد نشرها إلى ألواح الأبواب والنوافذ ، وتشد بالمسامير التي يجهزها الصناع الوطنيون من مخلفات الحديد بعد صهرها وطرقها مكيفة حسب الحاجة . . كما تعمل من هذه الأخشاب الصناديق الخشبية (**دواليب**) لحفظ الملابس والأمتعة وغيرها ، كما يعد منها أيضاً ـ **الشداد ـ الكور** وهي ما يشبه السرج وتوضع على الإبل . . **وتزخرف الأبواب والنوافذ والصناديق بزخارف ونقوش متنوعة عن طريق حفرها بالنار أولا وبطريقة فنية ودقيقة ثم اضفاء الأصباغ والألوان المناسبة ، كما توضع عليها أقفال خشبية منها** . . ولكن هذه الصناعة بالذات ذابت في الحاضر وحل مكانها الآلة والطريقة الجديدة ، فبدلا من نشر النجار أخشابه بيديه أصبح عن طريق المفتاح الكهربائي يتم إعداد ما يريده بسرعة .

ومدينة بريدة واحدة من مدن المملكة الكبيرة في مملكتنا الحبيبة التي توليها حكومتنا الرشيدة كل عناية . . فالآلة الحديثة فيها متوفرة لتوفر التيار الكهربائي ، فمن مصانع المعدن والأواني المنزلية إلى ورش الحدادة والمناجر الفنية إلى تصنيع الأبواب والنوافذ من قضبان وصفائح الألمنيوم



★ حانوت قديم لبيع الأقمشة التقليدية ★

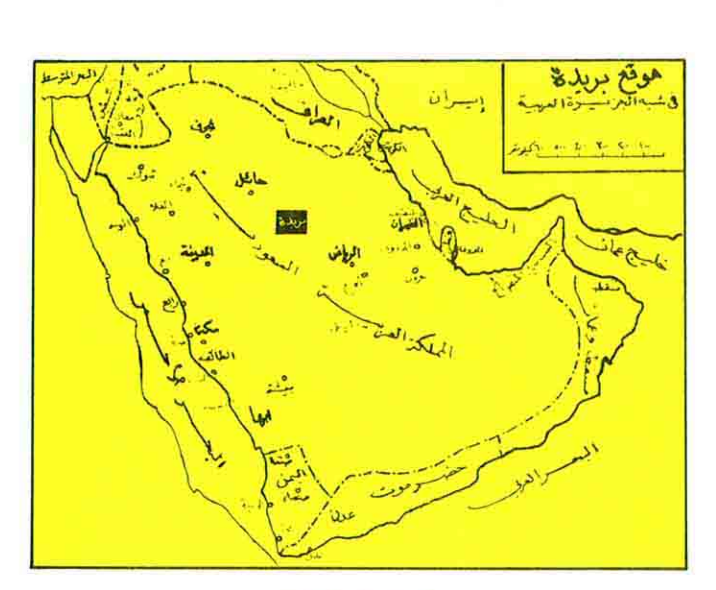
وغيرها كثير ، كما يوجد فيها **مركز للتدريب المهني** لتنمية هذه الحرف وتدريب الأيدي الوطنية عليها . والآن تعد على أحدث طريقة **المنطقة الصناعة** التي ستضم شتات هذه الصناعات في جزء خاص من المدينة .

التعليم

عرفت بريدة التعليم سابقاً بانتشار **الكتاتيب وحلقات الدرس في المساجد** خاصة في **الجامع الكبير أول مسجد أسس فيها** وقد زوّد بمكتبة تحوي أمهات الكتب ومجموعة من **المخطوطات** ، وقد رعتها أخيراً **وزارة المعارف** وأصبحت في بناية مستقلة وخاصة بها قرب الجامع نفسه .

أما بعد فتح **أول مدرسة حكومية نظامية في بريدة عام ١٣٥٦ هـ** ، حتى يومنا الحاضر فقد زاد عدد المدارس ، والجدول الآتي الخاص بمدينة بريدة وحدها فقط يوضح هذا .

- مدارس المرحلة الابتدائية ٤٥ مدرسة .
- مدارس المرحلة المتوسطة ١٢ مدرسة .
- مدارس المرحلة الثانوية مدرستان + مدرسة ثانوية عسكرية .
- معهد علمي متوسط ، وآخر ثانوي .
- فرع لجامعة الإمام محمد بن سعود يضم كليتي لغة وشريعة .
- معهد زراعي نموذجي .



★ بريدة على الخارطة ★

أما **تعليم البنات** فمدارس المرحلة الابتدائية (٢١) مدرسة ، والمدارس المتوسطة (٥) مدارس ، إعداد معلمات (١) ، ثانوية (١) روضة أطفال (١) ، خياطة (١) .

هذا وتنتشر ببريدة مكاتب ووكالات لأكثر الصحف اليومية السعودية بالمنطقة ، كما توجد فيها **محطة للبث التليفزيوني .**

وعلى أي حال فبريدة مدينة متحركة ضاجة بالعمل والحركة الدائبة ، وقد توسعت توسعاً كبيراً وملحوظاً في الفترة الأخيرة ، وأصبحت أحياؤها الحديثة تمثل أشكالا هندسية جميلة التخطيط والتوزيع توفر فيها مستلزمات المدينة الحديثة ، وبناياتها على الطرق الحديثة أيضاً .

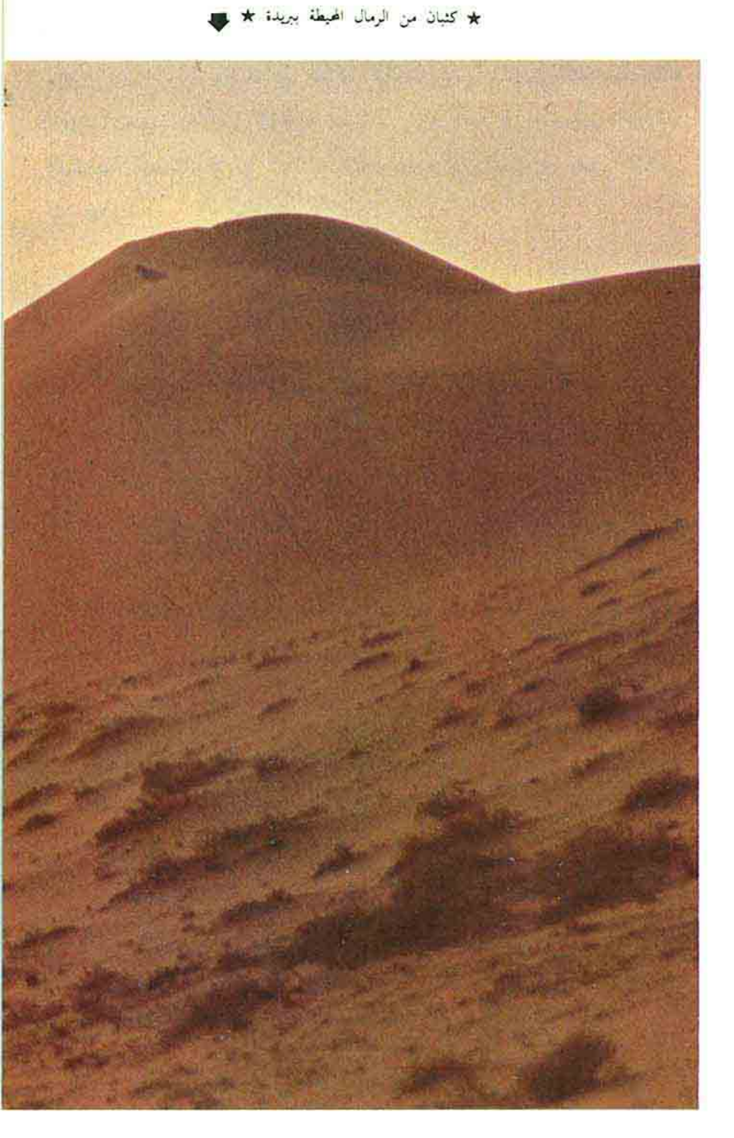
كما زودت بالحدائق والمتنزهات ، والفنادق والمرافق العامة . وترتبط كغيرها من مدن المملكة بالعالم داخلياً وخارجياً عن طريق الهاتف الآلي .

ومن الملاحظ أنها في النهار ووقت العمل تزداد كثافة سكانها وتكتظ شوارعها بالحركة والسير ، وبالليل تتقلص قليلاً حيث ينفر جزء منهم إلى أماكن إقامتهم السكنية في مزارعهم وحقولهم الإنتاجية ، لأنهم جاءوا وراء العمل ، ووقت الليل يعودون حيث الراحة والهدوء الذي يلف بردائه اللطيف سكون أريافهم الجميلة والوادعة بين كثبان الرمال أو في مستويات الأرض المزروعة ، ويشجعهم على هذا التنقل السريع توفر الطرق المعبدة التي تربطهم بالمدينة الأم .

وبريدة لا تزال تحتفظ بشيء من الطابع القديم شكلاً ومظهراً إلا أن معالم النهضة العمرانية والتقدم الزراعي والصناعي الزاحفة نحوها بقوة

★ جانب من المكتبة العلمية ★

★ كثبان من الرمال المحيطة ببريدة ★



أخذت تذيب بحماس معالم الماضي في مظاهر الحاضر المتحفز إلى المستقبل الزاهر إن شاء الله .

المراجع والهوامش

(١ ، ١٨ ، ١٩) الشريف ، عبد الرحمن : منطقة عنيزة ، ص ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ٨٨ .

(٢) الخب : منخفض من الأرض تحيط به تكوينات رملية وفيه ماء ونخيل ، وائل وأيدي زراعية عاملة .

(٣ ، ١٦ ، ٢١ ، ٢٥) ريحاني ، أمين : ملوك العرب ، ج ٢ ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٣ .

(٤ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٢٦) وهبه ، حافظ : جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٦١ .

(٥ ، ١٠) جريدة الرائد المحتجبة ، عدد ٩٠ ، ١٣٨١/٦/١٩ هـ .

(٦) الحموي ، ياقوت : معجم البلدان ، باب الباء والراء .

(٧ ، ٩) العبودي ، محمد الناصر : المعجم الجغرافي لبلاد القصيم ، ج ٢ ، ص ص ٤٦٢ ، ٤٨١ .

(١١) ابن عيسى ، إبراهيم : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ١١٩ .

(١٣) مجلة قافلة الزيت عدد محرم عام ١٣٧٧ هـ .

(١٤ ، ٢٢) ابن عبيد ، إبراهيم : تذكرة أولي النهى والعرفان ، ج ١ ، ص ص ٥٨ ، ٦٢ .

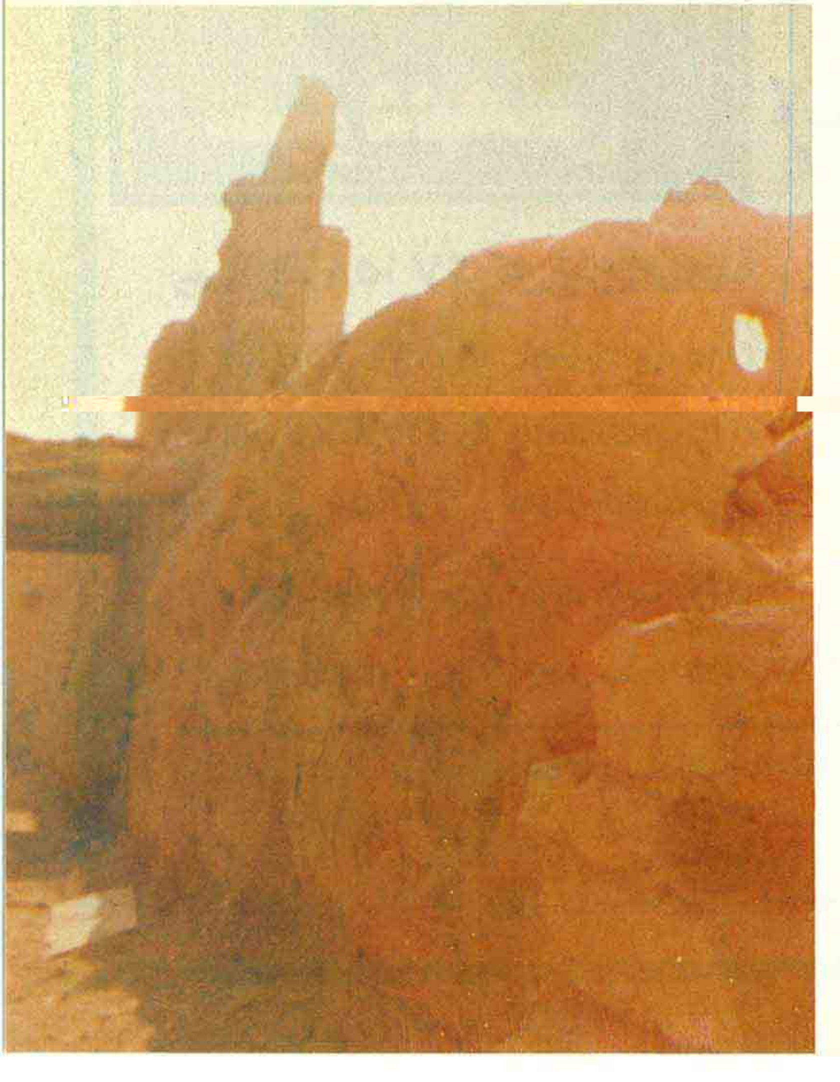
(٢٠) جريدة الجزيرة ، عدد ٢٩٧٦ في ١٤٠٠/١١/٢١ هـ .

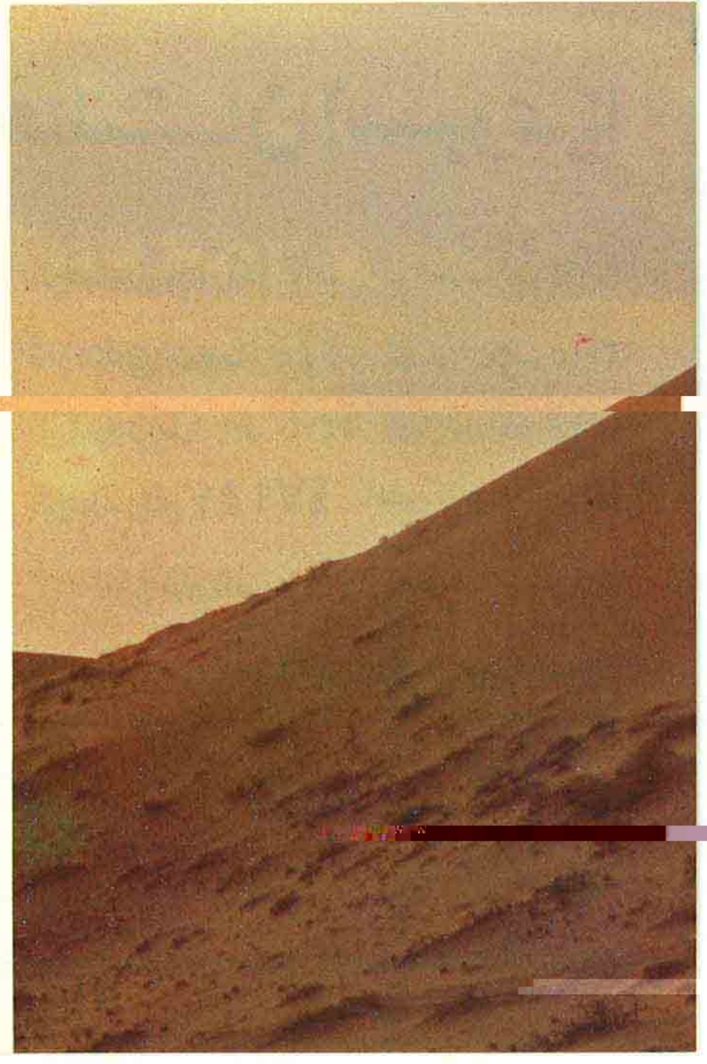
(٢٣) الموسوعة العربية الميسرة ، حرف الباء ، ص ٣٦٦ .

مجلة الفيصل العدد (٥٠) ص ٤٨

★ الحدادة، واحدة من الحرف التقليدية ★

★ بقية من سور حجيلان ★





توسعت شبكة خطوطنا بأربعين ألف كيلومتراً.

اعتبارًا من أول إبريل السعودية تنطلق بك من المملكة مباشرة إلى نيودلهي مرتين أسبوعيا



جده



الرياض



رحلتان أسبوعيًا

رحلة رقم SV ١٥٨ كل اثنين من جدة

اقلاع من جده ١٩٤٥ وصول الظهران ٢١٣٥

اقلاع من الظهران ٢٢٥٥ وصول نيودلهي ٠٢٣٥

رحلة رقم SV ١٥٩ للعودة الثلاثاء من نيودلهي

اقلاع من نيودلهي ٠٤٠٥ تصل الظهران ٠٧٣٠

اقلاع من الظهران ٠٩٠٠ تصل جده ١٠٥٥

رحلة رقم SV ١٥٦ كل سبت من جده

اقلاع من جده ١٩٤٥ تصل الرياض ٢١١٥

اقلاع من الرياض ٢٢٣٠ تصل نيودلهي ٠٢٣٥

رحلة رقم SV ١٥٧ للعودة الأحد من نيودلهي

اقلاع من نيودلهي ٠٤٠٥ تصل الرياض ٠٨٠٥

اقلاع من الرياض ٠٩٣٥ تصل جدة ١١٠٥

للحجز والتأكيد الرجاء الاتصال بالأرقام التالية

جده ٦٤٣٣٣٣٣

الرياض ٤٧٧٢٢٢٢ عشرين خطا

٤٧٧٣٣٣٣ عشرين خطا

أو الاتصال بأقرب وكيل سفريات معتمد





الأديب الفرنسي المعاصر لوكليزيو

ترجمة وإعداد: خديجة سليمان

ج . م . ج لوكليزيو واحد من روائيي الأدب المعاصر الغامضين والغرباء معاً .. صامت، منعزل، متأمل، وحيد، يعيش في مدينة «نيس» الفرنسية بين الجبل والبحر، بين الشمس والأرض .. أحياناً ما يهرب إلى إحدى حضارات الشمس ليحتمي بها: المكسيك، مصر، الهند، ثم يعود برواية جديدة، قد تشبه سابقاتها ولكنها تختلف عنها بالتأكيد .. رواية «العمالقة» تختلف عن رواية «الباعة» وعن رواية «رحلات إلى الجانب الآخر» .. وهكذا يقول لوكليزيو: «أنا من يبحث عن الحقيقة، أنا المفتون بالهواء، المولع بالضياء، العاشق للصحراء» .. وإنه من يسبح في سحر الأنوار .. يناجي العصافير والجداول ويرفض الأحاديث والأضواء والحياة الاجتماعية والمعارك السياسية .. ولكنه يحب الكتابة والقراءة.

حاول أقرانه «فيليب سوللير» و «جان ريكاردو» و «جان جوتييه» أن يديروا معه حواراً ولكنه رفض لأن اللغة ليست واحدة بينهم وبينه .. وعندما أعجب بأسئلة «هنري توماس» و «كلود مورسيه» و «موريس نادو» أجاب عليها كتابة دون أن يدخل معهم في حوار مباشر ..

وهكذا تم الحوار ليس بين شخصين كما جرت العادة، ولكن بين ثلاثة من الكتّاب في مواجهة روائي واحد هو ج . م . ج لوكليزيو ..

لا يمكن أن أتخيل الأدب شيئاً آخر غير الحياة .. كل الحياة

مع الرواية

● كلود مورسيه: هل يكفيك أن تكون الرواية هي السبيل الوحيد إلى مخاطبة الآخرين والتحاور معهم؟

★ **لوكليزيو**: أعتقد ـ دون الحاجة إلى اللعب بالكلمات ـ أن وسيلة الاتصال بالآخرين ليس لها حدود، ولكني أقول كلمتي، أو أقول ما أريد من خلال عملي الأدبي الذي اخترت له ـ **وربما بالصدفة** ـ الرواية قالباً وأسلوباً .. فأنا أفكر أثناء النهار، وفي وهج الشمس، والشمس عندي حاجة أساسية وأولية في الحياة، وهي مظهر هام وممتع من مظاهر الحياة، أما في الليل، في سواد الليل الداكن حيث الوحدة والغربة والرهبة، فإني أكتب ما استطعت أن أعبر به .. **والقمر هو الضوء الذي يعكس ما أعطيه للآخرين.**

حكايته مع الشمس

● موريس نادو: ما حكاية الشمس معك وفي رواياتك، فأنت تتحدث عنها وكأنها كل شيء في حياتك؟

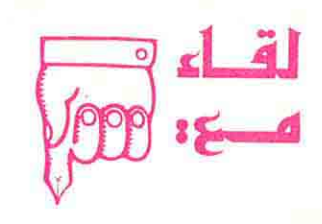
★ **لوكليزيو**: هي كذلك، حرارة الكون والوجدان، نور النهار والسبب في ضوء الليل أيضاً، المدار الذي ندور حوله ونستمد منه الصحة والقدرة على الاستمرار، ماذا تكون الحياة بغيرها؟!

لقد اكتشفتها مبكراً ونعمت بجزء منها في موطني، ولكني استمتعت بها، وسعدت عندما كبرت وتمكنت من الوصول إليها، أعني بالقرب منها أكثر في **المكسيك** وفي **مصر** وفي **الهند**، حيث الشمس كبيرة وساطعة والضوء كامل ومبهر، حتى الظل فيها ليس عتمة ولا هو بموحش، إنها الطاقة الحقيقية، ولعلّي أقول علماً إلى جانب أحاسيس الخيال .. من هذا المزيج الرائع بين الواقع والخيال وبين العلم والمشاعر، أكتب رواياتي ..

الحياة الاجتماعية

● هنري توماس: في هذه الوحدة الشمسية والحياتية، هل تجد حياة اجتماعية حقيقية، والإنسان ما هو إلا كائن اجتماعي، أم أنك تهيئ لنفسك هذا الإحساس بالحياة الاجتماعية؟

★ **لوكليزيو: الجمال هو الحياة، وأنا أجد في الوحدة حرية، وفي الحرية جمالا**، وفي بلاد الشمس تتفتح الزهور ويبرز الجمال ويصبح للأخلاق والأخلاقيات قيمة ومعنى، فلا تتحول إلى مجرد دروس ونصائح وهدف اجتماعي، لأنها تكمن في نسيج الوجود، شكلاً ومضموناً، إحساساً وتعقلاً .. وعلى فكرة أنا لا أقول شعراً بهذه



● الإنسان يولد مرتين: مرة وهو مجرد من أي شيء

الكلمات، ولكنها أفكار أعيها تماماً وأعنيها، ولعلك ستجدها في رواياتي التي لا أحب أن يحكم عليها بأنها روايات أخلاقية كما قال بعض النقاد، لأنها في تقديري روايات جمالية، **إن صح هذا التعبير**.

الحضارات

● كلود مورسيه: تحدثت عن الحضارات القديمة في مصر والمكسيك والهند وسيلان أيضاً، علماً بأن هناك حضارات مماثلة أخرى، وعلماً بأن الحضارة الأوروبية الحديثة ليست قاصرة أو ضعيفة بحيث لا تذكر بالقياس إلى الحضارات سالفة الذكر؟

★ لوكليزيو: الحضارات القديمة الأخرى لم أعرفها ولكني أتحدث عن الحضارات القديمة التي لمستها بنفسي ولم أكتف بالقراءة عنها، **أما الحضارة الأوروبية الحديثة التي تتكلم عنها فهي حضارة حقاً ولكنها حضارة أرضية ولذلك هي حضارة تعسة وبعيدة عن الجمال، بينما الحضارات القديمة، حضارات سامية وعليا ماذا أقول أيضاً؟!**

الحضارات الشمسية

● هنري توماس: وماذا تقدم تلك الحضارات الشمسية للإنسان ولغته معاً، زيادة عما تقدمه أي حضارة أخرى، ولنقل غير الشمسية؟

★ لوكليزيو: ما هو غير عادي حقاً في تلك الأجواء الشمسية، هو أنها تمنح الثقة للإنسان في الحياة وفي نفسه معاً وفي وقت واحد.

هذه المساحات الشاسعة وهذا الجمال الحقيقي والمرئي، أشياء تحرك الأحاسيس الداخلية والمشاعر الخاصة جداً، سواء بالزمن أو الموت.. والإنسان هو أسلوبه أو لغته - **كما يقول الفرنسيون** - والصمت الداخلي والخارجي معاً بإزاء تلك الأحاسيس والمشاعر والزمن والموت.. هي اللغة الفريدة التي لا يمكن أن تجيء على قلم كاتب موهوب يعيش في بقعة غير تلك البقاع.. لغة لا نهائية، لغة البلاد التي يصمت فيها الناس كثيراً ولا يتكلمون إلا قليلاً.. أرجو أن أكون قد وضّحت نفسي وأصبحت مفهوماً، وإلا عُدت إلى صمتي مرة أخرى، لأني لا أجيد التعبير عن نفسي، ولا عما يجيش في صدري، ولا عما في عقلي إلا في رواياتي.. **فمعذرة، حقاً معذرة!**

ماهية الأسلوب

● موريس نادو: انك تبحث دائماً عن جمال الأسلوب وفخامته، حتى تكاد لغتك المكتوبة تبدو كما لو كانت لغة مسموعة على الرغم من أنك لا تحب الأحاديث.. ما هو الأسلوب في رأيك؟

★ لوكليزيو: الكتابة ليست معجزة.. أبداً.. انها لحظة حياة إنسانية، لحظة بسيطة نتركها بعيوننا لنتلقى فيها تعاليم جديدة وسط النور والاتساع.. **والحياة بهذا المعنى هي الأسلوب**.. فالكلمات تجيء وتذهب، تقترب وتبتعد، أما الأسلوب فهو نظام ثابت.. والكمال في الأسلوب أمل بعيد المنال، بل هو ضد طبيعة الأشياء ومعجزة الوجود، **ولكني أجد في الاقتراب من الشمس اقتراباً من الكمال حيث الوضوح والدقة والقوة والجمال أيضاً.**

من أنت؟

● كلود مورسيه: هل أنت شيء آخر غير إنسان أو كاتب صاحب رؤية؟

★ لوكليزيو: منذ أن كتبت «**رحلات إلى الجانب الآخر**» و «**الهروب**»، وأنا أعلم بأني لست شيئاً آخر غير إنسان وكاتب له رؤى!

العلم.. والأدب

● كلود مورسيه: منذ «الرحلات» و «الهروب» - كما تقول - تردد دائماً هذه العبارة «أخف من الهواء».. ما الفرق بين هذا التعبير وبين تعبير حديث وفني يقول «أخف من الحقيقة»؟!

★ لوكليزيو: «**أخف من الهواء**» تعبير علمي يمكن استخدامه في الأدب، أما «**أخف من الحقيقة**» فهو تعبير أدبي لا يمكن استخدامه علمياً.

عن الصحراء

● موريس نادو: ماذا تمثل الصحراء بالنسبة لك، خاصة بعد أن لعبت دوراً رئيسياً في «رحلات إلى الجانب الآخر»؟



.. ومرة أخرى عندما يكتسب لغته في عالم من الكلمات

★ لوكليزيو : الصحراء هي بلد الشمس ، إذن هي كل الجمال على الأرض .

الخوف .. والهرب

● **هنري توماس : « إننا لا نستطيع أن نتقبل الشيخوخة إلا لأنها تتيح لنا السفر »** . هذه العبارة التي جاءت في روايتك « **رحلات إلى الجانب الآخر** » ألا تعكس خوفاً من شيء ما ، ليكن هو السبب المباشر والعميق في « **الهروب** » الذي تحياه وتنشده ، كما عبَّرت عنه في روايتك المسماة بهذا الاسم نفسه ؟

★ **لوكليزيو** : السفر في الزمان أو في المكان ، لا يعد هروباً بالنسبة لي .. أما الشيخوخة فهي حقيقة ، صحيح أني لم أبلغها بعد ، ولكن الصحيح أيضاً أني سأبلغها حتماً إذا قدر لي أن أعيش حتى أبلغها . والشيخوخة بهذا المعنى هي بداية الرحلة والرحيل ، والسفر الذي أعنيه هو بالتأكيد الرحلة والرحيل ، لأن الحياة ذاتها رحلة ورحيل .. **إننا نجيء لنرحل .. أليس كذلك ؟!**

● **موريس نادو : كيف تتخيل الظلام ؟**

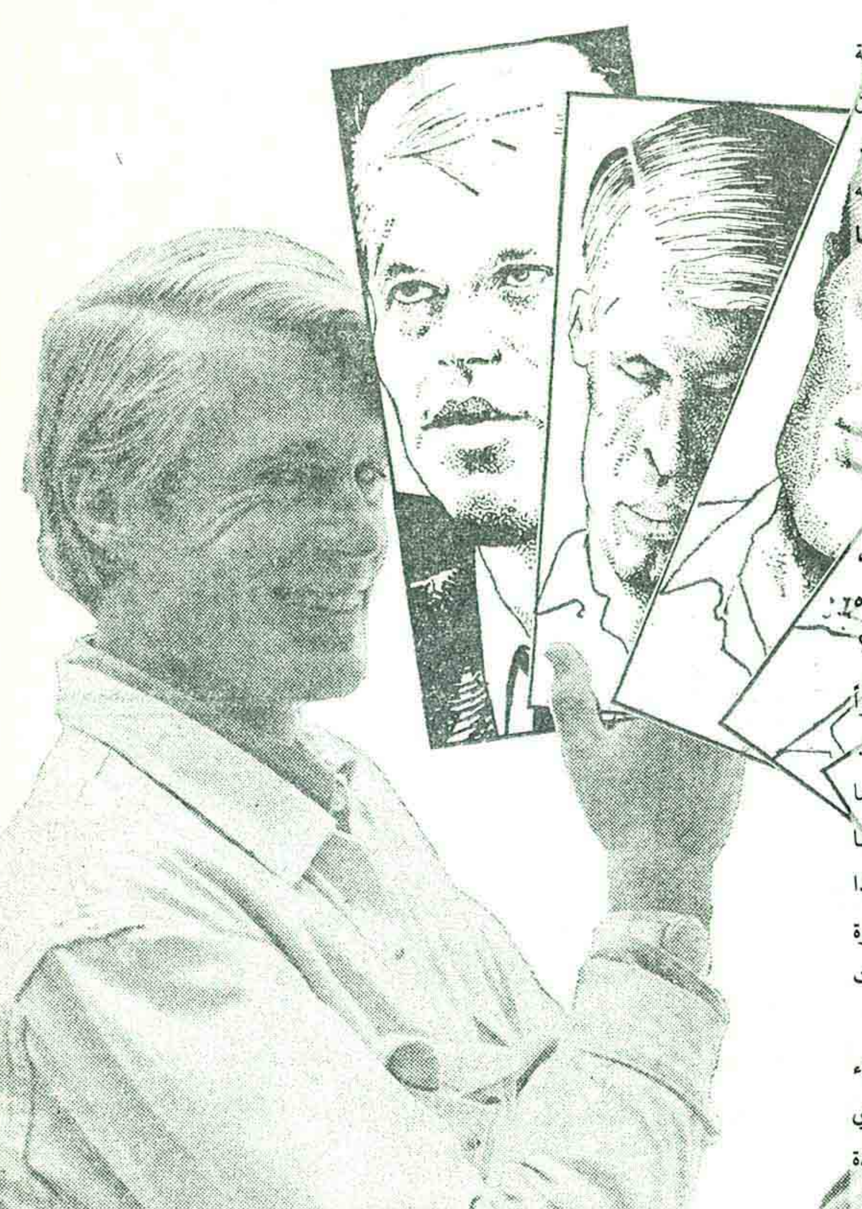
★ **لوكليزيو : غروب الشمس .**

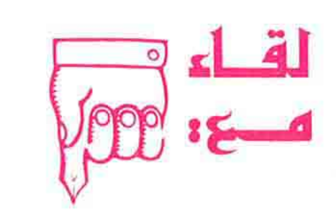
اللغة .. والتجربة

● **هنري توماس . قلت : « لا توجد غير تجربة واحدة ، هي التجربة الأرضية » . فهل اللغة تعد جزءً من هذه التجربة الأرضية ، أم هي شيء غريب ودخيل على الحياة ؟**

★ **لوكليزيو** : إن اللحظة الأكثر درامية في الحياة ، والأكثر سحراً أيضاً ، هي لحظة الميلاد الثاني ، **أي عندما نولد في اللغة ..** فالإنسان يولد مرتين : مرة وهو مجرد من أي شيء ، ومرة أخرى عندما يكتسب لغته في عالم من الكلمات .. ذلك أن ما نكتشفه بعد ذلك وما نتعلمه وما يجد علينا هو عن طريق اللغة وبها ومعها .. ومع هذا فالكلمات ليست منفصلة عن العالم ، فهي تنتمي إلى العالم بنفس القوة التي تنتمي بها مكونات الحياة الأخرى إلى الأرض ، ولنذكر الحركات والأفعال والأصوات على سبيل المثال .

وهناك أشياء مادية بل وحيوانية أيضاً في اللغة ، كل لغة ، أشياء تتحرك خارج الإنسان .. أما التجربة الأرضية فهي مغامرة الإنسان الذي يترك العالم غير المحسوس إلى عالم اللغة بمعارفها اللانهائية وغير المحدودة وغير الكاملة والمتكاملة في الوقت نفسه .. الكلمات إذن ليست فقط هي ما يقال ولكنها أيضاً وبدون توقف ومن كل جانب وبأي معنى ما يفعل وما يصدر من أوامر ونداءات وأسئلة واستجابات .. الكلمات بالنسبة لي بعد ذلك التعريف العام ، هي التي حددت معنى البحر والأرض والسماء والإنسان والحيوان والجماد .. والكلمات القصيرة أو الطويلة ، السريعة أو البطيئة ، الواضحة أو الغامضة ، السهلة أو الصعبة ، المنمقة أو الجارحة ، كلها مفاتيح للحياة ، بغيرها تظل الحياة مغلقة أمام الإنسان .. حتى الإشارة ما هي إلا تعبير عن كلمة أو عن الكلمات وليس العكس أبداً .. فالصم الذين لا يسمعون والبكم الذين لا يتكلمون ، هم الذين





● الجمال هو الحياة، وأنا أجد في الوحدة حرية وفي الحرية جمالاً!



يفقدون الإحساس بالكلمات، رنينها ومعانيها، وليست الكلمات هي التي تفقد وظيفتها، تموت الكلمات بالنسبة لهم ولكن الكلمات لا تموت، وقد لا توجد الكلمات أصلاً في حياتهم ولكنها موجودة بشكل عام ومطلق.

اللغة الأرضية

● كلود مورسيه: قلت في رواية «ناجا.. ناجا» هذه العبارة: «تحرر! فهذا هو الوقت المناسب، المناسب جداً، أما إذا انتظرت قليلاً، فسوف يكون ذلك متأخراً جداً».. ولعلها دعوة لإيقاظ الإنسان وصحوته.. فهل قصدت الحياة الواقعية أم أنها دعوة مطلقة؟

★ **لوكليزيو**: أعتقد أن الإنسان يضيع تماماً عندما يفقد تلك اللغة التي تحدثت عنها، **اللغة الأرضية**.. أما إذا ضعفت ــ هذه اللغة ــ فإنها تعذب الإنسان بدلا من أن تحرره، وتعميه بدلا من أن تنير أمامه الطريق، ومع هذا فإن اللغة الإنسانية غير كافية، لأنها لا تصلح للإنسان ولا تتفق إلا ومزاجه، وكمالها يتوقف على قدرتها في استيعاب متطلبات الإنسان وما حوله أيضاً، دون حاجة إلى البحث عما وراء الكلمات في كثير من الأحيان، وهذا «**الما وراء**» كان ينبغي أن يكون متضمناً «**الكلمات الإنسانية**».. صحيح أن هذا البحث ينصب على ما لا يراه الإنسان، وبالتالي فإنه يبحث له عن كلمات غير مستخدمة في الحياة الواقعية المعاشة ولكن الكلمات المستحدثة هي التي تصطنع عالماً جديداً غير عالمنا هذا.. **أليس هذا هو عمل الكاتب؟!**

● كلود مورسيه: علاقة غريبة!

★ لوكليزيو: حقاً، فالكاتب يبحث عن كلمات عميقة وبعيدة المنال، وهذا لا يتأتى له بالقوة والضغط ولكن بيقظة الضمير الخالص وحب الحياة، معجزة الحياة.

الأدب كل الحياة

● هنري توماس: فكرة الانتماء إلى الأدب، الماضي والحالي، هل هي مرضية لك ومشجعة، أم أنها لا تحمل أي معنى؟

★ لوكليزيو: لا يمكن أن أتخيل الأدب شيئاً آخر غير الحياة، كل الحياة.. وأنا أحيا هذه الحياة، وكلنا نحياها على ما أعتقد!

لغة من لا لغة له

● موريس نادو: ذهبت في روايتك «ولع الأمومة» أبعد مما ذهبت في رواياتك الأخرى فيما يتعلق بتسكين الإنسان روحك، بل والجماد والحيوان والنبات وعناصر الإبصار والسمع والشعور، بحيث تستحضرها جميعاً وتطلقها بعد ذلك في فلك جديد يظل مرتبطاً بداخلك وفي محيط عالمك.. (دعني أتحدث بلغتك وأستعير بعض عباراتك).. هل تفعل ذلك تشبهاً بالخياليين الذين قيل إنهم واقعيين مثل «فلوبير» مثلاً.. أم أنها كلمات ترسبت في نفسك منذ الطفولة.. أم هي عادات الشرق الذي تعشقه وفي مقدمتها «اليوجا» على سبيل المثال؟

★ **لوكليزيو**: أحاول عادة أن أكتب بما يمكن أن يحول الأشياء الصامتة إلى أشياء ناطقة، بمعنى أن أنشئ لغة لمن لا لغة له، سواء كان إنساناً أو جماداً، وبمعنى آخر أجعل الأشياء تتكلم، ليس فقط الكلام ولكن بلغة خاصة، سرعان ما تدور في فلك تلك اللغة المتعارف عليها والمعترف بها والمتداولة في كافة الأوساط وعلى كافة المستويات.

عندما يدرك الطفل فيما بعد ضرورة اللغة وحدودها ودورها العضوي والوظيفي والقائد، وفائدتها فيما يتعلق بالعالم الخارجي، فلن يعثر على تناسقها بسهولة ويسر، وعندئذ يصبح عليه أن يبحث عن عناصر أخرى مستحدثة، يجدها بنفسه أو يستعيرها من غيره.. **والكاتب هو أول من يشعر بتلك الحاجة إلى لغة جديدة وأول من يبحث عنها وأول من يعثر على عناصرها ومكوناتها وأول من يستخدمها في ثوبها المستحدث.. ولذلك فهو القدوة.**

لقد كشف الكُتَّاب أن التفاحة تدخل داخل الإنسان، أما الإنسان فلا يمكن أن يدخل في التفاحة، فماذا يفعل في داخلها؟.. واكتشف الكتَّاب أيضاً أن الأشجار والأحجار والحيوانات والسحب والنجوم ليست غريبة عن الإنسان وليست غريبة في حد ذاتها!

إننا ونحن نكتسب أشياء جديدة ومفاهيم جديدة طوال مشوار حياتنا، نفقد أيضاً أشياء فطرية وأصيلة على امتداد الطريق، ونحس في نهاية الأمر بأننا نفتقد إلى ما حصلنا عليه وما لم نحصل عليه بعد وما هو مستحيل.

وهذا المستحيل، أو مجرد الشعور به هو الذي يعذب الإنسان ويؤرقه.. وإن كان يكمن في داخلنا.. فمن الذي يستخرجه وفي الوقت المناسب، قبل فوات الأوان؟!

من المشهور المسلم به بين الباحثين والعلماء ، أن النقط والشكل قد استحدث في عهد التابعين رضوان الله عليهم ، ودخل ساحة النص القرآني الشريف في مصاحفهم ، سواء في ذلك نقط الإعجام أو نقط الإعراب ، وسواء كان هذا النقط أو ذاك : من اختراعهم وابتكارهم الصرف كما يذهب إلى ذلك بعض الباحثين ، أو أنهم قد اقتبسوه من غيرهم كما يذهب إلى ذلك بعض آخر من الباحثين .

بيد أن هذا المشهور المسلم به ، لم يثبت أمام البحث العلمي ، أنه الصواب الذي يستحق أن يكون مشهوراً ، فضلاً عن التسليم به ؛ وهذا ما يعرض له هذا البحث في هذا المقال وما يليه إن شاء الله تعالى .

النقط والشكل في غير اللغة العربية

بقلم : د . عبد الحي الفرماوي

وسنعرض في هذه المقالات الصورة الواضحة المتكاملة لموضوع النقط والشكل في الكتابة العربية وفي المصحف الشريف كذلك ، ونرى أن الوضوح الذي نهدف إليه يفرض علينا أن نتعرض **للنقط والشكل في غير اللغة العربية ، ثم ننتقل إلى الحديث المستفيض عنه في اللغة العربية والمصحف الشريف** ونرجو أن يكون عملنا هذا خالصاً لوجهه تعالى مقبولا عنده سبحانه .

وقبل البدء لا بد أن نقدم بين يدي القارئ العزيز تعريفاً سريعاً للنقط والشكل من حيث هو.

فنقول :

النقط

للنقط عند الإطلاق معنيان :

● الأول : نقط الإعجام ، وهو نقط الحروف في ذواتها للتفريق بين المشتبه منها في الرسم ، كنقط حرف الباء بنقطة واحدة من تحت ، ونقط حرف التاء باثنتين من فوق .. وهكذا .

وهذا النوع هو الذي ظل حتى يومنا هذا مستعملاً كما هو في نقط الحروف ، سواء كان في المصحف الشريف أم في غيره وهو المستعمل في كتابتي هذه .

وهو : من وضع **نصر بن عاصم** ، **ويحيى بن يعمر** ، وسيأتي الحديث المفصل عن ذلك في موضعه .

● الثاني : نقط الإعراب ، وهو نقط الحركات : أي نقط الحروف للتفريق بين الحركات المختلفة في اللفظ ، مثل : جعل الفتحة نقطة من فوق الحرف ، وجعل الكسرة نقطة من تحت الحرف .. وهكذا .

وهذا النوع ، وإن كان يختلف عن سابقه في الحقيقة ، إلا أنه يتفق معه في التسمية ؛ نظراً لأنه كان في بداية أمره ــ كما سنعرف ــ صورة نقطة : توضع فوق الحرف ، أو أسفله ، أو بين يديه ، أو عن شماله[1] .

وقد أشرك الأقدمون هذين النوعين في الصورة بجعلهما نقطاً مدوَّراً ؛ وذلك لاشتراكهما في المعنى والغاية ، وهي التفريق والتبيين ، تفريق الحروف المتشابه بعضها من بعض ، وتفريق الحركات المختلفة بعضها من بعض[2] .



★ جرجي زيدان ★

ولهذا النقط صورتان :

★ الصورة الأولى : **النقط المدور** ، وسمي كذلك ، لكونه على صورة نقط الإعجام الذي يرسم نقطاً مدورة ، وهذه النقط المدورة : هي التي استعملها النقاط ، وأصحاب القراءات لضبط المصاحف ، أول الأمر ، وهي من وضع : **أبي الأسود الدؤلي**[3] .

★ الصورة الثانية : **الجرّات الصغيرة** التي استعملها **الخليل بن أحمد** بدلا من النقط المدور ، وهي التي نستعملها الآن في المصحف الشريف وفي الكتابة العادية ، وهي التي تسمى : **الشكل** .

الشكل

وهو : نقط الإعراب ، وقد سمي بذلك لأنه يزيل ما في الكلام من إبهام وإشكال ، يقول **أبو حاتم** : شَكَلْتُ الكتاب أشكله ، فهو مشكول ، إذا قيدته بالإعراب[4] ، وكان يسمى في أول الأمر : بالنقط – كما تقدم – لأنه كان يرسم نقطاً مدورة ، لا تفترق عن نقط الإعجام من حيث الصورة في شيء ، ولم يتضح – تبعاً لذلك – الفرق بين نقط الإعجام ونقط الإعراب من حيث الصورة ، إلا بعد أن تمت مراحل نقط المصحف الشريف وشكله ، كما سيتضح في المقالات التالية إن شاء الله .

النقط والشكل في غير اللغة العربية

إذا كانت المراجع العلمية تسجل وجود النقط بمعنى الإعراب في مجموعة اللغات السامية ، وتدلل على وجوده في غير العربية – كما سنذكر – فإنه لا يرد فيها ذكر لنقط الإعجام ، أو الإشارة لوجوده فيها ،

ولذا فكلامنا تحت هذا العنوان يتعلق **بالنقط الإعرابي** فقط ، وذلك على النحو التالي :

● عند اليهود ●

حيث يذكر « إسرائيل ولفنسون » : أن اليهود كانوا قديماً – كجميع الأمم السامية – لا يكتبون الحركات المعروفة الآن ، **بل كانت لديهم حروف مجردة عن الحركات ، ثم أخذوا يستعملون بعض الحروف كعلامات للحركات** ، تساعدهم على ضبط النطق ، وحفظ الكلمات من التحريف ، وكانت الألف والواو والياء هي التي تقوم بهذه الوظيفة ، فجر ذلك إلى حدوث تغيير في هجاء الكلمات ، وزيادة في حروفها ، باعدت بينها وبين أصل اشتقاقها ، ولكن بعد أن تشتتوا في أقطار العالم ، صارت هذه الحروف لا تكفي لضبط النطق في كل الكلمات ، وخشي اليهود أن تنقرض لغتهم بسبب ذلك ؛ فاخترعوا نظام الحركات[5] .

● عند السريان ●

بينما يذكر « **أبو عمرو الداني** » (ت ٤٤٤هـ) أن « السريان » هم أول من وضع الشكل في الكلمات ، وذلك عندما دخلوا في النصرانية ، ونقلوا الكتب المقدسة إلى لغتهم ، ورأوا أن بعض الناس يلحنون في قراءتها ، فخافوا أن ينشأ عن ذلك تحريف في اللفظ قد يغير المعنى ، ويؤدي إلى الكفر والزندقة .

فاخترع الأسقف « **يعقوب الرهاوي** » نقاطاً كانت ترسم في حشو الحروف . ثم تحولت إلى نقطة مزدوجة تنوب عن الحركات الثلاث[6] .

وما يذكره أبو عمرو الداني هذا ، يجعلنا نتحفظ في قبول ما يذكره « ولفنسون » وقطعه بأن « اليهود » هم الذين اخترعوا نظام الحركات .

ويساعدنا على التحفظ – كذلك – ما يذكره المؤرخون من « أن الساميين – ومنهم اليهود – ظلوا يكتبون ألسنتهم بلا حركات من أقدم أزمنة التاريخ ، في آشور وبابل وفينيقية واليمن والحجاز ، ولم يفطنوا لوضع الحركات إلا بعد الميلاد المسيحي ، وأقدم وسيلة اتخذوها لدفع الالتباس في القراءة ، النقطة الكبيرة التي استخدمها السريان[7] .

وأكثر من ذلك ، فإن كان ما يذكره « إسرائيل ولفنسون » ، بل ما يذكره « **الداني** » أيضاً ، يهدف كل منهما به إلى تأريخ بداية لاختراع النقط الإعرابي !

فإننا نرى ، أنه وإن كنا نستدل مما ذكراه على وجود النقط الإعرابي في مجموعة اللغات السامية ، إلا أن تحديدهما لبداية اختراع ذلك ، هو



★ د. محمود حجازي ★

تحديد قريب جداً، يخالف ما يذهب إليه بعض المؤرخين على النحو التالي:

● عند الأنباط ●

حيث يذكر «**جرجي زيدان**»، أن الأنباط «الذين أنشأوا دولة عربية قبل القرن الرابع قبل الميلاد ظلّت قائمة إلى القرن الثاني بعده، وكان مقرها في الجنوب الشرقي من **فلسطين**.

كانوا يكتبون باللغة «الآرامية» ـ وهي غير الآرامية المعروفة اليوم ـ التي وجدوها منقوشة على آثارهم، مثل آثار «بطرا» وغيرها من أطلال الأنباط.

وأما لغة الكلام ـ عندهم ـ فكانت عربية، والاثنتان ـ لغة الكتابة ولغة الكلام ـ مرتبطتان بأمها القديمة بعلامات تشتركان فيها، دون سائر اللغات السامية، أعني علامات الإعراب في أواخر الكلمة في بعض الأحوال[8].

● عند الأكاديين ●

وبينما تحظى لغات سامية أخرى، بوجود هذا النقط فيها، منذ القدم القديم.. إذ يذكر **الدكتور «محمود حجازي»**، أن **اللغة «الأكادية»** ـ وهي من **اللغات السامية** ـ وصلتنا مكتوبة كتابة مقطعة، **أي أن الكلمات تقسم وفق مقاطعها، ولكل مقطع رمز على حدة**.

ثم يقول: ولو تصورنا ـ مثلاً ـ أن «الأكاديين» أرادوا كتابة كلمة: قسموها إلى مقاطعها، فكلمة «**كلب**» تظهر عندهم في أشكال ثلاثة (الرفع، النصب، الجر)..

هكذا: (Kal-bun Kal-ban Kal-bin).

ومعنى ذلك، أن «الأكاديين»: كتبوا كتابة كاملة، تدون الحركات كما تدون السواكن، أي تدون الفتحة والكسرة والضمة، كما تدون الطاء واللام والنون، وكل هذا في نفس الخط، لا فوقه ولا تحته، فالرمز المقطعي يدل على مقطع كامل:

Kal-bun - ban: bin.

ولهذا أهمية كبرى في معرفة طبيعة اللغة، فمعظم الأسماء «الأكادية» وصلتنا في النقوش «المسمارية» في ثلاث صور، إحداها بحركة هي الضم، والثانية بحركة هي الفتح، والثالثة بحركة هي الكسر.

ومعنى هذا بتتبع سياق الحالات الثلاث:

وجود نهايات إعرابية في «الأكادية» أقدم من سنة ٢٥٠٠ ق.م. وعمره حتى الآن أكثر من خمسة وأربعين قرناً[9].

★ ★ ★

من كل هذا يتبين بجلاء، **أن النقط الإعرابي يوجد في مجموعة اللغات السامية ـ التي منها العربية ـ منذ القديم، والقديم جداً**، وأن اللغات تتأثر ببعضها البعض، فتأخذ هذه من تلك، وتقبس تلك من هذه، خاصة وأن اللغة العربية التي كان يتكلمها النبط، **أثّرت** في لغتهم «الآرامية» التي كانوا يكتبون بها، كما يذكر **جرجي زيدان**.

وبهذا، وذاك، ندرك يقيناً، **وجود النقط بمعنى الإعراب في غير اللغة العربية**.

هذا وقد خلت المراجع من الحديث عن النقط بمعنى الإعجام في غير العربية ـ كما قلنا سابقاً ـ لأن نقط الإعجام:

أ ـ خاص بحروف اللغة العربية فقط.

بَ ـ وأيضاً فهو من وضع العرب وابتكارهم، كما يتبين لنا بإذن الله تعالى في المقال القادم.

الحواشي

١ ـ **حفني ناصف**: حياة اللغة العربية، ص ٦٧.
٢ ـ د. عزت حسن: مقدمة كتاب المحكم للداني، ص ٢٦.
٣ ـ نفس المرجع.
٤ ـ لسان العرب: مادة شكل.
٥ ـ تاريخ اللغات السامية، ص ١٠٣.
٦ ـ **د. عزت حسن**: مقدمة كتاب «المحكم» للداني، ص ٢٨.
٧ ـ **جرجي زيدان**: تاريخ آداب اللغة العربية ١/٢٥٤.
٨ ـ **جرجي زيدان**: العرب قبل الإسلام، ص ٨١، ٨٢، ٨٣، ٩٥.
٩ ـ **د. محمود فهمي حجازي**: اللغة العربية عبر القرون، ص ٢٥.

مراجع المقال ومصادره

١ ـ حياة اللغة العربية، تأليف **حفني ناصف** طبع مطبعة الجريدة بسراي البارودي، بغيط العدة **بمصر** ١٩١٠م.
٢ ـ تاريخ آداب اللغة العربية، تأليف **جرجي زيدان**.
٣ ـ تاريخ اللغات السامية، تأليف **د. إسرائيل ولفنسون**.
٤ ـ العرب قبل الإسلام، تأليف **جرجي زيدان**، مراجعة **د. حسين مؤنس**، طبع مؤسسة دار الهلال.
٥ ـ اللغة العربية عبر القرون، تأليف **د. محمود فهمي حجازي**، المكتبة الثقافية، العدد ١٩٧٠م.
٦ ـ المحكم في نقط المصاحف، تأليف **ابن عمرو الداني** (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق: **د. عزت حسن**، طبع **دمشق** ١٩٦٠م.



بقلم: محمد عبد الله عنان

إن قراءة تاريخ الأمة الأندلسية على النحو الذي يقدم إلينا بصفة عامة تنقصه كثير من العناصر الهامة التي يغفلها التاريخ العام، فإن الأمة الأندلسية العامة كانت في أيام سؤددها وعزها وحدة شعبية متكاملة، ولكنها بعد الانهيار الكبير الذي أصابها في أوائل القرن السابع الهجري (أوائل القرن الثالث عشر الميلادي) وسقوط معظم قواعدها الكبرى في يد إسبانيا النصرانية في مدى ربع قرن فقط، **قرطبة وبلنسية وشاطبة ودانية وجيان وإشبيلية** فيما بين سنتي ٦٣٣ و ٦٤٦ هـ (١٢٣٦ و ١٢٤٨ م) وقواعد الغرب فيما بين سنتي ٦٢٧ و ٦٥٥ هـ (١٢٣٠ و ١٢٥٧ م)، وانكماش الأندلس بذلك في حيزها الصغير الواقع بين نهر الوادي الكبير والبحر، فيما أطلق عليه **مملكة غرناطة**، آخر الممالك الأندلسية، تركت كثيراً من أبنائها الأوائل في المدن الأندلسية المفتوحة، فانسلخوا عنها، وبقوا في مدنهم وفي أوطانهم القديمة، يعيشون تحت حكم إسبانيا النصرانية، ولكنهم فقدوا صفتهم القديمة كأندلسيين، وأطلق عليهم اسم جديد هو «**المدجَّنون**» فكانوا بذلك طائفة جديدة من الأمة الأندلسية، يعيشون حياتهم الخاصة، ويخضعون لنظم خاصة في مزاولة حقوقهم وواجباتهم وشعائرهم الدينية والاجتماعية.

ولقد سألني ذات مرة مستشرق إسباني من الجيل الحديث، من هم المدجَّنون، Los Mudégares فأجبته: إن المدجَّنين هم المسلمون الأندلسيون الذين بقوا في المدن الأندلسية المفتوحة تحت حكم النصارى الفاتحين. وأصل الكلمة من الدجن أي الاستقرار والإقامة، ودجن بالمكان: أي أقام به واستقر. ولقد تناول الاجتهاد وضع المدجنين، واتفقت الأحكام الشرعية في معظمها على تحريم التدجُّن والبقاء تحت حكم النصارى مهما كانت دواعي العيش وضروراته. ولكن هذا الحكم الشرعي الصارم لم يكن له كبير الشأن بين طوائف المدجنين، الذين آثروا العيش في أوطانهم القديمة، وتقبل الحكم النصراني، بما يحمله إليهم من حدود وقيود دينية واجتماعية ومدنية. فقد كانت رابطة الوطن وهموم العيش أقوى من غيرها.

وبالرغم من أن المدجنين كانوا أقلية أندلسية، انسلخت عن الكتلة الأندلسية الأصلية بفعل الحروب والوقائع التي توالت بين إسبانيا المسلمة وإسبانيا النصرانية، ولا سيما في شمالي الأندلس الكبرى وشرقها، حيث سقطت سائر الحواضر الأندلسية القديمة في هذه المنطقة تباعاً في يد إسبانيا النصرانية فإنه يجب ألا نقلل من أهمية هذه الطائفة الأندلسية الجديدة، من حيث عددها وحجمها وأهميتها الاجتماعية. ذلك أنها كانت تتكون من جماعات كبيرة تبلغ عشرات الألوف بل ومئات الألوف إذا ذكرنا أنها كانت تستقر في معظم الحواضر الأندلسية القديمة من **سرقسطة** وأعمالها في الشمال، **وطرطوشة وقسطلونة وبلنسية ودانية وشاطبة** في الشرق، **ومرسية ولقنت وأوريولة** وسائر ولاية تدمير في الجنوب الشرقي، وكان احتشادها بالأخص في منطقة بلنسية وأحوازها، لما كانت تتميز به هذه المنطقة من الكثافة السكانية، والتقدم الاجتماعي، ومن الرخاء وظروف العيش المرضية.

هذه الأندلس، التي كانت تتألف من الأقليات المدجنة، كانت أندلساً صغرى بكل معاني الكلمة، تعيش تحت الحكم النصراني، وتحاول أن تحتفظ من أوضاعها وتقاليدها القديمة، بأقصى ما يستطاع، وبما لا يزعج سلامتها حياتها الخاصة. وكان المدجَّنون في ظل ملوك قشتالة وأراجون، يسمح لهم بالاحتفاظ بدينهم وشريعتهم ومساجدهم ومدارسهم، وكان لهم في العصور الأولى قضاة مسلمون يحكمون في سائر المنازعات التي تقع فيما بينهم وفقاً للشريعة الإسلامية. أما المنازعات التي بين مسلم ونصراني، فكان ينظرها أحياناً قاض نصراني، أو تنظرها محكمة مختلطة من قضاة المذهبين وكان يسمح لهم بالاحتفاظ بملكية أراضيهم، ولهم في بداية عهودهم حق البيع والشراء في العقارات كما تدل على ذلك وثائق عديدة

أندلس صُغرى

محررة بالعربية ومحفوظة **بكاتدرائية سرقسطة ، ودير سانت كلمنتي بطليطلة** من عقود البيع والشراء . وكان يسمح لهم بحمل السلاح ، ويلزمون بتأدية الخدمة العسكرية ، ثم أعفي المدجنون بعد ذلك من تأدية الخدمة العسكرية نظير جزية سنوية يؤدونها .

ولما توالى استيلاء الإسبان على القواعد والثغور الأندلسية ، كان يخصص للمدجنين في كل مدينة مفتوحة حي خاص بهم على نحو ما كان يتبع نحو الأقليات اليهودية .

وكان ملوك قشتالة وأراجون يتبعون نحو المدجنين هذه السياسة السمحاء المستنيرة ، لأسباب تتعلق بمصالحهم القومية ، ذلك لأن المدجنين كانوا من بين رعاياهم أفضل العناصر وأنشطها وأكثرها دأباً ومثابرة ، وأوفرها تأدية للضرائب . وكانوا ساعد النبلاء الأيمن في زراعة أراضيهم واستغلالها ، وكانوا يستأثرون بالتفوق في **العلوم والفنون والمهن** ، فكانوا أبرع الأطباء والمهندسين والبنائين . وكان لهم الفضل الأول في إدخال محاصيل عديدة في إسبانيا النصرانية مثل **القصب والقطن والأرز** ، وكثير من أصناف الفواكه . وما زالت بقايا مشاريع الري التي أنشأوها ، ولا سيما في مناطق إسبانيا الشرقية تشهد بعبقريتهم في هذا المضمار . وكانوا أساتذة **الصناعات الدقيقة** ، وكانت صناعاتهم ولا سيما **المنسوجات القطنية والحريرية والفخار والخزف والجلود** نماذج بارعة ، تقتبس منها الصناعات الأوروبية .

غير أن سياسة التسامح الملوكية هذه نحو المدجنين ، كانت تؤخذ على ملوك قشتالة وأراجون . وكانت الكنيسة بالأخص تبغض هذه الطوائف الإسلامية القديمة ، وتحاول أن تعمل على أن يتبع نحوها سياسة الانتقام والعنف . وكانت ترى في احتفاظ المدجنين بدينهم وشريعتهم ولغتهم نوعاً من التحدي المذموم . ولكن ملوك قشتالة وأراجون كانوا يعارضون هذه السياسة العنيفة ، وقد استمر التزامهم لسياسة التسامح نحو المدجنين عصوراً ، ثم جاء في النهاية عصر الضغط والاضطهاد والانكماش ، وغلبت سياسة المطاردة الكنسية ، واستلاب حقوق المدجنين الدينية والاجتماعية تباعاً .

وقد عاش المدجنون في أوطانهم تحت الحكم النصراني أحقاباً طويلة ، امتدت زهاء قرنين ونصف ، ولدينا في مجموعة وثائق كاتدرائية سرقسطة المدجنية ، وثائق تلقي ضوءً على تاريخ المدجنين وأحوالهم في مملكة أراجون منذ القرن الثاني عشر الميلادي إلى أواخر القرن الخامس عشر ، وهي عبارة عن طائفة من عقود البيع والشراء والوديعة وغيرها ، عقدت بين أفراد من المدجنين ، وبين المدجنين والنصارى ، ومنها وثائق محررة في سنة ١٤٨٤ وسنة ١٤٩٦ م ، ويستفاد من تلاوتها أن المدجنين في مملكة أراجون كانوا إلى هذا العصر المتأخر وحتى بعد **سقوط غرناطة** آخر قواعد الإسلام في الأندلس في يد الإسبان ، يحتفظون بدينهم الإسلامي ، وأنه كانت ما تزال هناك بعض مساجد قائمة في بعض أنحاء ولاية سرقسطة ، كذلك توجد في **متحف بلدية بنبلونة** عاصمة نبرّة وثيقة مدجنية مؤرخة في شهر أبريل (نيسان) سنة إحدى وثمانمائة (١٣٩٨ م) ، وهي عبارة عن إشهاد بالدين ، ومستهلة بالبسملة والصلاة على النبي ومحررة أمام « القاضي الأروع الأورع أبي الحسن علي القريشي » وقد جاء فيها ما يأتي :

« أشهدوا على أنفسهم أبو الحجاج يوسف الحضرمي ومحمد بن محمد ابن جعفر الزهري ، ويوسف بن زيد وأحمد بن المكحل ويوسف شداد بن دجمبر ، مسلمان ساكنان في ربض المسلمين ببلدة برجة حاضرون يغايبون كل واحد منهم عنه وعن الكل ، بأنهم دانوا الاشتراك الشابلي إسرايبل ساكن بلدة المذكور أو لمن ظهر هذا العقد عنده ثلثماية واثنين وثلاثين فلريناش ذهباً قالب أراجون من سكة طيبة موزونة . . . إلخ » وفي ذيلها عدد من الشهود المسلمين .

وفيما أوردناه من نص هذه الوثيقة ما يدل على أنه كانت توجد في هذه المنطقة النائية في شمال إسبانيا ، في بلاد نبرّة أقليات مدجّنة مسلمة لها أحياء خاصة حيث وجدت ، وتتمتع بالتعامل بلغتها القومية أمام قاضيها الخاص ، وذلك في هذا العصر المتأخر في أواخر القرن الرابع عشر أعني بعد مرور أكثر من ثلاثة قرون على استيلاء النصارى على سائر القواعد الإسلامية في تلك الأنحاء .

ولما أفلت زمام التسامح والاعتدال من أيدي ملوك قشتالة وأراجون ، وغلبت سياسة العنف التي اختطتها الكنيسة ، ضعفت طوائف المدجنين تباعاً بفعل ظروف الحياة الخاصة وقيودها ، وأخذت تتناقص في النمو والإنجاب ، وتفقد الكثير من حيويتها ومميزاتها القديمة ، واستمر هذا الطور من الضعف والتدهور ، حتى أدى بمضي الزمن إلى انقراضها ، واندماجها أخيراً في الكتلة الإسبانية النصرانية . وكان مصير المدجنين الأندلسيين في ذلك يشبه تمام الشبه مصير الأقلية الصُّقلية المسلمة التي عاشت بعد **سقوط صقلية** في أيدي الأمراء **النورمان** زهاء قرنين وكانت في البداية تتمتع بكثير من الحقوق والمزايا ، ويسمح لها بالاحتفاظ بدينها وشريعتها ولغتها . ثم جاءت عصور الضغط والاضطهاد فأخذت في التدهور والانهيار ثم الانقراض والاندماج . سنة التطور التاريخي المحتوم .

دراسة في شعر نازك الملائكة

صور وتهويمات أمام

توقفت بسيارتها أمام الضوء الأحمر ، فثارت خواطر ، واندفعت ذكريات ، وتولدت صور كثيرة وتهويمات ، وألح على الخاطر عديد من الأسئلة :

ترى إلى أي حد تتلاحم الصور الكثيرة المتزاحمة التي دارت بخلد الشاعرة أمام أضواء المرور في نظم ؟ وإلى أي مدى يمكن للناقد أن يستشف من وراء الصور الكثيرة والتهويمات رموزاً تتماسك فتسفر عن كون رائع حي ؟ وهل يمكن للشاعرة في نطاق تجربة كهذه أن تستنطق أمام أضواء المرور إحدى القضايا الإنسانية الخالدة ؟ وما مدى تلاحم أجزاء هذا العمل الفني الذي يوحي عنوانه بالتفكك ؟ وهل يستطيع الناقد أن يخرج من هذا العمل بانطباع واحد يعطي لألفاظه وصوره ورموزه نبض الحياة ، وقوة الإيحاء ، وكثافة الفن ؟

إن الشاعرة لتندفع عند توقف السيارة أمام الضوء الأحمر تقول :

اشتعل الضوء الأحمر
والحلم تكسر
وتبعثر

ثم تأخذ على الفور فتمطر الضوء الأحمر بوابل من صور الهجاء العنيفة المدمرة . ترى ألهذه الصور الهاجية للحمرة والضوء الأحمر ارتباط ما بمؤثر بغيض استقر في أعماق النفس ، واستكن فيما وراء اللاشعور ؟

إن الألفاظ لتهتك أحياناً أغشية النفس ، والألفاظ هنا تحكي عن الحلم الذي تكسر وتبعثر بمجرد الوقوف أمام الضوء الأحمر ، الوقوف الذي قضى على الحلم ، وملأ النفس فجأة بالخواء والضياع ! !

فما هو هذا الحلم ؟

إن أبيات الشاعرة تتحدث أحياناً من خلال ثورتها على الحمرة وعلى **الضوء الأحمر** عن ذكرى ضبابية ، ضائعة الملامح تتراءى من خلال لهب .

... منبعث من خُلجان
محترقات خلف الذكرى في دوامة ألوان
في دنيا منسية

وترمز أحياناً من خلال ثورتها الهاجية إلى :

خَسْرة وردة صيف جوْريه
راعشة تحت أعاصير ثلوج قطبيه

وإلى لهب شره :

... حَرّق حنجرة القمريه
أشعل شفة المنشد في الفجر
وقص جناح الأغنيه

وإلى شفة :

... تصرخ : لا
سَمّرت العابر فوق التل وكسرت الأملا
قطعاً ، قطعا

فيفصح الرمز عن مدى الضيق والحسرة من اشتعال الضوء الأحمر المنعكس على وجدان كل من الوردة ، والقمرية ، والمنشد في الفجر ، والعابر فوق التل .



★ نازك الملائكة ★

أضـــواء المـــرور

بقلم : د. محمد عبد المنعم خاطر

زقـزقـة العصفـور الأولـى
فوق البرسيم النـاعم يحلم ، ينشر عـطراً مجهـولا
فوق النسمات الراقصة الخصلات الـرطبة محمـولا
يجتـاح جبـالا وسهـولا

هذا الضوء الأصفر هو الذي انعكست عليه أحلام النفس في الخروج من الظلمة ، من دائرة الضوء الأحمر ، وتعلقت بـه أماني البشر ؛ لأنـه الدافع للتهيؤ ، للانطلاق إلى **الضوء الأخضر** معبرنا المرموق إلى عـالم المثل ، ووادينا الأشقر .

ومن هنا كانت صورة حلوة ، محببة إلى النفس ، معبرة عـن تـرعرع الأمل بعد اليأس الخانق :

يـا غصنـاً مبتـوراً أثمـر
يا دهليزاً (ليتيا) [٢] أخصب في الظلماء وأقمر
يــا وله العــاشق يحلم في الظــلمه
ويُحسّ الليل المنسدلَ الأستار سواقي كوثر
وعمـاد مـدائن مـرمر

ولذا لا نعجب حينما نرى دغدغة النشـوة تسري في أوصـال الـكون فتحيله إلى دنيا حلوة من المرح والسعادة :

المرْجُ الضاحكُ من نشوته قد كبَر
وجبينُ الـغيمة قـد أمطـر

وتشير صراحة إلى أنه باشتعال الضوء الأحمر :

... قام جـدار مـا بـين القلبـين
أسـتار المسرح قــد هبــطت
فصـلت
حفرت جرحين
غسلـت بالأدمع أغنيتـين
قطعت وتـريـن .

ومن خلال **الحديث** ، **والرمز** ، **والتصريح** تتكشف رمـوز عـالم كامل كانت سرحات الخيال إليه أثناء الانطلاق بالسيارة ثم توارت مـلامحه الحلوة إثر صدمات التوقف أمام الضوء الأحمر التي تمثل العدم والفناء .

هذا العالم الكامل بركائزه السابقة : الوردة ، القمـرية ، والمنشـد في الفجر ، والعابر فوق التل ، والكلمات الحلوة المنسية هـو **العـالم المثـالي** الذي طالما حلمت به البشرية منذ **أفـلاطون** ، وقبـل أفـلاطون ، عــالم الدُورادو [١] ، عالم المثل الذي ضاعت ملامحه فجأة عند التوقف أمام النور الأحمر الذي تصفه الشاعرة بأنه :

« ... عقلاً مبحوح الفكرة يُؤوي شـللا
خَرّب مـوجات وحقـولا أسـطوريـه
غيـب الـدورادو وربـاها الـذهبيه
عـن عيـني وطـواها في أرض سرّيـه
أسكنهـا زحــلا
يا فـرحة مـن يقـدر أن يصـلا » .

ومن هنا كانت الفرحة غامرة باشتعال **الضوء الأصفر** :

الخيط الناحل بين الفجـر وظلمـة ليـل أدبـر



★ أفلاطون ★

يـا مفـرق دَرْبيـن
يا ودياناً تسكبُ شفقاً مشتعلاً ما بين سماءين
يا تمهيداً لتحقق حلم من فضه

فالضوء الأصفر بكل ما يثيره من أحاسيس النشوة والسعادة إنما هو تمهيد لتحقيق حلم من فضة .

هذا الحلم من الفضة يتراءى في اشتعال الضوء الأخضر الذي تنتقل على أثر ظهوره في حلم رائع إلى بلاد السكر .

وبلاد السكر هنا هي بلاد العالم المثالي الذي طالما بحثت عنه البشرية ، وشدت إليه الرحال .

فما ملامح هذه البلاد ؟

هناك ملامح مادية ، وملامح شاعرية ، وملامح عربية ، وملامح عاطفية ، ومع أنها ليست محددة كل التحديد فهي متداخلة إلا أنها كلها ملامح محببة إلى النفس يتكون من مجموعها هذا العالم المثالي الذي طالما حلمت بمثله البشرية .

فمن حيث **ملامحها المادية :**

تتـألق آلاف الجـزر
تتـراقـص شـطآن ووهـــاد
تتهاوى الأزمنة المبهورة منتشرات في أعياد
أعيـاد ، أعيـاد ، أعيـاد

ومن حيث **ملامحها الشاعرية** تتراءى :

آفاق ولهى خضـلات أشـواق تحـلم أقمـارُ
ومهاد سنابل شـقراءٍ في حضـن سـهوبْ
والبسمة تنبت والهةً فوق الـوجه المحبـوبْ
وقصائد حب تنظمها ، ونهور حليب وبهارُ
وأغان سوف نغنيها وترنح أشرعة وغـروبْ
وتـوابـل
عِـطْـرٌ
أسْرارُ

ومن حيث **ملامحها العربية :**

... غد عربيٌ تعـزف منـه الأشعارُ
منبثق مـن بيّارات الـوطن المسلوبْ

ومن حيث **ملامحها العاطفية** نرى الستار يرتفع من جديد عن وجه الحبيب الذي يعود ، ملتئم الجراح ، يغني :

يطلع عذباً من شرف التـذكار الفضـه
من ساحل جزر مسبوكات من فضه

كما نرى تمثالا يرمز لاسم الحبيب :

يتسـلق أحـرفه اللبلابُ
ويمـوج عـلى تعـريشته عـطرٌ وضبـابُ
ويخـالـطه ذهـبُ
ينبثق الـوردُ الأحـمرُ مـن أحـرفـه لـون غـروب
يُعطيـه سُـكّـره الـقصبُ

عالم مثالي طالما حلمت به البشرية ، وحثت إليه الخطى ، ولكن هل وصلت إليه الشاعرة بعد هذه الوقفات المنفعلة أمام أضواء المرور ؟

يبدو أن الضوء الأحمر يشتعل فجأة من جديد ليقضي على الحلم مرة أخرى ، الحلم الذي يتراءى من خلال لهب حارق ودوّامة ألوان في دنيا منسية !! **أترى يرمز اللون الأحمر إلى الواقع الذي يشد الشاعرة بوثاقه ، ويحطم في أحلامها عالم المثل ؟**

مـا بـين الأحـمـر والأصـفر والأخضر
تضحك يـا قلـبي ، تبـكي ، تتـذكر
وتسيـر تسيـر إلـى أيـن
المسعى والظلمة ممدوده
والأرض المنشـوده
ومـروج الفستـق والعنبـر
ونهـور الكـوثـر
خلف ضباب البحر بعيده
وغدي طـرقات مسـدوده
وَدِياني خـاوية ، تصـفر فيهـا الـريح
ويتمتم سرٌّ مجـروح
وجبالي خنجـر
ومروجي أشعار تبكي في صمت الدّفتر
وفؤادي تصرعه أوتار ، تحفر فيه مفاتيح

الهوامش

(١) الدورادو Eldorado : عنوان قصيدة للشاعر الأمريكي ادغر آلن بو Poe ، يبحث فيها الفارس الشجاع طوال حياته حتى يشيب عن مدينة الأحلام فلا يجدها .. و(الدورادو) هي المدينة المنشودة .

(٢) «ليتيا» نسبة إلى نهر الليثي Lythe (بكسر اللام) في الأساطير الإغريقية ، وهو نهر النسيان الذي يشرب منه الموتى ، فينسون حياتهم الدنيا ، وهذا النهر فرع من فروع نهر ستكس Styx الكبير الذي يجري في الجحيم ، ويتصف بأن ماءه أسود وبأنه يجري بقوة رهيبة جارفة ، ولكنه صامت صمت القبور ، بارد برود الثلج كما تقول الأسطورة الإغريقية .

القيام بالبحوث وكتابة التقارير عنها عملان متلازمان ومتممان لبعضهما البعض . وعلينا أن نخطط للبحوث ونعرف الهدف الذي نرمي إليه من القيام بها ، كما أن علينا أن نخطط لكتابة التقارير عنها وأن نكون ملمين بالأهداف والأسس والطرائق التي تكتب بها التقارير ، فإذا أهملنا جانباً من جانبي هذه المعادلة ، لا نأمن من الوقوع بالخطأ في عرض المفاهيم والمعلومات وما توصلنا إليه من أهداف . فإن كتابة التقرير تمثل صورة منظمة ومنسقة لعملية القيام بالبحث ، أي أننا نشرح ما قمنا به أثناء قيامنا بعملية البحث العلمي ونناقش ما توصلنا إليه على شكل تقرير مكتوب ومفهوم من القراء على اختلاف نزعاتهم وميولهم وتفكيرهم .

البحوث والتقارير

بقلم : د . يوسف القاضي[1]

وللبحث كما نعرف جوانب من النشاط كثيرة منها **جانب ذهني** يتمثل في التفكير بالمشكلة وإيجاد الفروض المناسبة لحلها والتخطيط لذلك . وجانب تطبيقي عملي يتمثل في وضع ما فكرنا به وافترضناه عقلياً وخططنا له على الورق موضع التطبيق والعمل وهو ما يسمى **بمنهج العمل أو التطبيق** . وجانب ثالث يتمثل في الحل الذي توصل إليه الباحث وهو ما نسميه **بالنتائج** ، وما يتبعها من منفعة استفادها المجتمع وعممها بعد التأكد من النتائج الإيجابية .

وقبل البدأ بعملية البحث وكتابة التقرير علينا أن نسأل أنفسنا :

ـ ماذا يريد المجتمع أن يعرف عن تلك المشكلة وعن الدراسات التي صاحبتها ؟

ـ كيف نوصل ما يحتاجه المجتمع من نتائج بحوثنا المتعلقة بتلك المشكلة بصورة واضحة ومفهومة لا لبس فيها ولا غموض ؟

والسؤالان المعروضان أعلاه يتضمنان ممن يود القيام بأي بحث أن يعرف متطلبات ذلك البحث والفائدة المتوخاة من القيام به بالإضافة إلى معرفة الكيفية التي يقدم بها نتائجه للقراء وطلاب العلم والمعرفة على اختلافهم . ومن ضمن الشروط الواجب توافرها في التقرير كما يراها **كيرلنجر**[1] ويفندها **عبد الله محمود سليمان**[2] ما يلي :

أولا : أن تكون لغة التقرير بسيطة ومفهومة وخالية من الحشو والزخرف اللفظي وصريحة في تقرير الحقائق .

ثانياً : أن لا يحاول الباحث إقناع القارئ أنه لا يخطئ وأن ما قدمه له هو الصواب ، بل عليه أن يوضح له أنه اجتهد وعمل طاقته ليضع ما توصل إليه أمامه ليحكم عليه ويعطي رأيه فيه ويقدم ما يراه من مقترحات بصدده .

ثالثاً : أن يكون بمقدور باحث آخر أن يعيد إجراء البحث متبعاً ما جاء في التقرير من تفكير وتخطيط وتنفيذ . فإذا فشل في ذلك لسبب من الأسباب التي تتعلق بعملية القيام بالبحث أو بصياغة وتنظيم التقرير ، فإن ذلك التقرير يعد تقريراً ناقصاً .

ومن الأسباب التي يفندها «كيرلنجر Kerlinger» بما يتعلق بأهمية تكرار البحث من أنها تتيح لباحث آخر أن يراجع النتائج التي انتهى إليها البحث .

ومهمة مراجعة النتائج من قبل باحثين ستمكنهم من أن يتقبلوا تلك النتائج أو يرفضوها أو يعدلوها مما يتيح للنتائج الجديدة أن تنشر ويعمم نفعها إذا ثبت ذلك .

وهذا ما يحدث للاختراعات والاكتشافات والمفاهيم الجديدة عندما يرضى عنها الباحثون والمتخصصون تعمم لتستفيد منها البشرية قاطبة .

عملية البحوث وتنظيم التقارير

تنوعت الأسباب وتعددت في كيفية إجراء البحوث وتنظيم التقارير عنها . وهذا التنوع والتعدد مرده لانتشار البحوث والتقارير انتشاراً واسعاً في كثير من مراكز العلم والجامعات والمعاهد من جهة ، وللتطور والتحسن المستمر الذي طرأ على هذا العلم الحديث نتيجة لفتح باب التطور

والتحسين والسير به من حسن إلى أحسن . هذا بالإضافة للمنافع الكثيرة والخير العميم الذي جناه العالم من ثمرات البحث العلمي وما واكبه من اختراعات واكتشافات علمية مذهلة .

ولا أود أن أخوض بذكر أنواع التنظيم لأنها كثيرة ومجال تطويرها وارد ومستمر . لذلك وجدت من الأنسب أن أقتصر على ذكر الخطوط العامة المتفق عليها من قبل معظم الباحثين المعروفين ومن ثم تفصيلها وهي كما يلي :

١) المشكلة .
٢) المنهج أو الطريقة أو الأسلوب .
٣) النتائج .
٤) التقييم ومناقشة النتائج .
٥) الخلاصة .

أولا : المشكلة

ماذا تعني المشكلة ؟

هناك تعاريف كثيرة لمعنى كلمة « **المشكلة** » ومعظم هذه التعاريف تتفق على مفهوم مشترك وهو **أن كل ما يحتاج إلى حل واظهار نتائج ذلك الحل هو مشكلة** . وبعد ذلك يصار للاستفادة من الحلول والنتائج حسب مقدار الوعي بين الناس وأفراد المجتمع ، فكلما كانوا أوعى كلما استفادوا أكثر وهكذا . . . وكلما كان الباحث وثيق الصلة بالمشكلة كلما تميز بحثه وتقريره بالأصالة العلمية والسعي لتفهيم الظواهر التي لم تفهم ، وتحتاج إلى مزيد من البحث والجهد والعمل المستمر ليكشف مكنونها ويزيل غموضها . وقد قال في ذلك عبد الله محمود سليمان ما يلي :

« .. **أما النوع الثاني من الطلاب فهو ذلك الذي عانى مشكلة وعاشها ، وظهرت معاناته من خلال قراءاته فأخذ يحدد مشكلته في أسلوب واضح ثم أخذ يوضح مبررات بحثها من خلال دراسته للبحوث السابقة وما فيها من فجوات في بناء المعرفة يحاول ببحثه أن يملأها ، ومن ثم فإن هذا النوع الثاني يتجه للظواهر التي لم تفهم بعد وتحتاج إلى البحث ليزيل ما بها من غموض** »[٣] .

وهناك نوع آخر من الناس يتوهم أنه يقوم بعمل بحث وكتابة تقرير عنه . وهمه الأول هو ملء فراغ في دورية أو نشرة ليحصل منها على درجة علمية أو أجر ، هذا الصنف من الطلاب أو غيرهم من أفراد المجتمع لم يتعمقوا في بحثهم ودراساتهم الميدانية والنظرية ، بل استفادوا مما وقع في أيديهم وبطريق الصدفة في كثير من الأحيان ، من مراجع ودوريات ونشرات وبحوث واختاروا مشروعاً لبحوثهم هزيل البنيان ، لا يتصل بمنفعة لأفراد مجتمعهم ولا يكلفهم الكثير من المعاناة والجهد والمشقة حيث إن هدفهم من كتابة بحثهم ــ إن جاز لنا أن نسميه بحثاً ــ هو منفعة شخصية أو مادية محدودة .

فمن أي النوعين أنت ؟

أرجو أن لا تكون من النوع الذي لا هم له إلا منفعته الشخصية فقط . وقد قال عبد الله محمود سليمان في هذين النوعين من الباحثين ومن البحوث ما يلي :

. . . هذان النوعان من الباحثين وهذان النوعان من البحث يوجدان دائماً في كل مجال من مجالات البحث وفي كل ميدان من ميادينه والذي يفرق بينهما هو الجهد والمعاناة والإحساس بالمشكلة من خلال بناء المعرفة البشرية ، وهذا الإحساس وهذه المعاناة يعدان خطوة أساسية في طريق يؤدي إلى نمو الباحث وإلى تقدمه في بحثه حتى ينتهي به الأمر إلى الإجابة على الأسئلة التي أثارها إحساسه بمشكلته ودراسته لها .

وفي السطور التالية دراسة المشكلة وتفصيلها على النحو التالي :

أ ــ الإحساس بالمشكلة .
ب ــ القيام بالدراسات اللازمة لتحديد المشكلة .
ج ــ افتراض الحلول لها .
د ــ اختيار أنسب الفروض .

أ ــ الإحساس بالمشكلة :

يعتبر الإحساس بالمشكلة نقطة البداية في البحث العلمي . فبدون إحساسنا بالمشكلة وما يلازمه من متطلبات دراستها لا يوجد بحث علمي ولا تقرير منظم له . والإحساس بالمشكلة مرتبط باستعمال الفكرة والتفكير لإيجاد الحلول المناسبة بصورة موضوعية علمية . فهو إذن محك للفكر ولإثارة التفكير بصورة مستمرة ومنتظمة ما دامت المشكلة قائمة وبحاجة لحل .

قد يتبادر لأذهان البعض أن الإحساس بالمشكلة هو من الأمور الذاتية المرتبطة بالنواحي النظرية ، ولذلك فإن علينا أن نفرق بينه وبين النواحي العلمية التي تصاحب عمل البحث عادة وخاصة البحث الميداني ، والرأي الصريح في هذا ، هو أن عمل البحوث يعتبر كل متكامل ، يكمل كل جزء منه الآخر ، فلا يجوز أن نفرق بين مرحلة من مراحله والمرحلة التي تليها .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن التفكير هو نوع من أنواع النشاطات العملية التي يعمل فيها التفكير ويخطط ويمهد للمراحل اللاحقة والتي تتطلب مناقشات مع استعمال اليدين في تثبيت الأدوات والآلات وأجهزة المعامل والمختبرات . فالتفكير هو البصيرة التي تنير طريقنا وترسمه وتخططه لتساعدنا على إتمام عملنا المنوط بنا على أحسن وجه ممكن وفي أقصر وقت وأقل تكلفة . وبدون ذلك فإن نجاحنا يعتمد على الله ثم على الحظ وقليل ما يصيب الحظ فكيف نترك له زمام أمورنا ونعطل صمامات الأمان في تفكيرنا . ؟؟

ب ــ تحديد المشكلة :

بعد الإحساس بالمشكلة يأتي تحديدها وتحديد المشكلة يتطلب دراسة وافية لجميع نواحيها ومن مصادر مختلفة . فمثلاً لو أننا أحسسنا بمشكلة من مشاكل التعليم في إحدى الدول النامية ، ولتكن هذه المشكلة هي مشكلة تسرب طلاب القسم المتوسط في مدرسة من المدارس المتوسطة .

فإحساسنا بالمشكلة يتأتى عن طريق مؤشرات تنبهنا إلى حدوث تسرب في أكثر من مدرسة متوسطة وهذا التسرب يأخذ أشكالاً مختلفة منها التأخر عن الوصول إلى المدرسة والتسكع أمام أبوابها ، أو تسلق أسوارها أثناء الفسح والتلهي في الأزقة القريبة منها حتى يحين موعد العودة للبيت ، أو

تكوين جماعات تتداعى للهروب من المدرسة وتمضية الوقت في الحقول والساحات المجاورة . وهذه الأشكال المختلفة من التسرب لها أسباب ومسببات شتى . وتحديد المشكلة ينطلق من محاولة للتعرف على أكبر قدر ممكن من الأسباب المؤدية له . فكيف يتسنى لنا ذلك ؟

من الأمور التي تمكننا من التعرف على المشكلة وتحديد أبعادها ما يلي :

١ ــ دراسة ما نشر عن مثيلاتها على شكل تقارير أو نشرات أو دراسات على اختلافها .

٢ ــ الاتصال بالمسؤولين والمدرسين في المدرسة لمعرفة آرائهم عن المشكلة .

٣ ــ الاتصال ببعض أولياء أمور الطلاب للاطلاع منهم على حجم المشكلة وما يعرفونه عنها .

٤ ــ الاطلاع على الصحف المحلية والدوريات التي تهتم بنشر مثل تلك المشكلات بانتظام .

وأثناء قيامنا بهذه الأمور نتأكد من أخذنا للملاحظات اللازمة لنا والتي تساعدنا على تفهم وتحديد المشكلة والنفاذ إلى صميمها . وعند انتهائنا من أخذ الملاحظات نضعها أمامنا وندرسها لتساعدنا في معرفة الأسباب التي أدت أو ساعدت على إيجاد المشكلة . وهذه المرحلة تقودنا إلى مرحلة لاحقة لها ، ألا وهي اقتراح الفروض لحل تلك المشكلة .

جـ ــ افتراض الحلول المناسبة :

تقودنا محاولاتنا السابقة لمعرفة أسباب المشكلة ولتسجيل الدواعي لوقوعها ، ومن هذه الدواعي والأسباب ما يلي :

١ ــ النفور من مدرس ما من مدرسي المدرسة .

٢ ــ النفور من مقرر معين من المقررات .

٣ ــ النفور من إدارة المدرسة .

٤ ــ النفور من البيت والمجتمع .

٥ ــ النفور من البناء المدرسي وملحقاته .

٦ ــ مصاحبة مجموعة من رفاق السوء .

٧ ــ شذوذ في الطالب نفسه .

والخطوة التالية هي دراسة هذه الافتراضات دراسة موضوعية لترتيبها حسب الأهمية واختيار واحد منها للانطلاق منه في معالجة المشكلة وحلها .

د ــ اختيار أنسب الافتراضات والحلول :

كيف تختار أنسب الافتراضات ؟

يستحسن أن يكون الاختيار موضوعياً . أي أن يأتي عن دراسة وتفهم للافتراضات جميعها . ثم اختيار افتراض منها على أنه هو أكثر إلحاحاً من غيره في إيجاد المشكلة ، فعلى سبيل المثال لو اخترنا الافتراض الثاني وهو : « **النفور من مقرر معين من المقررات** » فماذا علينا أن نفعل ؟

نتصل بالطالب ونحاول أن نفهم منه بعض الأسباب التي أدت إلى نفوره من المدرسة علماً أنه من الصعب جداً أن نتوصل إلى كل ما ينبغي فهمه من الطالب . لذلك فإن علينا كذلك أن نتصل بالوالدين والأهل والمدرسين وبإدارة المدرسة وببعض زملائه . . أي نحاول أن نتصل بأكبر عدد ممكن من الأشخاص الذين يتعاملون مع الطالب بصورة من الصور وخلال هذا العمل نأخذ الملاحظات الكافية ونجمعها لكتابة تقريرنا فيما بعد .

الإمكانية الأخرى لدراسة هذا الافتراض هي دراسة المقرر دراسة وافية موضوعية تتناسب والمستوى الذي وضع له . فلربما كان أعلى من المستوى مما سبب نفور الطلاب أو ربما كان أدنى من المستوى مما سبب الاستهانة وإهماله مما أتاح الوقت لعدد من الطلاب كما يتلهون بأمور أخرى جرتهم للنفور من المقرر ومن المدرسة بصورة عامة .

وهناك إمكانات غيرها . منها الاتصال بمدرس المادة والإدارة المدرسية لاستطلاع آرائهم وأخذ الملاحظات عن ذلك . وهذا يضعنا في المرحلة الثانية من مراحل دراسة المشكلة ، ألا وهو المنهج أو الأسلوب أو الطريقة التي نعالجها بها .

ثانياً : المنهج أو الأسلوب

طريقة العمل التي نتبعها لمحاولة إيجاد حلول للمشكلات التي تواجهنا والتحديات تُدعى **المنهج أو الأسلوب المنتهج** . وعند كتابة منهج البحث يستحسن أن نراعي ما يلي :

١ ــ أن يكون منهج البحث منظماً بحيث يتيح لباحث آخر أن يقوم بنفس البحث أو أن يعيد التجارب التي قام عليها منهج البحث .

٢ ــ أن يوضح للقارئ ما قام به من إجراءات وأعمال ونشاطات ليجيب على التساؤلات التي أثارتها المشكلة موضوع البحث .

والمقصود هنا أن يحدد بدقة وموضوعية المشكلة التي قام ببحثها والأساليب والطرق والنشاطات التي اتبعها لإيجاد حلول لها بحيث لا يترك لبساً أو غموضاً في أية ناحية من نواحيها ، وهذا يتطلب :

أ ــ تخطيطاً كاملاً لما سيقوم به ، وما يلزمه من أدوات ووقت وجهد .

ب ــ تنفيذ المخطط بدقة حسب تنظيمه مع ذكر ما يطرأ عليه من تعديلات وزيادة أو حذف في حينه .

ج ــ تقييم خطوات التنفيذ بصورة مستمرة وشاملة حتى يعرف ما يتطلب تعديلاً دونما أي تأخير أو ضياع للوقت أو الجهد .

وعلى هذا فإنه من المستحسن أن لا تحذف أية تفاصيل مهما كانت غير هامة أو لازمة في نظره لأن حذفها ربما أثر على عدم إمكانية باحث آخر بإعادة عمل البحث وهذا يعد من مآخذ البحث التي يجب أن لا نقع فيها .

فقد قال أندرسون[٤] : **ما يدل على أن من أفضل الاختبارات لتقويم البحث بصورة عامة والمنهج بصورة خاصة الاختبار الذي يجيب عن السؤال الذي يتساءل عن استطاعة شخص** آخر أن يكرر عمل التجربة التي قام بها الباحث الأول مستعيناً بالمخطط

الذي وضعه لبحثه وما وصفه من طرق اتبعها في تطبيقه أم لا ؟

ومن هنا تظهر لنا أهمية الاهتمام بالمنهج أي منهج البحث المتبع من قبل الباحث حيث إنه يصف فيه أموراً منها[5] :

١ ــ تعميم بحثـه .

٢ ــ المنطق الذي على أساسه يربط بين المادة التجريبية وبين القضايا النظرية .

٣ ــ أفراد التجربـة .

٤ ــ العينة وأسلوب اختيارها وضبطها .

٥ ــ وسائل القياس المستخدمة في البحث .

٦ ــ الأجهزة المستعملة .

فوصف هذه الأمور يساعد الباحثين الآخرين على تتبع طريق الباحث الأول وتفهم ما يرمي إليه وما يتحقق لديه من نتائج وما صادفه من عقبات ومشكلات وكيفية تذليلها . .

ثالثاً : النتيجـة

هي خلاصة ما توصل إليه الباحث من بيانات وما أجرى عليها من اختبارات نتيجة للفروض التي افترضها الباحث ، والذي صمم الدراسة لاختيارها ومعرفة مدى صحتها من عدمه .

ولعله من المفيد أن يتساءل الباحث عن كيفية إجابة النتائج التي توصل إليها عن أسئلة البحث التي وضعها على صورة افتراضات ، أو تساؤلات تحتاج إلى إجابة موضوعية مبنية على دراسة علمية وافية . علماً أن على الباحث أن يقدم في بحثه النتائج التي انتهت إليها دراسته بغض النظر عن رضاه عنها أو عدمه وسواء كانت تتفق مع توقعاته أو تختلف عنها . **فالنتيجة نتيجة إن كانت إيجابية أو سلبية والفائدة منها موجودة على أية حال ،** فإن كانت إيجابية فقد أجابت عن تساؤلاتنا بنجاح ، وإن كانت سلبية فقد تساعدنا في إعادة صياغة منهجنا للظاهرة أو المشكلة التي تواجهنا وهكذا . .

فتنظيم النتائج يتيح للباحث وللقارئ الاستفادة منها على شكلها الذي توصل إليه . لذلك يستحسن أن تنظم على شكل مفهوم لا لبس فيه ولا إبهام ، مراعياً التوضيح في المعنى والمبنى قدر الامكان .

رابعاً : التقييم ومناقشة النتائج

بعد تنظيم النتائج على شكل مفهوم واضح ، يأتي دور تقييمها ومناقشتها ، والتقييم والمناقشة تتطلب ضمن ما تتطلبه الأمور التالية :

١ ــ تفهمه ــ أي الباحث ــ للنتائج بغض النظر عما إذا كانت تتناسب مع أهوائه أم لا .

٢ ــ تسلسل النتائج بصورة تظهر تناسقها وتماسكها مع الدراسات والاختبارات التي أعطتها أو أدت إليها . أي ترابط النتائج مع الدراسات والاختبارات ، إذ إن عدم ترابطها يجعلها مفصومة عنها ، مما يثير الشك في كيفية الوصول إليها .

٣ ــ محاولة الباحث الإجابة عن السؤال الآتي وهو :

هل تؤيد هذه النتائج التي توصل إليها الفروض التي وضعها أم لا ؟

وما هي الأسباب التي جعلت النتائج تؤيد فروضه ؟

وما هي الأسباب التي جعلت النتائج ترفض ما افترضه من فروض ؟

علماً أن على الباحث أن يعرف كما ألمحنا أعلاه ماذا تعني هذه النتائج بالنسبة لبحثه وفروضه حتى يمكنه مناقشتها وتقييمها . **وإلا فكيف يتم له ذلك .**

٤ ــ يتم التقييم والمناقشة ضمن حدود الدراسة التي قام بها ، لأن تعميم النتائج سابق لأوانه ولا يمكن أن يتم قبل التقييم والمناقشة والقبول . فإذا تم ذلك تطبع الدراسة على شكل تقرير منظم وتنشر في الدوريات العلمية المختلفة لتعمم على المهتمين بها .

٥ ــ خصوبة أية دراسة أو بحث تقاس بمقدار ما تثيره من أسئلة غير تلك الأسئلة التي أجابت عليها تلك الدراسة أو ذلك البحث ، لأن قيمة أية دراسة أو بحث تكمن في المساهمة في تطوير المعرفة ونموها ، ودفعها في مجالات جديدة لتساهم في اكتشاف آفاق جديدة . . . وهكذا . . .

خامساً : الخلاصة

وهي عبارة عن فكرة موجزة لما تم من بحث وما توصل إليه من نتائج مشيراً للصعوبات التي واجهته والأمور التي سهلت عليه البحث ليستفاد منها في عمل بحوث أخرى كما أنه يذكر فيها اعتذار عن تصدي الباحث لبحثه ودعوة للآخرين للمساهمة في ذلك البحث ومواصلته لأنه في كثير من الأحيان تتطلب جهوداً أكثر من التي بذلت ووقتاً أوفر ، وإمكانات أوفى فهو بذلك يحاول وضع نفسه وشخصه وإمكاناته في محلها ، حتى لا يركبه الغرور فيطير بدون جناحين . **فالعالم ومقتفي آثار العلماء أبعد ما يكونان عن هذه الصفة .**

الهوامش

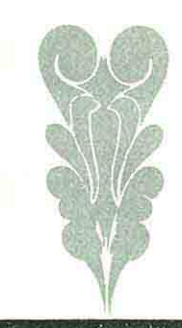
(١) Kerlinger, F. N., Foundation of Behavioral Research, New York, Holt, Rinehart & Winston, 1964 (P. 691).

(٢) عبد الله محمود سليمان ، المنهج وكتابة تقرير البحث في العلوم والسلوكية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ص ٩ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢١ ــ ٢٢ .

(٤) Anderson, B. F. The Psychological Experiment (2nd Ed.) Belmont Calif. Brooks, Cole-Wards Warth, 1971. pp. 138-139.

(٥) عبد الله محمود سليمان ، المنهج وكتابة تقرير البحث في العلوم السلوكية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٢م ، ص ٧١ .



بين شاعرين

صمويل تيلور كولردج ● عبد الرحمن شكري

قصيدة ○ قصيدة

أشجان المجهول

هي قصيدة الشاعر الإنجليزي الشهير **صمويل تيلور كولردج** (١٧٧٢ ـ ١٨٣٤ م) الذي يعد من أبرز شعراء الإنجليز قاطبة، ومن أفضل نقادهم في ذات الوقت، حيث جمع في تصانيفه بين الإبداع الشعري والتأمل الفلسفي والنقد الأدبي والفني، وكان له تأثيره العميق في شعر القارة بأسرها، وليس في الشعر الإنجليزي فحسب. فإليه يرجع الفضل في تأصيل شعر **التأمل الذهني**، وتغليب الفكر على الانفعال، وإضفاء البعد الفلسفي والميتافيزيقي على عملية الإبداع الشعري، وفي هذه القصيدة يبث الشاعر أحزانه الخاصة وآلامه الذاتية، من خلال رؤيا ميتافيزيقية عامة، بعد أن نغصت زوجته حياته، فعاش دنياه حزيناً، حتى ساورته الظنون في فقدان قدرته على الإبداع الشعري، وكان قد أحب فتاة هي «**سارة هاتشنسون**» أخت زوجة صديقه الحميم الشاعر **وردز ورث**، فراح يبثها شجونه وهمومه، لعل في البث ما يزيح عن صدره عبئاً ران عليه ويأبى أن يريم.

أحزان المجهول

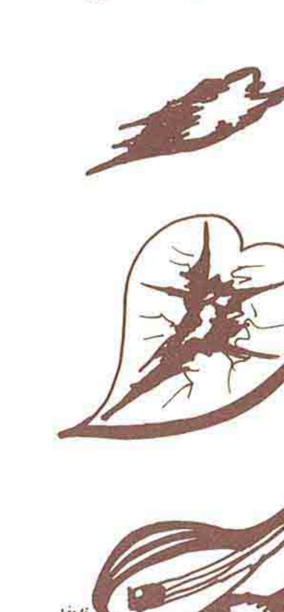
هي قصيدة الشاعر **عبد الرحمن شكري** كما وردت في الجزء الخامس من ديوانه الشعري الكبير، ذلك الديوان الذي استطاع **عبد الرحمن شكري** بفضله أن يتبوأ مكاناً عالياً في فضاء الشعر العربي الحديث، وأن يصبح بحق وعن جدارة رائداً من رواد شعرنا العربي في مرحلة انتقاله من عصر النهضة والإحياء إلى عصر التنوير. والحق أن **عبد الرحمن شكري** كان إلى جوار ذلك ضلعاً بارزاً من أضلاع الثالوث الشعري الذي ضم **العقاد والمازني** وعرف باسم «**مدرسة الديوان**»، وكان لهذه المدرسة دورها في حركة التجديد التي سايرت الشعر العربي في انتقاله من مرحلة إلى مرحلة، وربما كان أهم ما تميز به رواد التجديد الشعري هو اطلاعهم على الآداب الأجنبية، وعلى الشعر الإنجليزي بالذات، ومحاولة إدخال أغراض هذا الشعر وأساليبه في الإبداع الشعري العربي، وكان **كولردج** إلى جانب شعراء البحيرة، ممن لهم تأثيرهم الشديد على مدرسة الديوان، وخاصة **كولردج** الذي كان له تأثيره القوي وبخاصة على الشاعر الكبير **عبد الرحمن شكري**:

• أشجان المجهول •

عهد مضى واليوم أحني هامتي للدهر
أنا لستُ أعتب أن هذا الدهر أفنى بهجتي
القوّة الكبرى اندفعت فيوضاً في خيالي
فإذا نسيتُ فإن قلبي ذاكر
أو فما شيءٌ ألوذ به سوى الصبر الجميل
ولربما أستطيع بالدرس العويص
وطرق آفاقِ الوجود
أن أطلق النفس الذليلة من إسار طبيعتي
وأعلّل القلبَ الممزّق بالشجون
حتى إذا قرّت به نفسي سرى
دمهُ يغذّي بالرجاء كياني
وغدا الرضا طبعي وحال لساني

★ ★ ★

يا للخواطر كالحاتٍ طوّقتْ قلبي
تحكي الحقيقة بعض أحلام
وأنا أصدُّ فلا أُصيخ لها



فالريح تطرق مسمعي في غمغمات
أصغي إليها بعد أن طال انتظاري لا أبالي
فإذا بها تشدو الأسى نقراً على العود الحزين
نقراً يطول لفرط ما يطويه من ألم دفين
يا ريح أولى أن تهبّي سافيهْ
بين الصخور وبين غدران الجبال وبين دوح في الطريق
أو في الخمائل موحشات لم يطفْ يوماً بها حطّابها
أو في ديار نائيات قام فيها من قديم الدهر شمطاء عجوز

★ ★ ★

ماذا دهاكِ اليوم حتى رُحْتِ بالعود المرنّم في جنون تزأرين
بنياهما المزن الهتون
والروض أضحى أدكنا
وتفتقت منه البراعمُ مزهرات
وهممت أنتِ بصولةٍ يا ريح ، بالجن احتفاءً
بأزيز عاصفة أشد من الأعاصير العتيّة في الشتاء
عصفتْ بزهر ناضر وبراعم ، ومضت تمرّغ واجفَ الأوراق

• أحزان المجهول •

يحوطني منك بحر لست أعرفه
ومهمه لست أدري ما أقاصيه
أقضي حياتي بنفس لست أعرفها
وحولي الكون لم تدرك مجاليه
يا ليت لي نظرة للغيب تسعدني
لعل فيه ضياء الحق يبديه

أخال أني غريب وهو لي سكن
خاب الغريب الذي يرجو تقاصيه
أو ليت لي خطوة تدحو مجاهله
وتكشف الستر عن خافي مساعيه
كان روحي عود أنت تحكمه
فابسط يديك وأطلق من أغانيه

والروح كالكون لا تبدو أسافله
عند اللبيب ولا تبدو أعاليه
وأكبر الظن أني هالك أبداً
شوقاً إليك ، وقلبي فيه ما فيه

من حسرة وإباء لست أملكه
يأبى لي العيش لم تدرك معانيه
وأنت في الكون من قاص ومقترب
قد استوى فيك قاصيه ودانيه

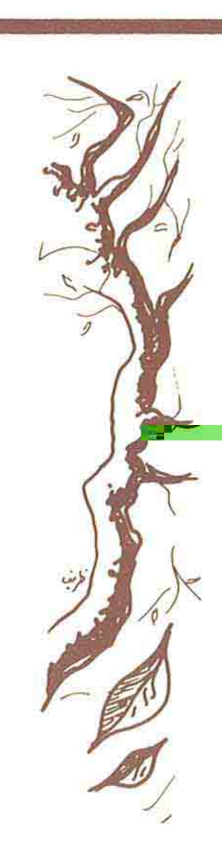
كأنني منك في ناب لمفترس
المرء يسعى ولغز العين يدميه
لو النبال نبال القوس مصمية
كنت أدريت بسهم القوس أرميه
أو كان للسحر سهم نافذ أبداً
لكان لي منه سهم صال راميه

يا مصلت السيف قد فلت مضاربه
ورامي السهم قد خابت مراميه
قلبي يحدثني ألا يليق به
رضى بجهل ذليل اللب يرضيه

يا ريح كم تحكين بين صفيرك الشجنا
ولكم تبثين الأنين فتحسنين البثّا
ولكم بعثت الشعر في قلب نكباء تهب على الطريق
تُردّد الآهات ينفثها الذين تساقطوا عبر الدروب
يتأوّهون ، براهمُ الألم الدفينُ ، ويرعشون ، صلاهم البرد
يا صاح صَهْ فالصمت ران
وذلك الصخب المروِّع كاندفاع الموكب اللجبِ
بضجيجه ووجيبه وبما يجيش به من سورة الهلع
أوى لوهدة بصفقة أخرى فيشغلها الوحل
تروى بصوتٍ رنَّ في نبراته
عِبراً أخف ضراوة وأقلَّ هولا

★ ★ ★

كنشيد عن صبيٍّ يافع في وسط فيفاء
ضلَّ السبيل وما نأى عن داره
وقد استبدَّ به الأسى فمضى يئنُّ خفيضاً
طوراً وطوراً لا يطيق فيستشيط نشيجا
فعسى صدى منه يطير لأمّه



★ ★ ★

الليل منتصف وجفني بالسهاد مؤرَّق
يا ليت حبّي لا يذوق سهادا
أو ليت أجنحة النعاس ترفُّ في عين الحبيب نديةً
ودويُّ عصف الريح يأوي للكهوف فلا يزوم
والنجم يألق فوق مثواه
ويلوذ بالصمت العميق كأنه
يرنو رقيباً للحياة الساجيهْ
ليت الحبيب يقرّ عينا
ويُسرُّ قلباً خافقاً ويجيش بالمرح الذكي خيالا
ويطيب قلباً بالحياة وينتشي طربا
ولتَرْعَهُ كل البريّهْ
ولتغذُ أنفاس الحياة بها صدى أنفاسه

★ ★ ★

يا هذه الروح التي تنثال من دنيا السما
فلتسعدي أبد الزمان . . . لتسعدي .

« روائع من الشعر الإنجليزي . ترجمة : د . زاخر غبريال »

قد ثـار ثـائر نفس عـز مـطلبها
وطـار طـائر لـب في مـراقيه
كالنسر لا حـاجب للشـمس يحـرقه
ولا الصـواعق والأرواح تثنيـه

وأنـت كالليـل والأفهـام حـائرة
مثل العيـون عـلاها منـك داجيـه
ليل مهيب كمـوج البحـر حنـدسه
تكاد تسـمع منـه صـوت طـاميه

فليتهـن خفـافيش تلـوح لهـا
مجـاهل الحـق خـافيه وبـاديه
بل ليت لي فـكرة كالـكون واسـعة
أدحو بها الـكون تبـدو لي خـوافيه

ليس الـطموح إلى المجهـول من سـفه
ولا الـسمو إلى الحـق بمـكروه

إن لم أنل منه مـا أروي الغليـل بـه
قـد يحمـد المرء مـاء ليس يـرويه
والقـانعون بمـا قـد دان ، عيشـهم
موت فـإن هـدوء القلـب يـرديه
يا قلـب يهنيـك نبض كلـه حـرق
إلى الغـرائب ممـا عـز سـاميه

فـالعيش حب لما استطعت مسـالكه
تجـارب المرء تـدميه وتعليـه
كم ليلـة بتهـا ولهـان ذا أمـل
لم يسـل قلبي أن غـابت أمـانيه
لعل خـاطر فـكر طـارقي عـرضاً
يدنو بما أنـا طـول العمـر أبغيـه
يوضح الغـامض المستور عـن فـطن
وأفهـم العيش تستهـوي بـواديه
هيهات ما كشفت لي الحق خـاطرة
ولم يجـب لي سـؤالا مـا ، أنـاديه

« ديوان : عبد الرحمن شكري ، الجزء الخامس »



★ ليس غرضي من هذا المقال أن أهمس في الآذان سراً كان مكنوناً ، ما تبيَّنه الدارسون لأدب **كرم ملحم كرم** ولا استشفَّه قراؤه الكُثُر في سياحتهم عبر بحر الحكايات والروايات الذي سحَّت في أغواره ، وهو يابسة ، ريّقة يراعة كرم المعطاء .

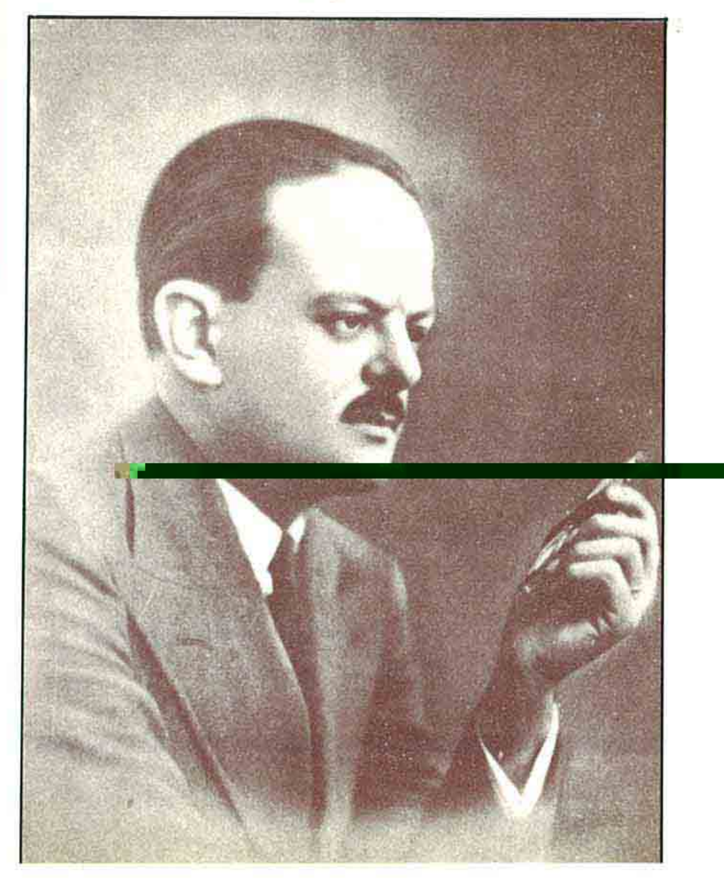
وإنما غرضي أن أدسَّ في الضباب المصطنع الذي ستر حقيقة أدب كرم شعاعاً باهراً يجلو صفحته ، ويعيده إلى ما أراده أن يكون صاحبه : أدباً حياً ، غمامة ترتفع من بحر الحياة لتعاين واقعها من علٍ ثم تعود إليه .

فالحياة ، بمعناها الواسع ، مبدأ أدب كرم ومعاده . واللفظة عنده ليست شرنقة حريرية الملمس تموت فيها خوافي الحياة وقوادمها ، بل هي عرق نابض وشريان تسري فيه نسمة من حياة ★

كرم ملحم كرم

معاينة ومعاناة لشؤون المجتمع

★ كرم ملحم كرم ★



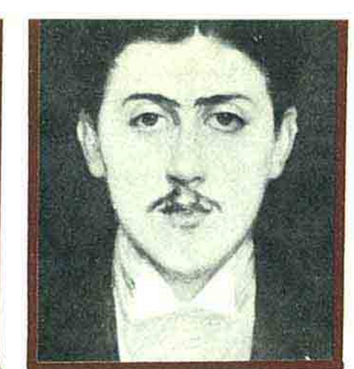
عاش كرم ملحم كرم في قلب المجتمع يعاين مشاكل الناس ويعانيها ، ويعمل لتحقيق آمال أمته وأمانيها ، لا يثنيه عن المضيّ في طريق الحق والحرية حاكم أو متحكم . كان دائماً يقف في صف الشعب لا في صف الحاكم ، وكانت جريدته « **العاصفة** » التي أنشأها عام ١٩٣٢ م ، عاصفة في وجه الطغيان ، وحرباً على الاستغلال ، وسيفاً مُصْلَتاً في وجه من تُسوِّل له نفسه النيل من كرامة أمته . وفي ذلك ما فيه من جرأة نادرة : فحراب الانتداب عطشى إلى أقفاص القلوب الكبيرة ، وكرم في الساح يدفعها ويدافع عن الدستور ! .

ويقلق الحاكمون . . ويصدر الأمر بتعطيل « العاصفة » ثلاثة أشهر فربما فتَّ ذلك في عضد صاحبها . لكن كرم يخيب ظن المتحكمين ، فيهدر صوته في أول عدد يصدر بعد ظهور العاصفة من جديد : « إذا تجرأ أحد من الناس على النظر إلى هؤلاء الآلهة ورفض أن يحرق أمامهم البخور زمجروا وهددوا . . لقد شاؤوا أن يقطعوا اللسان الناطق بالحق الصريح ، على أنهم لم يفلحوا حتى المدى الأخير . . ومهما حاولوا أن يقيموا العثرات والعقبات في طريقه فسيتابع الطريق إلى النهاية ويجتاز العثرات والعقبات سواء لديه رضي رجال المأوى أو غضبوا » .

هذه ملامح من شخصية كرم ملحم كرم في السياسة والاجتماع فهل تغيرت سمات هذه الشخصية في أدب كرم القصصي ؟

كرم . . الأديب

إن الأديب الذي يكافح في سبيل تحرير أمته ورفاهية مجتمعه لا يعقل [illegible] من فنون الأدب . كرم ملحم كرم هو هو : صحافياً ، وكاتباً ، وقاصًّا ، يتأثر بمجتمعه ويعمل للتأثير فيه بتوجيهه ، يحس قضاياه بقلبه وروحه ، بكل كيانه . لكن كرم لم يكن ممن يكرزون ويبشرون ، كان يكره الوعظ ومحض النصيحة ، فلم يكن أدبه ذلك الأدب الموجّه الملتزم بفكرة معينة أو عقيدة خاصة . لم يكتب كرم رواياته تدعيماً لرأي اجتماعي معين ، إلا أن الفكرة الاجتماعية كانت سدى قصصه ولب رواياته : فالرذيلة فيها تلق




★ غوستاف فلوبير ★ ★ مارسيل بروست ★



بقلم : د . ڤيكتور الكك

عفونتها ، والإساءة تصادف نهاية صاحبها المشؤومة . كان كرم ينفر من الميوعة في الحياة ، فكان من الطبيعي أن ينفر منها في القصة وهي صورة للحياة من طراز خاص .

لكن تدبره لشؤون المجتمع لا يأتيك عن طريق التحليل الاجتماعي المجرد السافر ، وإنما ينبعث من خلال تحليل كرم لشخصيات أبطال رواياته تحليلاً يسوقه إليك السرد الأنيق وروعة القصة .

كان كرم أديباً موهوباً تتوالى مشاهد قصصه كما تتوالى أحداث الحياة ، طبيعية ساذجة حيناً ، ومعقدة أحياناً ، فلم يتعمد التحليل النفسي أو التحليل الاجتماعي على حساب الوقائع والحوادث . ذهب في قصصه إلى غير ما ذهب إليه **فلوبير وبروست** ، وكان ينعى على هذا الكاتب تجميده لحركة الحياة في القصة ، ويميل إلى **بلزاك** ، يكبره ويحبه ، لأن المجتمع تمثل في رواياته تمثلاً طبيعياً وعلى أجمل وجه .

والمجتمع الذي يتمثل لنا في أدب كرم القصصي ليس ذلك المجتمع الراكد . إن أشخاص رواياته هم في كثير من الأحيان في صراع دائم مع مجتمعهم ومع أنفسهم ، لأنهم مفصحون عن أفكارهم وميولهم ورغباتهم ، مخلصون في تصرفاتهم . انظر إلى خليل حَنُّون في « **المجنون** » : شاب يطل على الدنيا فيراها أملاً باسماً ، رأسماله الرصانة والاستقامة والأمانة والوسامة ، يسعى في سبيل خير نفسه وخير الناس . إلا أن الزمن لا يلبث أن يقلب له ظهر المجن ، فتنكر له أصدقاؤه وجميع من حوله لأن رصيده من الصفات الطيبة لا يتلاءم ومصالحهم ولا ينسجم مع حياة مجتمعهم المنحرف . جد وجاهد ، تعب ونصب ، فبخل عليه حقل الحياة ببعض السنابل حتى أن صديقه « **وسيم جابر** » حدا به الحسد إلى أن يكيد به ، فجن على عقله ، وكان ضحية المجتمع الذي يطفو فيه السفيه ويرسب صاحب الفضل . لكأني بـ « كرم » يجعل من جنون بطل روايته إدانة للمجتمع .

خليل حنون يمثل العاملين في حقل الحياة الساعين إلى الأفضل . أما « زكية » فإنها صورة عن بعض نساء المجتمع اللائي يسخّرن كل شيء في سبيل مصالحهن وأهوائهن ونزواتهن . في أحشاء « زكية » هوى جامح تحكم بها هي ، ابنة الخمسين ، فاستخدمت كل الوسائل وذللت كل الصعوبات في سبيل أن تحتفظ بخليل إلى جانبها . الناس يلوكون سمعتها ؟ ما همها . . إنها تفرض على زوجها استخدام خليل في مصرفه ، وتذهب إلى أبعد من ذلك فتزوجه ابنتها (منى) لتضمن بقاءه لها . . لكن جنون خليل يبدد أحلامها ويقضي على كفاحه .

ولم يكن نصيب المجتمع من نقمة كرم عليه في روايته « **التاعسات** » أقل من نقمته في « المجنون » **فالمأساة هي الثمن الذي يدفعه المنحرفون وغير المخلصين في حياتهم ولكرامة مجتمعهم** .

أما المجتمع القروي اللبناني فله في تراث كرم القصصي حظ وافر . ففي روايته « **المصدور** » يطل عليك مجتمع الضيعة اللبنانية بتقاليده وعاداته ، بتصرفات أشخاصه وأطباعهم ، بجميع خصائص القرية الطبيعية والبشرية . فكيفما قلبت صفحاتها تلفاك جو القرية ، ودغدغت أذنيك لهجة القرويين وعباراتهم اللطيفة ، فإذا بك تتجول بين بيوت القرية ، وتصعد في شعابها وتسمع أهازيج صباياها في ليالي السمر . ويستخفك طرق المدقات فتشتم رائحة « **الكبة** » الندية كما في أقاصيص كرم : أطياف من لبنان وغيرها . .

لكن « كرم » في قصصه لا يتناول مجتمع المدينة والقرية ، وحسب وهو الذي وهبه الله خيالاً مجنحاً ظاعناً ، واطلاعاً واسعاً دقيقاً على التاريخ وبشكل خاص التاريخ العربي ، ومذاهب العرب في الكتابة والكلام والتفكير ، وانقادت له العربية انقياداً مذهلاً . فمن « **دمعة يزيد** » إلى « **وامعتصماه** » إلى « **أم البنين** » إلى « **صقر قريش** » إلى « **أبو جعفر المنصور** » تتوالى صور المجتمعات البدوية والمجتمعات الحضرية . فإذا دارت حوادث القصة في البادية نسيت واقعك وانتقلت إلى الصحراء ، فانبسطت أمام عينيك فلواتها ، وأحسست بلهيبها وقسوتها ، وسمعت القوم يتخاطبون تخاطباً طبيعياً ، وطرق أذنيك رغاء النياق وصيحات الأبطال وما إلى ذلك . ثم لا تلبث أن تنتقل مع حوادث القصة إلى **بغداد** مثلاً ، **فتطالعك قباب المساجد وأطياف النخيل على ضفاف دجلة** ، وتنتقل في العصور العامرة بين قوم قد أخذوا الوقت بين آس منضود ودَنّ مفصود وناي وعود ، وتسمعهم يتسامرون ويتخاطبون بلغة القرن الثاني أو الثالث للهجرة ، ومن خلال ذلك تتبين وضع المرأة في المجتمعات القديمة ومنزلة الشاعر والقائد .

والقارئ لروايات كرم يتفهم أوضاع المجتمعات التي تدور فيها حوادثها ، ويعاين انتصار كرم فيها لذوي الفضائل الخلقية والاجتماعية ، لأن المجتمع في نظره جائر ، والمتفوقون فيه مظلومون يصطدمون بقدر غاشم يذهب ببصائرهم في كثير من الأحيان فتتقاذفهم أمواه الطمع والخيانة .

أدب كرم ملحم كرم انتصار للمناقب الاجتماعية التي تصطدم بمصالح المنحرفين ممن تسيرهم رغباتهم ويسعى بهم القدر إلى مصيرهم المحتوم . هو ثورة على المجتمع عارمة ، لأنه يحارب تلك المناقب التي عاش كرم من أجلها وكافح في سبيل رفع لوائها .

زورق وشاعر

شعر: علي أحمد علي النعيمي

من خلال الصَّمْت ناجى هاتفُ
خاطرَ الشَّاعر في ليْل بَهيمْ
يمتطي البحرَ وفي أضْلاعه
خَفقة حَرَّى، وشَوق وجحيمْ
أعمَلَ المجداف في الموج لكَيْ
يُبْلغ الزورق للشَّط الرَّحيمْ

★ ★ ★

أيها الماخرُ في زورقه
لجة البحر، وفي البحر خطورَهْ!!
حاذر الأمْواجَ إن هاجت فما
تَهْتَدي للدرْب في الريح الجسُورَه!!
وامْض للشَّط بقلبٍ ثابتٍ
عابراً مما كنت تَسْتعصي عبُورَه!!

★ ★ ★

أيها الماخرُ كمْ في البحر مِن
عجبٍ بَادٍ يَميْناً وشمالا؟!
اليَد الفضْلىٰ التي ما تَركت
دَفة المجداف مَهْمَا الدرْبُ طالا!!
فامْض للشَّط بقلبٍ ثابتٍ
تَاركاً للمَوت في اليَمِّ الكُسالىٰ!!

★ ★ ★

أيها الماخرُ في اليَمِّ إذا
أظْلمَ الليْلُ علىٰ دربِ النجا!!



فدع الزورَقَ يمضي هازئاً
فبصيْصُ النور يمتصُّ الدجى!!
وامْض للشط بقلبٍ ثابتٍ
تَلْق في قلبِ الصعاب الفرَجا!!

★ ★ ★

ومضىٰ الشاعرُ في زورقه
يتحدىٰ كلَّ ألوانِ الخطَرْ!!
مَرةً يَهْوي به الموج فإن
سَكَنَ الرِّيح تَصَبَّاهُ السَّفرْ!!
عقد العَزم، وأبْدَىٰ هِمَّة
ودعىٰ اللهَ بتحقيق الوَطَرْ!!

★ ★ ★

ومراراً وَصَدىٰ الهاتف في
سَمْعه يدعوه لا تَخشَ السُرىٰ
يتلقىٰ الموج صَخاباً وقد
بَلغ الجهْد به.. فانفجرا
مَرْحباً بالخَطَر القاسيْ، وهل
يتهاوىٰ خانعاً مَنْ قدرا؟!

★ ★ ★

أنا يا بحرُ كما تَعْرفني
زورقي فيْك ومجدافي الأمَلْ
لا أبالي مَوجك الطَّاغيْ فما
هزم الموج طُموحَات الجبَلْ!!

أرْفضُ الذلة، أحيَا طَامِحاً
وَأحيْلُ المرَّ حلواً كالعَسَل!

★ ★ ★

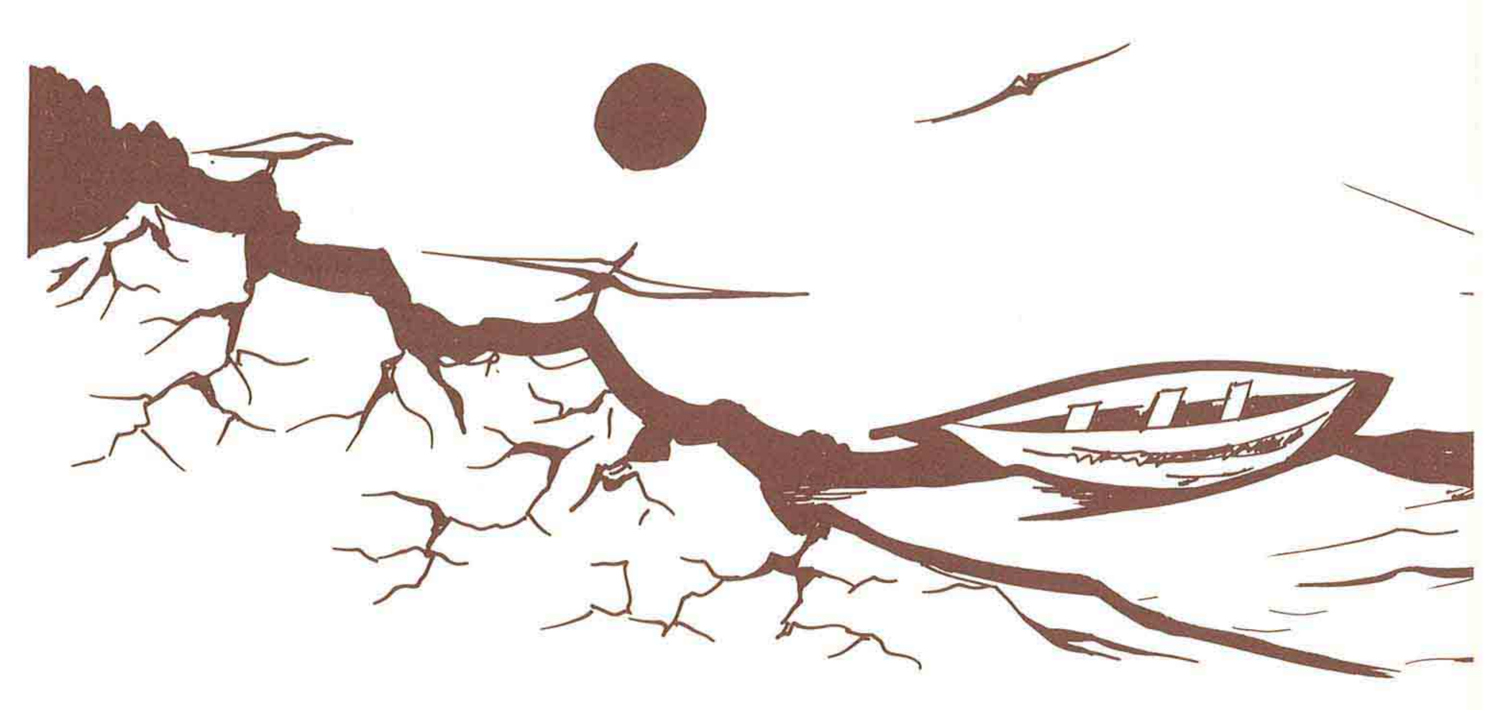
خُلق الشَّاعرُ من طين له
عبَق مختلف منفردُ
ما يَراه؛ لا يَراه الناسُ في
عيْشهمْ.. فهو المعنَّىٰ المجْهَد
كلما في الكَونِ من همّ ومن
رَغد في قلبه محْتَشد

★ ★ ★

وعلى الشط وقد أرْسَىٰ به
شاعرٌ زورقه ذات مَسا
ليُريحَ الجسمَ من أتعابه
ويَقي خافقه كرُّ الأسَىٰ
أعلن. البحرُ بصَوت هادر
زورق الأحلام ما يَوماً رَسىٰ

★ ★ ★

فدَع الشطَّ.. وَسِرْ في رحلةٍ
مرة أخرىٰ علىٰ متن العُبَاب
درَّة تكسبُها رَائعَة
سَتُقوي فيْك أنْواع الرِّغاب
ليس للنفس مُنىً محدودةٌ
يُوصد الشَّطُ عليْهَا كلَّ بَاب





حروب الــردّة أحداث .. وآثار

بقلم : أحمد عادل كمال

كانت الامبراطورية الفارسية وإمبراطورية الروم تقتسمان العالم المعروف حينذاك . ولم تكن جزيرة العرب سوى بقعة جرداء قاحلة غبراء لا يؤبه لها ، ساقطة نحو الجنوب فقيرة من كل خير حتى ورد عن أهلها أنه ربما ابتلع أحدهم الريح أو مضغ نبات القيصوم أو الشيح أو حرش اليربوع ، وكان الغالب من باديتهم لا يعافون شيئا من المأكل حتى كانوا يأكلون الخنافس والجعران ويصيدون الضب ليأكلوه .

فلما بعث الله **محمد** ﷺ بدين الإسلام وأقام في تلك الفيافي دولة لها عاصمة في المدينة وحكومة مركزية لأول مرة في التاريخ ، كان ذلك حدثاً غريباً لم يسبق أن حلم به أحد . وأغرى هذا بعض من لم يدخل الإيمان قلبه أن يقلده ، فظهر في **اليمن الأسود العنسي** يدعي النبوة ، وظهر في **اليمامة مسيلمة الكذاب** ، وقام في **بني أسد طليحة بن خويلد** يزعم أنه يوحى إليه ، وجاءت **سجاح امرأة من بني تغلب** بزعم مماثل تدعي النبوّة ، وأراد كل من هؤلاء أن يكون له ملك كما أقام محمد ﷺ دولة .

وتوفي رسول **الله** ﷺ في شهر ربيع الأول ١١ هـ ، فاستشرى أمر هؤلاء . إلا أنه للحقيقة والتاريخ لم تكن الحركة كلها ارتداداً عن الملة أو ادعاء للنبوّة ، فقد اقتصر بعضهم على التمرد على التبعية للمدينة بعد أن عاشت شبه الجزيرة عمرها كله لا تعرف الولاء لأحد ، وكانوا في هذا متأولين ، فالقرآن الكريم يقول : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم** ﴾ ، ففي تأويلهم أن أداء الزكاة يقابله أن النبي ﷺ يصلي عليهم وأن هذه الصلاة سكن لهم وليس هذا لأحد غير رسول الله ﷺ ، وعليه فليس عليهم أن يؤدوا الزكاة إلى **أبي بكر** لأن صلاته ليست سكناً لهم ! وكان من رأي فريق كبير من الصحابة ترك هؤلاء وشأنهم ، ولكن أبا بكر أبى أن يفرق بين الكافر تارك الصلاة وبين المتمرد الممتنع عن أداء الزكاة .

وكان **رسول الله** ﷺ قد أمر قبل وفاته ببعث **أسامة بن زيد بن حارثة** إلى تخوم **الشام** ، فأنفذ أبو بكر أمر الرسول في آخر شهر ربيع الأول ١١ هـ ، وتفاقم أمر المرتدين وأشاعوا الفوضى وتمادوا في التنكيل والتمثيل بالمسلمين الثابتين على إسلامهم قتلاً وحرقاً وخزقاً . وتعجلت **عبس وذبيان** فخرجوا من شمال **المدينة** يريدون غزوها ، وجمع أبو بكر من بقي من رجاله

بالمدينة وخرج بهم في آخر الليل حتى فاجأوا هؤلاء المرتدين مع خيوط الفجر فلم يشعروا بهم إلا وهم يضعون السيف فيهم وولت فلولهم الأدبار .

وعاد جيش أسامة فتركهم أبو بكر حتى أراحوا ظهورهم ثم عقد أحد عشر لواء وجهها إلى أهل الردة في مواطنهم :

١ ـ خالد بن الوليد إلى طليحة بن خويلد في بني أسد ومن انضم إليهم ، فإذا فرغ منه فإلى مالك بن نويرة زعيم ردة بني تميم في البطاح .

٢ ـ عكرمة بن أبي جهل إلى مسيلمة بن حبيب الكذاب في اليمامة .

٣ ـ شرحبيل بن حسنة في أثر عكرمة ولنفس الغرض .

٤ ـ طريف بن حاجز إلى بني سليم ومن آزرهم من هوازن .

٥ ـ عمرو بن العاص إلى قضاعة ووديعة والحارث .

٦ ـ خالد بن سعيد إلى مشارف الشام .

٧ ـ العلاء بن الحضرمي إلى البحرين .

٩ ـ حذيفة بن محض الغلفاني إلى دبا بعمان .

١٠ ـ المهاجر بن أبي أمية إلى الأسود العنسي بصنعاء ثم إلى حضرموت .

١١ ـ سويد بن مقرن المزني إلى تهامة اليمن .

وكتب أبو بكر إلى جميع قبائل العرب يدعوهم إلى الاستمساك بالهدى ودين الحق ، ويعلمهم أنه أمر جيوشه أن تكف عن كل من استجاب إلى داعي الله تعالى . وأصدر أوامره إلى قادة جيوشه بقتال أهل الردة .

واجتاح خالد بن الوليد بني أسد وهزمهم وفر طليحة إلى الشام ، ثم سار خالد إلى بني تميم فوجدهم قد انفضوا ورجعت سليم وهوازن عن ردتهم . وصادم عكرمة بن أبي جهل مسيلمة الكذاب فهزمه مسيلمة ، فأمر أبو بكر عكرمة أن يمضي إلى عمان ومهرة لمساندة حذيفة وعرفجة . وتقدم شرحبيل فهزمه مسيلمة ثم أدركه خالد والتحم الجمعان في **عقرباء واستبسل المسلمون حتى قتلوا مسيلمة وهزموا جنده واستشهد ١٢٠٠ من المهاجرين والأنصار وحفاظ القرآن الكريم ، منهم ٣٦٠ من أهل المدينة وقتل من بني حنيفة عشرون ألفا .**

وسار العلاء حتى قضى على ردة البحرين ، **وقام كل جيش من جيوش قمع الردة بما وكل إليه فعادت جزيرة العرب وحدة سياسية عاصمتها المدينة مرة أخرى .**

آثار حروب الردة

انتهت الردة بعد معارك اشتعلت بها شبه الجزيرة وامتدت حوالي خمسة أشهر أو ستة شغلت النصف الثاني من عام ١١ هـ ، وكانت الآثار التي تركتها ممتدة مع التاريخ .

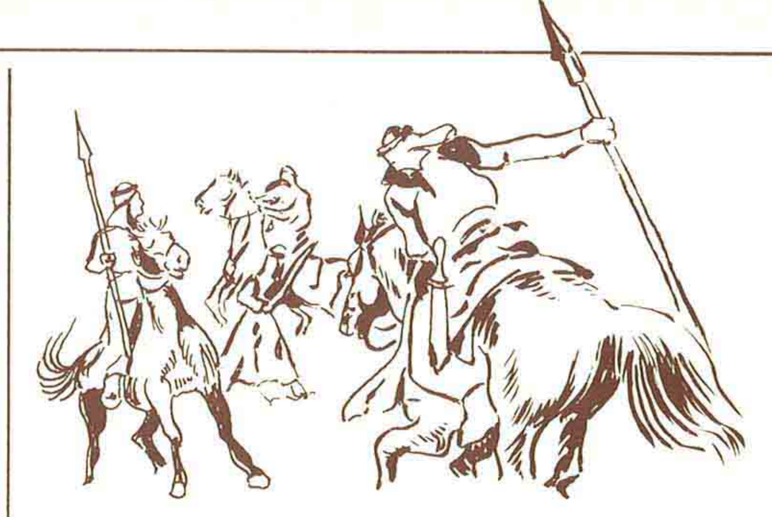
١ ـ فنحن إذا أخذنا في اعتبارنا أن حروب الردة قد شملت جزيرة العرب بجميع أفرادها ، فقد كانوا جميعاً إما مسلم ثابت على دينه ويذود عنه ، وإما مرتد يتمرد على حكم الخليفة ، **فهي حرب أهلية** كان لكل فرد دوراً فيها في هذا الجانب أو ذاك ، وإذا أخذنا في اعتبارنا أن تلك البيئة العربية قد درجت على **الثأر** ، لأدركنا أن هذه الحرب كان من شأنها أن تخلف مشكلة هي **كيف يتعايش هؤلاء جميعا في هدوء نفس وصفاء قلب وتعاون لبناء الدولة الفتية ؟** من هنا نذهب إلى أن فتح جبهة جديدة تجتذب انتباه الأمة وتشد طاقتها كان اجراء بارعاً وتصرفاً حتمياً لتلافي انشغالهم بطلب الثأر أو القعود على حفيظة وحقد . فكانت حركة **الفتوح الاسلامية** هي التي تجمع الأمة من جديد على هدف واحد .

٢ ـ ومن زاوية أخرى ما كانت حركة الفتوح لتبدأ وفي شبه الجزيرة ردة . فإن توحيد شبه الجزيرة ودخول أهلها جميعاً في دين الإسلام كان أمراً لا محيص عنه حتى يمكن الاتجاه إلى خارجها باعتبارها قاعدة هذه الفتوح ، **فكيف كنا نتصور فتوحا بلا قاعدة ؟** أما الآن فقد صار ممكناً تعبئة كل طاقات شبه الجزيرة وحشدها للعمليات الحربية التالية . شتان بين أن ننظر إلى هذه الرقعة فلا نرى غير أفراد يروحون ويجيئون لا فرق بينهم وبين إبلهم وشائهم ، وبين ما كان بعد ذلك الذي يعتبر معجزة التاريخ الكبرى .

٣ ـ ومن جانب آخر فقد كانت حروب الردة من حيث اتساع رقعتها وكبر حجمها ، أول تدريب حربي عملي لكافة المسلمين في جزيرة العرب ، كانت مناورات ناجحة سواء في ذلك أهل الحضر وأهل البادية منهم فرسانهم ومشاتهم على السواء . كانت تدريباً على كافة شؤون الحرب على مستوى الجيوش الكبيرة ابتداء من **الحشد والتعبئة العامة إلى التحركات والسير إلى الالتحام** إلى أعمال **الدوريات والحصار** إلى **الاستخبارات والاعاشة .**

كانت الحروب بين العرب قبل ذلك وحتى عصر النبوَّة على مستويات أقل من ذلك بكثير ، **فكانت الردة أول حرب اشترك في معاركها عشرات الألوف وشملت كل شبه الجزيرة ولمدة غير قصيرة أدت في النهاية إلى أن نرى في الفتوح مقاتلين من طراز فريد وعلى مستوى عال مارسوا الحروب وعركوها ،** وإذا كان الكتّاب والمؤرخون يذكرون للفرس والروم أنه كانت لهم خبرة قرون في الحروب فإن لنا أن نقول إن أي مقاتل من جيوش الفرس والروم لم ينل من التدريب ما نال المقاتل المسلم . يدلنا على ذلك ليس فقط انتصار المسلمين على جيوش الدولتين وإنما أيضاً نتيجة المبارزة التي كانت تسبق المعارك فقد كانت دائماً في صالح المبارز المسلم .

٤ ـ وكما كانت حروب الردة مجالا لتدريب المقاتلين على جميع المستويات ، فقد كانت فرصة سانحة لتكوين وإنماء واظهار القيادات الحربية التي كان عليها ، لكي ترقى سلم الخبرة والكفاءة والقيادة ، أن تتدرج من قيادة عمليات صغيرة إلى قيادة عمليات وسيطة ثم إلى عمليات أكبر وأكبر ، وهكذا حتى تتيح لهؤلاء القادة أن تنمو مواهبهم وأن يظهروا ويثبتوا جدارتهم . إن التقدم العلمي الذي أحرزه عصرنا يحاول دائماً إنماء القيادات بعقد دورات تدريبية وندوات دراسية في



التنيمة الادارية وكليات الضباط العظام وما شاكل ذلك في محاولات لتعويض النقص في الممارسة العملية بالتلقين النظري ، ذلك النقص لم يعرفه المسلمون في العصر الذي نعالجه في هذه السطور ، فقد تمت هذه الخبرة ابتداء من المعارك الأولية الساذجة في أيام العرب قبل الإسلام ثم في **غزوات الرسول** ﷺ وسراياه إلى هذه الطفرة في **حروب الردة** التي قدمت وأهلت لطفرات أكبر كثيراً في الفتوح الإسلامية شرقاً وغرباً .

لقد ظهرت أسماء كثيرة عمل أصحابها نوابا ومساعدين وأركانا للقادة المسلمين الكبار ، هؤلاء كان لهم أكبر الأثر في سير الفتوح بما قدموا من جهد وعمل . ولا ريب أنه مما يعاب على شباب جيلنا جهله المطبق بهذه النماذج المشرقة في حين اتسعت «ثقافته» لمعرفة الممثلين والممثلات والراقصين والراقصات . ما أحوج مكتبتنا إلى من يزيح التراب عن هؤلاء النجوم القادة حتى تلمع لأبناء جيلنا كما كانوا شموساً أضاءت بهم الدنيا دهراً . هذا الصف من «الضباط» العظام ، ظهرت قدراتهم في ميادين الحرب قبل الفتوح فتبوءوا مقاعدهم منها .

بل إن قائداً عاماً مثل **خالد بن الوليد** كان ماضيه الذي بدأ رويداً في عصر النبوّة ثم ازداد اشراقاً في حروب الردة هو الذي رشحه ليسند إليه الخليفة أبو بكر عملية **فتح العراق ثم فتح الشام** . إنها عمليات أغرب من الخيال لا يضاهيها اليوم إلا أن نتخيل قدرة **زائيري** مثلاً على غزو **الصين وروسيا والولايات المتحدة !** ولكن المسلمين العمالقة قد فعلوها !! في الردة أخرج أبو بكر أحد عشر جيشاً عليها أحد عشر قائداً فكان اختباراً عسيراً لكفاءتهم وقدرتهم ، ونتيجة هذا الاختبار هي التي رشحت خالد بن الوليد ولم ترشح غيره من الأبطال لقيادة فتح العراق .

كانت حروب الردة هي المرحلة الوسيطة من حيث الحجم وكل ما يترتب على الحجم بين غزوات الرسول ﷺ ، وبين المعارك الكبرى للفتوح التي غيرت شكل الأرض مثل **أجنادين وفحل واليرموك** ومثل **البويب والقادسية وجلولاء ونهاوند** . إن الدول الكبرى اليوم قد تفتعل الحروب والمعارك أو تحشر أنفها فيما لا شأن لها به مثل الحرب الأهلية في **إسبانيا** التي اشتركت فيها قوات **ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية وإنجلترا وفرنسا الاستعماريتين ، وحرب فيتنام** التي أدلى بدلوه فيها الولايات المتحدة والصين وروسيا لتكون ميداناً لتجربة أسلحتها الجديدة ومجالا لاختبار تخطيطها وأفكارها في الحرب وحقل تجارب لتدريب الجنود وإنشاء قيادات صقلتهم معارك حقيقية . مثل ذلك مع مراعاة شرف الغاية ونبل المقصد أفاده المسلمون من حروب الردة . لم يفتعلوها ، ولكنها كانت حرباً حقيقية أفادوا منها تجربتهم في الحروب .

٥ ـ أثر آخر من آثار حروب الردة ، ذلك هو **صرف نظر إمبراطورية الفرس وإمبراطورية الروم عن مولد المارد الذي كان يتكون في شبه الجزيرة لينطلق منها .** قبل ذلك بسنوات قلائل بدأت **دولة الاسلام** تتكون ، ولا ريب أن بعض النذر قد تسربت إلى جيران شبه الجزيرة ، فلقد تم اجلاء **يهود قريظة والنضير** فرحلوا إلى الشام ولا بد أن يكونوا قد حملوا معهم أنباء ما يحدث في بلاد العرب ، ثم تم **فتح خيبر ودومة الجندل** ووقعت **غزوة مؤتة وتبوك** ثم بعث **أسامة بن زيد** إلى تخوم الشام واغارات **المثنى بن حارثة الشيباني** على حدود العراق ، كل ذلك كان من شأنه أن ينذر الجيران الروم والفرس بالخطر الذي يوشك أن يطل عليهم . ولكن اشتعال شبه الجزيرة بحرب أهلية كان من شأنه أن يطمئن هؤلاء الجيران إلى أنه لا خطر عليهم من هؤلاء الناس الذين يتقاتلون داخل الصحراء .

نستطيع إذن أن نصف حروب الردة أنها حملت في طايتها تعمية كاملة عن مولد المارد وانطلاقة العملاق ، فما إن أدرك أبوبكر أن أمر الردة قد قضى حتى وجه هذه الجيوش قبل أن تركن إلى القعود وتخلد إلى الراحة نحو حركة الفتح المباركة فكان ذلك مفاجأة أي مفاجأة .

٦ ـ وأخيراً وليس آخراً **فإن النصر الذي أحرزه المسلمون في حروب الردة قد منحهم ثقة لا حدود لها بأنفسهم وبقدراتهم وبنظامهم الذي انتصر بهم وانتصروا به في هذه المعارك .** ولقد كانت هذه الثقة شيئاً هاماً جداً في مواجهة قوى عاتية أكبر بكثير من القوى المادية والعددية للمسلمين حين خرجوا من ديارهم فاتحين . لم يعد عندهم شيء مستحيل . إذا كان هنا مستحيل فهم صانعوه والمستحيل الوحيد عندهم هو الا ينتصروا . وقد جازتهم هذه الثقة إلى أعدائهم فلم يكن الفرس والروم يسمعون باسم مثل خالد بن الوليد حتى يركبهم الرعب ويكون ذلك في حد ذاته من عوامل هزيمتهم .

لكل قتال جانباه . . **الجانب المادي والجانب المعنوي .** الجانب المادي هو **القوة** بكل مكوناتها من عدد وعدة وعتاد وتدريب وخبرة ومخابرات وجندية وقيادة . والجانب المعنوي يشمل **الايمان بالهدف والروح المعنوية والحالة النفسية . .** الخ . ومن المؤكد أن مصير أي معركة يتحدد في قلوب المتعاركين قبل أن يتحدد على أرضها . **ولقد خرج المسلمون فاتحين تملؤهم الثقة في النصر ، يدعم ذلك ويعمقه سوابق من حروب الردة رأوا فيها الأمل حقيقة والحلم واقعا .**

لذلك كله نرى أن حروب الردة كانت ذات قيمة سياسية وتعبوية وتدريبية وإدارية وإنمائية وفنية وحربية ومعنوية لا تقدر . وإذا كان التاريخ قد نعى كثرة من قتل فيها من أعلام المسلمين وحفاظ القرآن الكريم ، فإننا نرى أنه كان لا بد من هذا سداداً ثمن ذلك كله الذي مكن للمسلمين من أعدائهم وذلل لهم النصر على أعداء كانت لهم سطوتهم وهيبتهم . فمن حيث كان شهداء حروب الردة ثمناً دفعته الأمة نقول إنهم لم يكونوا ثمناً لكسب حروب الردة فحسب وإنما كانوا ثمناً للقضاء على الردة وللفتوح من بعدها . . كانوا ضريبة الحياة لهذه الأمة وانسياح الإسلام شرقاً وشمالا وغرباً . . والله غالب على أمره .



تعليم وتعلم اللغة العربية في نيجيريا

★ تعليم اللغة العربية في نيجيريا ★

بقلم : د. إسحاق أوغنبيه

يرجع تاريخ تعليم اللغة العربية في نيجيريا ، وخصوصاً في شمالها الشرقي حول بحيرة تشاد ، إلى القرن الحادي عشر الميلادي أثناء توغل الإسلام في مملكة كانم / برنو التي كانت إحدى ممالك بلاد السودان الوسطي القديمة .

وبمرور القرون ، انتشر الإسلام من هذه المنطقة ومن مراكز ممالك السودان الغربية مثل غانا ومالي وصنغلي حتى شمال كل المناطق التي تتكون حالياً شمالي نيجيريا مثل سوكوتو وكانو وزاريا وغيرها[1] .

وفي أوائل القرن التاسع عشر ، قام الشيخ عثمان بن فودي (١٧٤٤ ـ ١٨١٧ م) بالأنشطة الدينية التي جدد بها الإسلام وأصلحه ، وأعاد إليه روحه الحيوية بعد أن كادت البدع والخرافات المحلية تخمد نوره[2] .

ونتيجة لهذه الحركة ، انتشر الإسلام إلى باقي البلاد وخصوصاً إلى المنطقة التي تسكنها قبيلة يوروبا في الجنوب الغربي من بلاد نيجيريا وبما أن اللغة العربية جزء من الإسلام لا يتجزأ منه ، فقد انتشر تعليمها بانتشار الإسلام .

هذا وعلى الرغم عن تقدم هذه اللغة في الديار النيجيرية فلا زال تعليمها يواجه صعوبات عديدة تجعل حالتها على غير ما يرام . وفي هذا البحث سنحاول مناقشة أسباب هذه المشكلات مع بعض الاقتراحات التي قد تساعد على إزالتها .

الأهداف من تعلم اللغة العربية في نيجيريا

ولعله من الأفضل أن نبدأ هذا البحث **بتحديد الهدف من تعلم اللغة العربية في نيجيريا** لكي نتمكن من تقدير المدى الذي بلغه تعلم هذه اللغة في تلبية ذلك الهدف .

ويمكننا أن نقسم الهدف من تعلم اللغة العربية في نيجيريا إلى قسمين رئيسين ، هما : الأغراض الدينية ، والأغراض غير الدينية .

١ ـ الأغراض الدينية

أما الأغراض الدينية فهي لا تختلف عن السبب الذي يدفع كل مسلم إلى تعلم اللغة العربية لكونها لغة القرآن الكريم والدين الإسلامي الحنيف . **وبالنسبة إلى نيجيريا نجد أن عدداً كبيراً من سكانها يدين بالإسلام** . والإلمام بالعربية ضروري كي يساعدهم على تعميق فهم

الدين الإسلامي بقراءة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكتب الشريعة الإسلامية المدونة بالعربية .

هذا ويستفيد المسلم النيجيري من معرفة اللغة العربية في إقامة الصلوات الخمس وأدائه المناسك الأخرى التي تستخدم اللغة العربية فيها ، وبالإضافة إلى ذلك يمكنه أن يستعمل اللغة العربية كوسيلة للاتصال والتفاهم مع إخوانه المسلمين العرب وغير العرب إذا سنحت له فرصة أداء فريضة الحج ، وهذه أمنية كل مسلم . ولا أدل على ذلك من ازدياد عدد الحجاج النيجيريين كل عام .



★ معهد التعليم العربي (أوو) ★

٢ ـ الأغراض غير الدينية

أما الأغراض غير الدينية فيمكننا أن نتحدث عنها من ناحيتين مهمتين :

أ ـ جانب الاتصال الخارجي :

الأولى منها ناحية الاتصال الخارجي : فإن واقع الأمور في العالم الحاضر يجعله ضرورياً على كل دولة مستقلة أن تؤسس العلاقات الثنائية بينها وبين البلدان الأخرى لأسباب سياسية واقتصادية وثقافية وتكنولوجية ، وفي ضمن هذا النطاق تمارس نيجيريا العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية مع كل أنحاء العالم بما في ذلك البلدان العربية .

ويتطلب هذا وجود مواطنين نيجيريين يجيدون استخدام اللغة العربية كوسيلة للاتصال والتعبير شفهياً كان أم تحريرياً ، ليعملوا موظفين في السلك الدبلوماسي ويشتركوا في تبادل الأنشطة التجارية والثقافية مع العالم العربي .

ب ـ الجانب العلمي والثقافي :

ثانياً : الناحية العلمية والثقافية : نتيجة لدخول الإسلام واللغة العربية في شمالي نيجيريا منذ عهد بعيد كما أشرنا إليه في مطلع هذا البحث ، فقد تأثرت الحياة الاجتماعية والدينية في هذه المنطقة بالثقافة العربية الإسلامية إلى حد كبير واستعارت اللغات الرئيسية الثلاث المستعملة في هذه المنطقة وهي : **الكانورية (KANURI) والهوساوية (HAUSA) والفلانية (FULANI)** كلمات ومصطلحات عربية أصبحت اليوم جزء من هذه اللغات[٣] .

هذا وقد كان تاريخ سكان هذه المنطقة (مدنها) يدون باللغة العربية وباللغات المحلية المذكور أعلاه مستخدمة الحروف العربية ألى أوائل القرن العشرين ، وتوجد الآن في متاحف **جوس وكادون وإبادن** وفي مكتبة جامعة **أحمد بلو بزاريا** ومكتبة **جامعة إبادن** مجموعة كبيرة من المؤلفات والمخطوطات والوثائق العربية التي تحتاج إلى تحقيق وتحليل علمي ونشر للحصول على معرفة أدق بماضي حياة عدد كبير من سكان هذه البلاد ، ولا يستطيع أن يقوم بمثل هذه المهمة إلا المتضلع في اللغة العربية والثقافة الإسلامية .

المؤسسات التي تدرس فيها العربية في نيجيريا

تدرس اللغة العربية حالياً في نوعين من المؤسسات وهما المؤسسات الأهلية والمؤسسات الحكومية وشبه الحكومية .

١ ـ المؤسسات الأهلية :

أما المؤسسات الأهلية فهي عبارة عن كتاتيب ومعاهد أسسها أفراد من مسلمي البلاد . ويمكننا أن نقسم التعليم في هذه المعاهد إلى عدة مراحل ، منها مرحلة تعليم القرآن الكريم حيث يتعلم الصبيان المسلمون قراءة القرآن من غير حفظ أولا ثم يتعلمون حفظه بعد ذلك . والغالب أن الصبيان في هذه المرحلة لا يفهمون معاني آيات القرآن الكريم التي [illegible] . ويتم فهم المعاني في المعاهد الدينية وهي المرحلة الملحقة بالمرحلة الأولى المذكورة آنفاً . وفي هذه المعاهد يدرس الطالب بعض كتب اللغة والنحو والحساب والتفسير والحديث والصرف والبلاغة والتاريخ الإسلامي والعروض .

وبالنسبة إلى كتاتيب تعليم القرآن فهي منتشرة في أغلب مدن نيجيريا خصوصاً في الشمال والجنوب الغربي ، وتختلف من حيث موقعها وحجمها ومؤهلات أصحابها . وتعقد أكثرها في حجرة جلوس صاحبها ، وعدد تلاميذها يتراوح بين خمسة طلاب وثلاثين طالباً . وأبرز مؤهلات المعلم فيها هو أنه يستطيع أن يقرأ القرآن قراءة يعتقد هو أنها صحيحة وقد حفظ على الأقل حزباً أو أكثر من القرآن الكريم .

وطريقة التدريس في هذه المرحلة تعتمد على البدء بتعليم الحروف الهجائية نطقاً وكتابة وبعد ذلك يكتب المعلم سور القرآن على لوح التلميذ مبتدئاً بالفاتحة ، ثم السور القصار حتى يختم التلميذ القرآن كله قراءة دون فهم .

وبالنسبة للمعاهد الدينية فتختلف أحوالها أيضاً من حيث الموقع والمعلم . وبينما كانت هذه المعاهد في الماضي تشبه الكتاتيب موضعاً وحجماً ، فقد حدثت تغييرات وتحسينات في ظروفها وخاصة منذ أوائل خمسينات هذا القرن الميلادي بحيث إن الدروس في بعضها تلقى حالياً في مبان عصرية ذات فصول منظمة مع عدد كبير من التلاميذ .

٢ ـ المؤسسات الحكومية وشبه الحكومية :

ولنعد الآن إلى تعليم اللغة العربية في المؤسسات الحكومية وشبه الحكومية ، ولكن قبل أن نتناول الحديث عن هذه المؤسسات ، نود أن نذكر شيئاً يسيراً عن النظام التعليمي في نيجيريا وعن لغات التدريس فيها .

ينقسم هذا النظام إلى ثلاث مراحل وهي المرحلة الابتدائية والمرحلة الثانوية ومرحلة ما بعد الثانوية بما في ذلك الجامعات والمعاهد المهنية الفنية العليا .

أ : المرحلة الابتدائية ولغات التعليم فيها :

قبل الحديث عن المرحلة الابتدائية في نيجيريا يجب أن نذكر أنه **توجد لغات محلية كثيرة تعتبر كل منها لغة مستقلة لا يفهمها إلا المنتمون إلى القبيلة التي تتكلمها** ، مع أن ثلاثاً منها تعتبر رئيسية لكونها منطوقة لدى أغلبية السكان وهي **الهوسا واليوروبا** (YORUBA) **والإيبو** (IBO) ، وإلى جانب هذه الثلاث ، هناك بعض لغات محلية أخرى ذات حروف هجائية مكتوبة وآداب عريقة شفهية ومدونة . ولهذا يتم التعليم والتعلم في السنتين الأوليين بلغة التلاميذ الأصلية إذا كانت مكتوبة أو في لغة أغلبية سكان الولاية ذات شكل مكتوب .

ويجدر بالذكر أن نيجيريا مكونة حالياً من ١٩ ولاية وتعد حكومة كل ولاية هي المسؤولة عن تدبير التعليم في المرحلتين الابتدائية والثانوية ضمن إطار السياسة التعليمية المخططة من قبل الحكومة المركزية الفيدرالية . هذا ومن السنة الثالثة إلى السادسة تستخدم اللغة الإنكليزية جنباً إلى جنب مع اللغة الأم كوسيلة التعليم والتعلم بحيث أن التلميذ يستطيع أن يقرأ ويكتب في لغته الأم واللغة الإنكليزية عندما يكمل دراسته الابتدائية . أما المرحلتان الأخريان فلغة التدريس فيهما هي الإنكليزية .

ومما سبق ايضاحه نجد أن **التلميذ النيجيري في المدرسة الابتدائية يتعلم قراءة وكتابة لغتين هما لغته الأم والإنكليزية** وأولاهما جديدة من حيث رموزها الكتابية فقط ، أما الثانية فكل شيء فيها جديد بما في ذلك النظام الصوتي والأبنية النحوية والمفردات إلى جانب المهارات الأربع في استخدام هذه اللغة . وإذا كانت لغة التلميذ الأم غير مكتوبة (كما هي حالة اللغات المحلية القليل عدد متكلميها) فعليه أن يتعلم لغتين جديدتين تماماً كما أوضحناها آنفاً .

ومن أجل هذا لا تدرس اللغة العربية كمادة في المدارس الابتدائية ، ولكنها تدرس كجزء من مادة الدين الإسلامي . ولضيق الوقت المسموح لهذه المادة في المنهج المدرسي ، نجد أن أكثر معلمي التربية الإسلامية في مثل هذه المدارس يكتفون بتعليم العقائد والعبادات بلغة الدارسين دون اهتمامهم باللغة العربية التي قد لا يعرفها المعلم نفسه معرفة جيدة .

ب ـ تعليم اللغة العربية في المرحلة الثانوية وأسباب نفور التلاميذ منها :

وفي المدارس الثانوية يعتبر الدين الإسلامي واللغة العربية مادتين مستقلتين . وفي هذه المرحلة تتاح للتلاميذ فرصة اختيار واحدة من بين اللغة الفرنسية واللغة العربية كلغة أجنبية يدرسونها طوال دراستهم الثانوية . **وهنا نجد أن أكثر التلاميذ يختارون الفرنسية** لسببين : **أولهما** عدم وجود متخصص أو معلم للغة العربية في بعض المدارس ، **وثانياً** ، وفي حالة وجود معلم للغة العربية غالباً ما **يستعمل** طريقة القواعد والترجمة لتدريس اللغة **وسرعان ما ينسحب التلاميذ من دروسهم بعد فصل واحد من سنتهم الأولى وينضمون إلى دارسي الفرنسية حيث يستخدم المعلم في معظم الأحيان طريقة أكثر حيوية** مثل استعمال الحوار في التدريب السمعي الشفهي .

أما معلم اللغة العربية في المدارس الثانوية في نيجيريا فقد ترجع مشقته إلى شيئين رئيسين : **أولهما** : أنه في الغالب **ينقصه إلمام كاف باللغة العربية التي يكلف بتدريسها** ، وإذا كان من متخرجي إحدى الجامعات العربية أو المحلية **قد ينقصه إعداد مهني تربوي** يمكنه من معالجة المشاكل اللغوية والنفسية والاجتماعية التي تواجه تلاميذه . **وثاني الشيئين هو عدم توفر مواد تعليمية كالكتب الدراسية الملائمة لتدريس اللغة حسب مبادئ التربية السليمة .**

ج ـ اللغة العربية في مرحلة ما بعد الثانوية :

أما تعليم وتعلم اللغة العربية في مرحلة ما بعد الثانوية فيتمان فيما يلي وصفه :

١) **المعاهد المتوسطة لتدريب المعلمين المسماة** (Grade II Teachers' Colleges).

٢) **المعاهد العليا لتدريب المعلمين المسماة** (Advanced Teachers' Colleges).

٣) **الجامعات .**

هذا ويقبل النوعان الأولان من معاهد المعلمين طلابها من خريجي المدارس الثانوية وخريجي بعض المعاهد الدينية الأهلية . ومشاكل تعليم اللغة العربية في هذه المعاهد تشبهها في المرحلة الثانوية ، إذ إن الأساتذة في المعاهد هم أصحاب شهادات الدراسة العليا من الجامعات الأجنبية والمحلية وبعضهم من أساتذة عرب ، وكثيراً ما نجد نقصاً واضحاً في إعدادهم المهني فيدربون طلابهم على الطرق القديمة التي تعلموا هم بها . وإذا أضفنا إلى كل هذا ضعف المستوى اللغوي لدى الطلبة وخاصة من خريجي الثانوية وضيق النطاق الثقافي لدى خريجي المعاهد الدينية ، وجدنا أن **إعداد خريجي معاهد المعلمين لا يجهزهم تجهيزاً كافياً للقيام بتعليم اللغة العربية قياماً** صحيحاً موفقاً .

أما تعليم اللغة العربية في الجامعات النيجيرية فيمكننا أن نقسم المشاكل التي تواجهها إلى قسمين أولهما مادي والثاني بشري .

والمشكلة المادية تتمثل في **عدم توفر المواد التعليمية الملائمة لتعليم اللغة العربية كلغة أجنبية في الجامعات النيجيرية** . وهنا يجب أن نذكر أن متعلمي العربية في جامعات هذه البلاد ينقسمون إلى مستويين :

أولهما : يشمل الطلبة الذين لديهم كل المؤهلات العامة اللازمة لدخول الجامعة إلا أنهم لم يدرسوا اللغة العربية من قبل . ومثل هؤلاء يسجلون في فصل الدبلوم الإعدادي الذي تستغرق الدراسة للحصول عليه سنتين قبل انتقالهم إلى الدراسات الجامعية[٤] .

وثانيهما : أن المتعلمين والمدرسين في هذا المستوى يعانون من عدم وجود المواد المبرمجة التي قد تساعدهم على دراسة مكثفة للغة على خلاف ما يرونه في تعليم وتعلم اللغة الفرنسية عند زملائهم في نفس المستوى اللغوي ، حيث تستخدم مواد مبرمجة تستخدم بها الطريقة السمعية البصرية . وجدير بالذكر أن هذه المواد معدة من قبل الأخصائيين الفرنسيين بمعاونة المعلمين الإفريقيين المشتغلين بتعليم اللغة الفرنسية كلغة أجنبية .

وهناك شيء آخر ينقص متعلمي اللغة العربية ومعلميها، وهو عدم وجود دراسات علمية تتناول مقارنة النظام الصوتي والنحوي والدلالي في لغات الدارسين باللغة العربية ليتمكن المعلم من معرفة مواطن الاختلاف بين اللغتين، وهي التي تحتاج إلى التركيز من قبل المعلم لمعالجة مشاكل الدارسين. وفي هذا الصدد يمكننا أن نذكر أن اللغات المحلية في نيجيريا تختلف اختلافاً جوهرياً من حيث النظام الصوتي عن العربية لعدم وجود بعض الأصوات العربية فيها مثل (ح)، (ص)، (ع)، (ظ)، (ق)، وتختلف عن العربية أيضاً من حيث النظام النحوي والصرفي، فاللغة الهوساوية، مثلاً، رغم كثرة مفرداتها المستعارة من العربية، تقدم الصفة على الموصوف، بينما تطابق اللغة اليوروبا اللغة العربية في تقديم الموصوف على الصفة.

والمشكلة البشرية المشار إليها تتمثل في مؤهلات الأساتذة في أقسام اللغة العربية في الجامعات النيجيرية سواء أكانوا مواطنين نيجيريين أم عرباً.

هذا، ومن زار هذه الأقسام يجد فيها أساتذة خبراء متخصصين في كل فروع اللغة العربية وآدابها، وقد تخرج من بين أيديهم علماء اللغة العربية وآدابها لا يقل مستواهم عن مستوى غيرهم من خريجي جامعات البلدان العربية. **ومع هذا كله يلاحظ النقص في ناحيتين هما:**

١ ـ أنه لا يوجد تعاون مثمر بين هؤلاء المتخصصين في اللغة العربية وبين زملائهم في أقسام علم اللغة المعنية بدراسات اللغات المحلية، فلذلك نجد في بعض الأحيان أن أساتذة العربية مع علمهم العميق بخصائص العربية هم في واد وزملاؤهم علماء اللغات المحلية وحصيلتهم العلمية القيمة عن اللغات المحلية في واد آخر.

٢ ـ يقل عدد الأساتذة الذين يجمعون بين تخصصهم اللغوي والأدبي وبين الإعداد المهني التربوي، الجمع الذي يؤهلهم للتوظيف في كليات التربية لتدريب الطلبة على أحدث الطرق لتعليم اللغة العربية كلغة أجنبية، ولذلك نجد أن الطلبة الذين يختصون في تعليم اللغة العربية في هذه الكليات يتخرجون بدون إعداد مهني تربوي كاف للقيام بتدريس هذه اللغة في المدارس الثانوية تدريساً ناجحاً، ويؤدي هذا النقصان إلى المشكلة التي ذكرناها آنفاً في حديثنا عن المرحلة الثانوية.

هذا وإذا أضفنا هذا القصور المهني التربوي إلى عدم وجود المواد التعليمية الملائمة، استطعنا أن نتصور مدى تأثيرهما في الطرق التي يدرس بها طلبة فصل الدبلوم المشار إليهم آنفاً، ومستوى مهاراتهم اللغوية والاتصالية في نهاية دراستهم قبل الانتقال إلى الدروس الجامعية الحقيقية.

ومن المشاكل التي تواجهها الجامعات النيجيرية بصورة عامة، والتي لا بد من ذكرها هنا، هي ندرة العلماء المؤهلين للتوظيف كمحاضرين في بعض الأقسام بما في ذلك أقسام اللغة العربية.

هذا ويلاحظ أن كثيراً من متخرجي جامعات نيجيريا ـ لأسباب اجتماعية واقتصادية وثقافية لا يسعنا نطاق هذا البحث لمناقشتها ـ يفضلون التشغيل في المؤسسات الرسمية والتجارية على متابعة الدراسات العليا التي قد تهيئهم للتعيين في هيئة التدريس الجامعي، وهذه الحالة تؤدي إلى تحمل الأساتذة القلائل الموجودين في هذه الأقسام أعباء باهظة من ساعات التدريس.



★ مسكن الشيوخ ★

بعض المقترحات لحل المشكلات

لقد أسهبنا في الكلام عن مشكلات تعليم اللغة العربية عند المراحل المختلفة في النظام التعليمي النيجيري، رندلي فيما يلي ببعض ما نعتقد أنه قد يساهم في حل هذه المشكلات:

١ ـ ضرورة الدراسات التقابلية بين اللغات المحلية والعربية:

تحتاج مثل هذه الدراسات إلى التعاون بين الأخصائيين العرب العاملين في حقل تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها والمقيمين فعلاً داخل نيجيريا وبين اللغويين المتخصصين في دراسة اللغات المحلية في الجامعات النيجيرية.

وبما أن دراسات تحليلية للغات النيجيرية الرئيسية الهوساوية واليورباوية والايبوية وغيرها متوافرة حالياً في المركز لدراسات اللغات النيجيرية بجامعة أحمد بلو في زاريا، وجامعة **عبد الله بييرو في كانو**، وفي قسم علم اللغة ودراسات اللغات النيجيرية بجامعة **إبادن**، فكل ما يبقى للعلماء من الجانبين هو التعاون في الدراسات المقارنة للتعرف على أوجه الاختلاف والتشابه بين اللغة العربية وبين هذه اللغات المحلية. هذا وسيفيد تعليم العربية كلغة أجنبية في نيجيريا من مثل هذه الدراسات المقارنة من ناحيتين:

أولاهما أنها ستساعد مدرسي اللغة العربية على إدراك المشتقات اللغوية التي تواجه تلاميذهم وكيفية معالجتها، وثانيهما أنها ستساعد الذين يريدون تحضير المواد التعليمية لتدريس اللغة العربية للناطقين بلغة ما على معرفة النقط اللغوية التي تستحق التركيز عليها في تأليفاتهم.

٢ ـ إعداد المواد التعليمية الملائمة لتعليم اللغة العربية للنيجيريين:

وكما أشرنا من قبل، **ليس هناك في نيجيريا الآن كتب مدرسية جيدة لتعليم اللغة العربية للمبتدئين إلا قليل** نذكر منه كتاب الأستاذ **سليم حكيم** والحاج **حسيني أدمو** بعنوان «**العربية الجديدة في نيجيريا**» (**إبادن لونغمان ١٩٧٣ م**)، وكتيبان للحاج **نجم الدين أريبتي بينوبو** تحت عنوان: «**الطريقة العصرية للقراءة العربية**» الجزءان ١، ٢ (**مخازن إنيشى، لاغوس ـ** غير مؤرخ)، **ونتيجة لهذا، نجد**

كل المعاهد والمدارس والأقسام الجامعية حيث تدرس العربية مملوءة بكتب مستوردة من البلدان العربية أكثرها – إن لم يكن كلها – مؤلفة لتعليم العربية لأبناء العرب.

وبما أن هذه الكتب لا تراعي بيئة الدارسين النيجيريين وظروفهم ولا مستوياتهم وحاجياتهم اللغوية فهي قاصرة على أداء المهمة الموكولة إليها. وبدلا من إرسال الكتب المدرسية المقررة للتعليم في البلدان العربية كما تقوم به بعض الهيئات الحكومية العربية من حين إلى حين، يكون أنفع إذا ساعدت هذه الهيئات في تشجيع تأليف الكتب المدرسية والمواد التعليمية المتدرجة والمبنية على أسس تربوية حديثة وذلك بالتعاون بين المتخصصين النيجيريين وبين العلماء العرب.

والجدير بالذكر أن بعض المعلمين النيجيريين قد حاولوا القيام بمثل هذه العملية أثناء السنوات القليلة الأخيرة إلا أنهم لم يجدوا تشجيعاً من المؤسسات والمطابع ودور النشر النيجيرية التي لا تتحمس إلا لنشر كتب وتأليفات لا تشك في رواجها ولا في إمكانية اكتساب أرباح كثيرة من تسويقها. **ولذلك ستكون خدمة مشكورة إذا وجد هؤلاء المؤلفون النيجيريون مساعدة من قبل المنظمات العربية الإسلامية لطبع ونشر مؤلفاتهم المتعلقة بتعليم اللغة العربية في البيئة النيجيرية.**

وفي هذا الصدد نود أن نشير إلى وجود اتحاد المعلمين النيجيريين لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية وقد جعل هذا الاتحاد تزويد وتوفير الكتب المدرسية الملائمة كأحد أهدافه الرئيسية.

٣ – تحسين مستوى معلمي اللغة العربية:

كما تحدثنا آنفاً، **يحتاج معلمو العربية في كل مستويات النظام التعليمي إلى تحسين إعدادهم المهني والتربوي واللغوي** ليتمكنوا من معالجة المشاكل التي تواجه طلابهم. هذا وبإمكان المنظمات والحكومات العربية أن تعين نيجيريا في هذا الميدان بإعطاء الفرص للمعلمين والأساتذة النيجيريين لحضور البرامج والدورات «والكورسات» التي تهدف إلى إلمامهم بأحدث طرق تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وقد تعقد هذه «الكورسات» في داخل نيجيريا بالتعاون مع وزارات التعليم الفيدرالية والإقليمية أو في البلدان العربية مثل «كورسات» الدبلوم في معهد اللغة العربية بجامعة الرياض ومثيلتها في جامعة الخرطوم، ولا شك في أن هذا سيؤدي إلى تحسين طرق تدريس العربية في كل مراحل النظام التعليمي في البلاد وبالتالي إلى رفع مستوى دارسيها. وبإمكانه أيضاً أن يمكن الأساتذة والمعلمين من تصميم المواد التعليمية المناسبة لتلاميذهم.

وقد جرت العادة فيما مضي أن **تبعث الحكومات العربية (وخاصة من العراق والمملكة العربية السعودية) معلمي اللغة العربية من أهل اللغة إلى بعض المعاهد الأهلية** مساعدة لجهود هذه المعاهد في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية. **ومع الأسف أن أكثر المبعوثين، رغم إلمامهم العميق باللغة العربية، يفتقرون إلى إعداد مهني ولغوي**، ويؤدي هذا إلى معاملتهم للدارسين النيجيريين معاملة أبناء العرب من حيث طرائقهم وأساليبهم في التدريس. وبما أنهم لا يعرفون شيئاً عن خصائص لغات تلاميذهم ولا تتوفر عندهم الخبرة اللغوية التي قد تمكنهم من علاج مشاكل تلاميذهم اللغوية.. نجد أن مساهمتهم في رفع مستوى اللغة العربية في هذه المعاهد ليست على ما يرام. فنرى أن الفوائد العظمى قد تأتي من إرسال مبعوثين يتوفر لديهم كل ما يؤهلهم لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها إلى جانب إلمامهم بثقافة وتاريخ البلاد حيث سيقومون فيها بوظيفة التدريس.

٤ – إجراء التعديلات في مناهج الدراسة في المعاهد الأهلية:

هذا وهناك شيء آخر نود أن نلفت إليه نظر السلطات العربية التي تزود المعاهد العربية الأهلية بالأموال والأساتذة، وهو أن هذه المعاهد، رغم جهودها المشكورة في نشر العربية والثقافة الإسلامية في البلاد، لا تزال في حاجة إلى توسيع مناهجها لدراسة العلوم العربية والإسلامية بإدخال المواد العصرية المفيدة كالتاريخ الحديث والحساب واللغة الإنكليزية حتى ولو كان هدف متخرجيها يقتصر على نشر الدين الإسلامي.

فلا شك في أنه لكي يكتب النجاح لنشر الدعوة الإسلامية في عالمنا الحاضر، **يجب أن يكون الداعية واعياً قادراً على تحليل ما يجري حوله من الأحداث المحلية وأخبار العالم الخارجي**، وإذا كان الداعية لا يجيد لغة أخرى غير العربية بينما لا تصدر الجرائد النيجيرية الرئيسية إلا باللغة الإنكليزية أترى كيف يعرف هذا الداعية عن الأخبار والأحداث العالمية الواقعة بعيداً عنه؟

نجد أن بعض أصحاب هذه المعاهد يرون في إدخال مثل هذه المواد إفساداً للدين. هذا وقد فشل بعض المثقفين المسلمين، وخاصة في منطقة اليوروبا، في محاولة إقناع أصحاب هذه المعاهد بضرورة إجراء هذه التعديلات، وربما يتفق أصحاب هذه المعاهد بإجراء التحسينات اللازمة إذا اشترط عليهم ذلك من قبل الحكومات العربية التي تدعمهم مادياً ومعنوياً.

خاتمة

بدأنا هذا البحث بذكر الهدفين الرئيسيين لتعليم وتعلم اللغة العربية في نيجيريا، وهما الأغراض الدينية والأغراض غير الدينية، وقد اتضح أثناء حديثنا عن طرق تدريس اللغة العربية في المستويات والأوساط المختلفة داخل البلاد أنه لا يمكن للكثرة الغالبة من متعلمي اللغة في البلاد أن يفوا بمتطلبات هذه الأغراض **نتيجة لقصور الطرائق والمواد اللتين يتعلمون بها اللغة**. هذا ونود أن نختم البحث بمراجعة هذه الأغراض وكيف يستطيع المتعلمون أن يبلغوا أهدافهم بتطبيق المقترحات السابقة.

الأغراض الدينية: نجد في الواقع أن معظم مسلمي نيجيريا يفون بجزء من هذه الأغراض من حيث أنهم يؤدون الصلوات الخمس «بشكل» اللغة العربية إذا جازت هذه العبارة، ومعناها أنهم **يتلون آيات القرآن التي قد حفظوها عن ظهر قلوبهم دون فهم معانيها فهماً تفصيلياً** وبالرغم من أنه يوجد عدد منهم لا بأس به يقدر على قراءة القرآن الكريم فإن **قراءتهم هذه ما هي إلا تمييز للأصوات العربية، دون فهم التراكيب الصرفية والدلالية** وبالتالي لا يمكنهم فهم الدين الإسلامي من قراءة القرآن الكريم والمراجع الإسلامية المكتوبة باللغة العربية ولا يستطيعون استعمال اللغة العربية كوسيلة الاتصال أثناء سفرهم لأداء شعائر الحج والعمرة.

أما إذا ألفت ونشرت وتوفرت كتب مبسطة مصورة متدرجة تعالج فيها مواقف حقيقية في المملكة العربية السعودية وتجمع نصوصها بين المفاهيم الثقافية في اللغة العربية وبينها في اللغات المحلية (وقد تستعمل اللغات المحلية في شرح بعض تعبيراتها) فإنها ستؤدي إلى إقبال عدد أكبر من المسلمين البالغين على تعلم اللغة العربية وفي هذا فوائد للغة العربية وللدين الإسلامي في البلاد.

الأغراض المدنية: وذكرنا من ضمن هذه الأغراض استخدام اللغة العربية كوسيلة لإجراء البحوث العلمية في الوثائق التاريخية والثقافية والدينية المتوفرة في مكتبات البلاد. ولا شك في أن العلماء النيجيريين بالرغم من قلة عددهم يبذلون جهوداً ملحوظة في هذا الميدان ومنهم، على سبيل المثال لا الحصر، نذكر الحاج **آدم عبد الله الإلوري مدير معهد التعليم العربي والإسلامي بأقيتي، نيجيريا**، من علماء الدين **والدكتور علي أبو بكر**، صاحب كتاب «**الثقافة العربية في نيجيريا**» المشار إليه آنفاً من أساتذة الجامعات. ويصاحب هذا الجانب استعمال اللغة العربية كوسيلة للتعبير، إذ إن نتائج البحوث العلمية تنشر في المجلات العلمية باللغة العربية مثل «**مجلة الدراسات العربية» التابعة لجامعة بيرو بكانو و «مجلة البحوث» التابعة لمعهد الدراسات الإفريقية بجامعة إبادن** والتي تستعمل فيها العربية والإنكليزية.

أما استخدام اللغة العربية كوسيلة اتصال بأهل اللغة في المعاملات المباشرة الفورية أو في مواقف غير مباشرة كفهم المسموع من الإذاعة العربية مثلاً.. فلا يبلغ هذه الدرجة عدد كبير من متعلمي اللغة العربية في نيجيريا. **ويعزى هذا العجز إلى الطريقة التقليدية التي يدرسون بها والتي ترتكز على الترجمة والقواعد وتقدم القراءة والكتابة على الفهم والكلام**. وبغض النظر عن إجادة أكثرهم في القراءة نجد أن **نطقهم ببعض الأصوات العربية غير سليم**. ويمكن التغلب على هذه المشكلات بإنجاز المواد التعليمية المبرمجة المتدرجة المتكاملة التي تعطي كل عناصر اللغة كالأصوات والتراكيب والدلالة حقها والتي يقوم باستخدامها معلمون مدربون مؤهلون مهنياً لغوياً وثقافياً.

وبالإضافة إلى هذه المواد **يمكن للمنظمات والحكومات العربية الإسلامية أن تزود هؤلاء المعلمين والمتعلمين بمواد تعزيزية تدعيمية مثل الأفلام المتحركة** التي تحتوي على مختارات من نشرات الأخبار المصورة التليفزيونية من البلدان العربية أو التمثيليات والمحاضرات والندوات في اللقاءات الحقيقية، وأشرطة يسجل فيها كلام أهل اللغة في مواقف حقيقية مختلفة وبتنغيم وسرعة طبيعية، مثل الحوارات المتدرجة المتنوعة في طولها وسهولتها وصعوبتها والنشرات الإخبارية واللقاءات المختارة من البرامج الإذاعية العربية التي تصلح لتدريب الطلبة الأجانب كالنيجيريين على فهم المسموع.

هذا ونود أن نذكر هنا أن نجاح كثيرين من متعلمي اللغة الفرنسية في نيجيريا في استعمالهم الفرنسية استعمالا وظيفياً يرجع إلى مثل هذه التدعيمات التي تقدمها المنظمة المسماة ALLIANCE FRANCAIS والتي قيل أنها تابعة للحكومة الفرنسية.

وأخيراً نود أن نقرر أنه رغم كون **اللغة العربية لغة عالمية تستخدم كوسيلة للتفاهم والتخاطب والاتصال في المنظمات الإقليمية والدولية**، هناك في نيجيريا بعض العلماء الذين لا يرون (أو هل هم يتغافلون؟) أن العربية تصلح للاستعمال في أي نطاق إلا في النطاق الديني ولرواج مثل هذا الرأي المخطئ نجد أنه **حتى في المدارس الثانوية حيث تتاح لكل تلميذ مهما كانت ديانته حرية الاختيار بين العربية والفرنسية يحجم بعضهم عن اختيار العربية لأنهم يظنون أن تعلمها لا يفيدهم إلا في الميدان الديني.**

ولا شك في أنهم لو عرفوا مكانة اللغة العربية في العالم، ولو أدركوا أنها تدرس حتى في أوروبا وفي الأمريكتين، وأنها تستخدم في تدريس كل المواضيع العصرية كالطب والعلوم الطبيعية، لأقبل على تعلمها عدد أكبر منهم سواء أكانوا من أبناء المسلمين أم غيرهم. وإذا كف هؤلاء العلماء عن هذا الموقف السلبي لتحسن موقف التلاميذ الثانويين وبعض الجامعيين من اللغة العربية وقويت دوافعهم إلى تعلمها، خاصة بعد أن تتحسن موادها التعليمية وطرق تدريسها.

المراجع العامة

١ ـ I. A. Ogunbiyi, (The Teaching of Arabic Language in Nigeria! Present State and Problems), al-ʿIlm, Vol. v, No. 1, Dec., 1974, pp. 31-37.

٢ ـ I. A. Ogunbiyi, (The Earliest Growth of Islam in Iwo Town, Western State of Nigeria), al-ʿIlm, Vol. v, No. 2, April, 1975.

٣ ـ **آدم عبد الله الإلوري: الإسلام في نيجيريا** (لا يذكر ناشره) الطبعة الثانية، ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م).

٤ ـ **الدكتور علي أبو بكر: الثقافة العربية في نيجيريا** من ١٧٥٠ إلى ١٩٦٠ م، عام الاستقلال، **بيروت** ١٩٧٢ م.

٥ ـ **الدكتور علي محمد القاسمي: اتجاهات حديثة في تعليم العربية للناطقين باللغات الأخرى**، عمادة شؤون المكتبات ـ **جامعة الرياض** ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م).

الهوامش

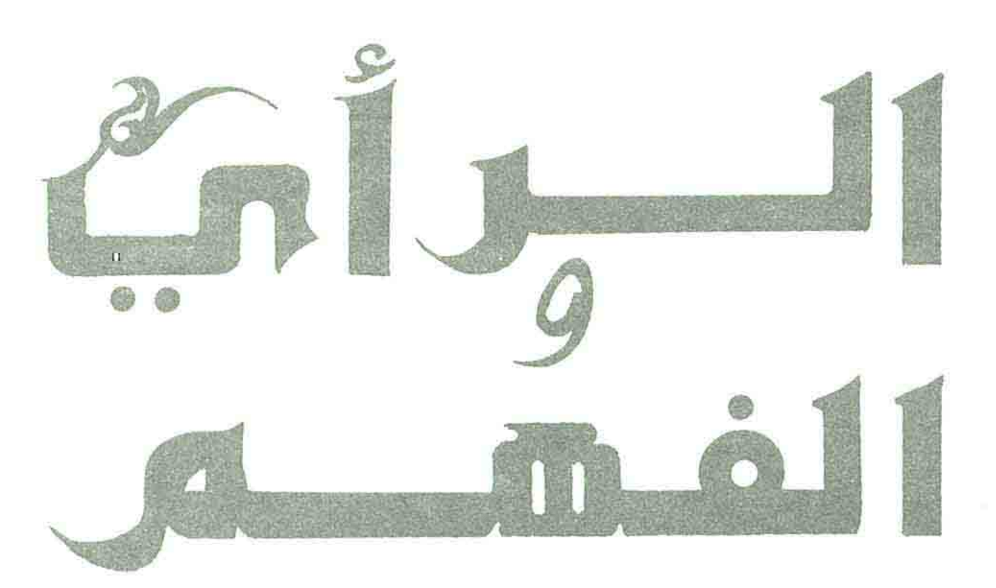
١ ـ انظر: **الدكتور علي أبو بكر**، الثقافة العربية في **نيجيريا**، من ١٧٥٠ إلى ١٩٦٠ م، عام الاستقلال، **بيروت ١٩٧٢** م، ص ١٣ ـ ٦٣ لتاريخ هذه الممالك والدور الذي لعبته في انتشار الإسلام في إفريقيا الغربية.

٢ ـ لتاريخ هذه الأنشطة التي أدت إلى إنشاء دولة إسلامية اشتملت على هذه المنطقة، انظر: **محمد بلو، انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**، تحقيق وتقديم **علي عبد العظيم، دار مطابع الشعب، القاهرة**، ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م).

٣ ـ راجع كتاب **الدكتور أبو بكر** المذكور آنفاً، الصفحات ٣٧١ ـ ٤٦٩.

٤ ـ هذا هو النظام في جامعة **إبادن** ويختلف النظام من جامعة إلى أخرى اختلافاً بسيطاً، إذ إن بعض الجامعات لا تقبل مثل هؤلاء الطلاب في قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية.





تأليف :

هانس هورمان

عرض وتحليل

د . مصطفى ماهر

صدرت الطبعة الأولى من كتاب هانس هورمان « **الرأي والفهم** » في عام ١٩٧٨ م ، في ألمانيا الغربية ، واهتم به علماء اللغة خاصة ، منذ ذلك الحين اهتماماً متزايداً ، لأسباب متعددة ، من بينها أنه دق ناقوس الخطر الذي يكمن في تركيز البحوث اللغوية على الظواهر اللغوية في حد ذاتها ، بدلا من الحرص على الرجوع في كل مرحلة من مراحل البحث العلمي اللغوي إلى **الفلسفة** حيناً **وعلم النفس** أحياناً . ولهذا يحمل غلاف الكتاب عنواناً ثانياً هو « **أساسيات علم للدلالات يرتكز على علم النفس** » .

الكاتب

والأستاذ **هانس هورمان** من مواليد عام ١٩٢٤ م ، درس في **جامعتي تيبنجن وجوتنجن** على أئمة الفلسفة وعلم النفس ، حتى أتم تكوينه العلمي ، وأهّل نفسه للأستاذية ، فعمل من عام ١٩٦٠ م ، إلى عام ١٩٦٩ م ، أستاذاً لعلم النفس في جامعة برلين الحرة ، ثم انتقل إلى **جامعة بوخوم** ، ولا يزال بها أستاذاً لعلم النفس بها حتى الآن . والمعروف أن جامعة بوخوم بها مركز للبحوث العلمية السيكولوجية اللغوية المتقدمة يحمل اسم « **علم النفس اللغوي وتحليل البيانات** » ، نشط فيه الأستاذ **هورمان** نشاطاً ملحوظاً استمر ست سنوات قبل أن يفرغ لكتابه هذا . وما كان سيفرغ للكتاب لو لم يمنحه **المعهد الهولندي للدراسات المتقدمة** منحة تفرغ لمدة عام ، أتاحت له ما يلزم لمثل هذه المهام الكبيرة من الانقطاع والاستجمام والتركيز .

وقد نشر **هورمان** العديد من البحوث نذكر منها :

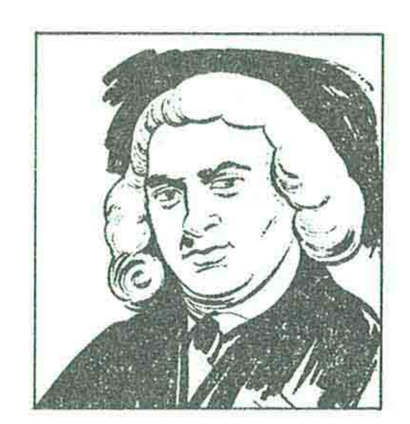
- شروط الحفظ والنسيان والتذكر .
- علم النفس اللغوي .
- العوامل الدلالية في النفي .
- الشذوذ الدلالي والكناية والنكتة .
- علم اللغة السيكولوجي .
- دور المسند في إدراك الجملة .
- العوامل الموقفية في المعنى .

وجدير بالذكر أن كتاب **علم النفس اللغوي** الذي صدر أصله الألماني في عام ١٩٦٧ م ، قد ترجم إلى العديد من اللغات منها الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والإيطالية واليابانية .

الكتاب

« **الرأي والفهم** » كتاب يقع في (٥٥٣) صفحة تنقسم إلى مقدمة و (١٥) فصلاً وختام . نقرأ العناوين التالية :

- مشكلة العلامات هي علامة على المشكلة .
- بدايات علم اللغة النفساني .
- المقدرة والتنفيذ .
- النحو : بناء الجملة وقريب منه (علم الدلالات) .



★ د. صموئيل جونسون ★

- المعجم وأبعاده .
- التحليل الوظيفي للأبعاد الدلالية .
- مفهوم ثبات المعنى .
- علم الدلالات المولّدة .
- فلسفة اللغة من حيث هي صديق ومعين .
- علم النفس اللغوي الروسي .
- الموقف اللاكلامي الذي تَحْدُثُ فيه اللغة .
- بدايات اللغة .
- التمركز الأنوي للمجال التعبيري .
- ماذا يحدث في الجملة ؟ .
- مستويات وموجهات الفهم .

يرى **هورمان أن البحوث اللغوية الكثيرة ، بل الهائلة ، التي أجريت في السنوات الماضية تمخضت عن التعقيد بدلا من أن تحقق التبسيط ، وزادت من الغموض وكان المفروض أن تحقق شيئاً من الوضوح** ، وهي قد استحدثت نماذج ونظريات لغوية ، منها ما لا طائل وراءه ، ومنها ما يثير الضحك ، فقد بعدت عن الواقع بعداً مسرفاً . هذا الواقع هو بكل بساطة حقيقة اللغة من حيث هي لغة يستخدمها الناس في حياتهم . ويتلخص هذا التحديد الوظيفي للغة في عمليتين سيكولوجيتين في المقام الأول ، عملية الرأي أو النية أو الخروج بمقصود ، وعملية الفهم . والإنسان عندما يرى رأياً ثم يصوغه بكلام أو عندما يسمع كلاماً ويُعْمِلُ فيه فهمه ، فإنه يقوم بعمليتين سيكولوجيتين يقع على علم النفس عبء توضيحهما .

ومن المسلم به أن علم النفس لن يقوم بهذه المهمة إلا مشتركاً مع

فلسفة اللغة ومع علوم اللغة . يرى **هورمان** أن توضيح هاتين العمليتين يمثل نقطة الانطلاق السليمة للبحوث اللغوية . وإذا كان أصحاب **النحو التوليدي** قد تعجلوا وظنوا أن اللغة التي قاموا بوصفها هي اللغة الحقيقية ، فإنهم قد استبدت بهم الحيرة حيال وظائف اللغة فلم يجدوا سبيلاً لوضع هذه الوظائف في قلب النموذج الذي دعوا إليه .

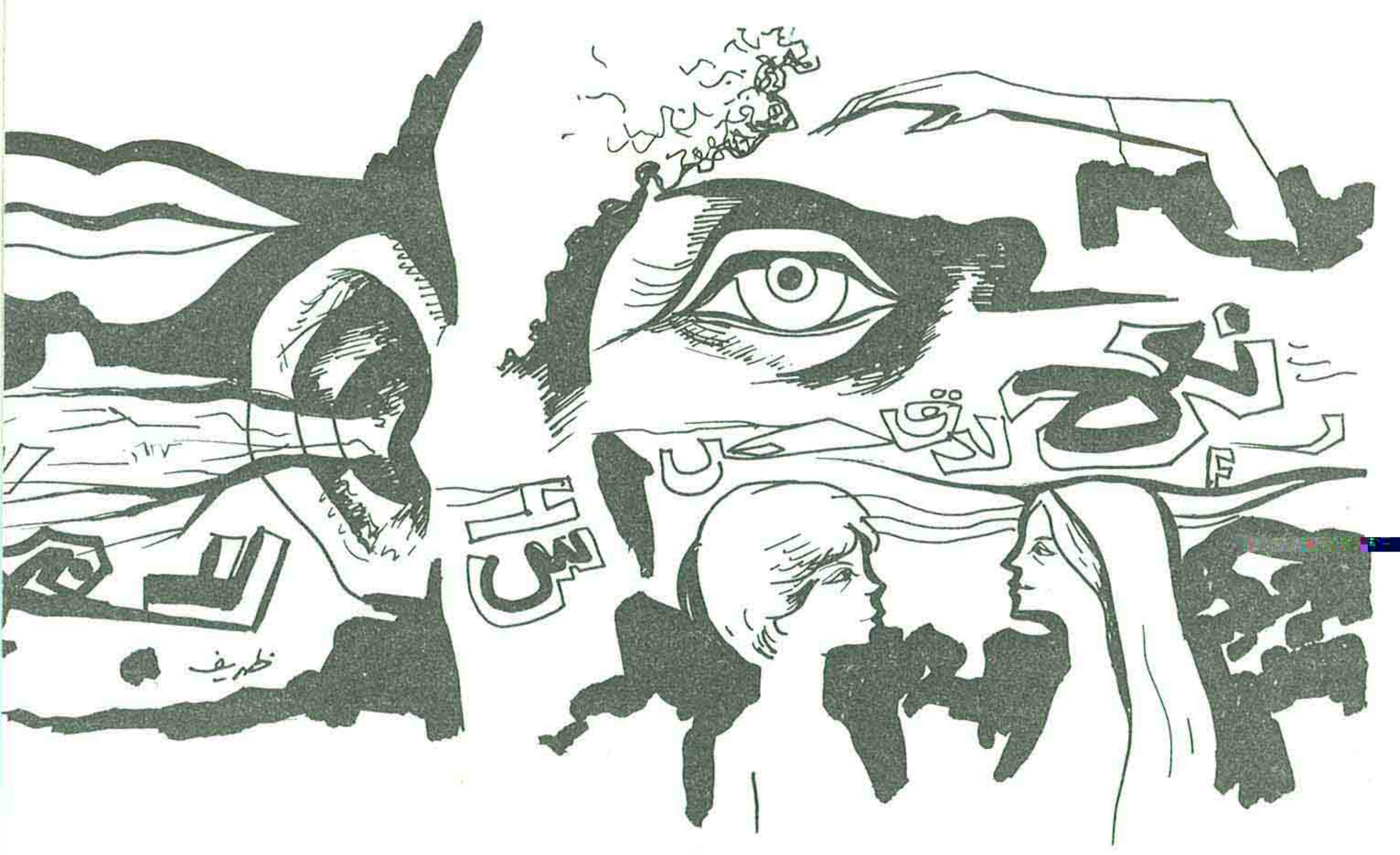
وإذا لم يكن **دي سوسير** de Saussure **ومارتينيه** Martinet ومن تبعهما ، قد رأوا أهمية التساؤل عما هي اللغة ، فإن **هورمان** يكمل النقص ، ويضع السؤال في موضعه : « **ماذا نعني بالضبط عندما نقول إن هذا الكائن العضوي ، الإنسان ، يتكلم ؟ متى يبدأ الكلام بالضبط ؟** » .

ويذهب بعد ذلك إلى أن الإجابة ينبغي أن تتم على ثلاثة مستويات ، لا تنفصل بقدر ما تتصل ، وهذه المستويات هي : **مستوى البحث في نشأة اللغة لدى النوع البشري ، مستوى البحث في نشأة اللغة لدى الكائن الفرد ، مستوى البحث في نشأة اللغة في موقف حاضر** .

ويذكر **هورمان** أن الجمع بين هذه المستويات الثلاثة قد راود بعض الباحثين السابقين مثل **أوسجود** Osgood ، صاحب كتاب استكشاف في فضاء الدلالات ، وصاحب البحث المعنون « **من أين تأتي الجمل ؟** » الذي صدر في عام ١٩٧١ م ، في **كمبردج** ، والذي جاء به « أن الفلاسفة وعلماء اللغويات لم يهتموا إلا قليلاً بالسلوك البشري في مرحلة ما قبل اللغة باتجاهاتها الثلاثة : ما قبل اللغة في مسار تطور النوع البشري ، ما قبل اللغة في تطور الفرد ، ما قبل اللغة حالياً أي قبل أن ينشئ المتكلمون العاديون جملاً بعينها » . وقد يظن البعض أن تطور اللغة في حالة الإنسان الفرد يطابق تطورها في حالة الجنس البشري ، أو أن اللغة تولد في المواقف الحاضرة على نحو يشبه تولدها في أثناء تعلم الطفل للكلام . ولكن البحوث البيولوجية تدعو إلى عدم التسرع في مثل هذه الأحكام .

أيا كان الأمر فإن الشيء الهام الذي لا ينبغي أن يفوتنا هو ما قاله **فيتجنشتاين** Wittgenstein وما أكده علماء النفس من أن عملية الكلام ، أو عملية التعبير اللفظي التي يقوم بها المتكلم ، لا تبدأ عندما يفتح المتكلم فمه ، تبدأ قبلها . ومن هنا فعلينا أن نتتبع ما يجري في الإنسان في الفترة بين الصمت أو بين ما يمكن أن نسميه الفترة السابقة على الكلام والتعبير بالكلام . ويشمل البحث في هذا المجال أنواع السلوك التي تدخل في صميم التعبير عن أمور بعينها ، بل والملابسات المكانية والزمانية وغيرها . والإنسان يحرك منطقة الرأس والكتف في إطار التعبير عن حركات لها معانيها المرتبطة بثقافة البلد الذي يعيش فيه . كذلك يختار الإنسان مكانه في حجرة ما إلى مائدة ما على نحو يطابق المعنى المقصود التعبير عنه .

وقد تبين أن الأمريكيين ، مثلاً ، إذا دعي منهما اثنان للجلوس إلى مائدة مستطيلة فإنهما يجلسان متجاورين عند ركن المائدة إذا كان الحديث الذي سيجري بينهما حديثاً ودياً ، فإذا كان الحديث الذي سيجري بينهما يتناول أموراً من قبيل الخصوصيات فإنهما يجلسان متجاورين إلى الضلع الطويل للمائدة ، أما إذا كانا سيتحدثان في موضوع من شأن التنافس والمعارضة فإنهما يجلسان متواجهين كل إلى ضلع من الضلعين الطويلين . ــ وهذا فإن الوضع الذي يأخذه الإنسان « **مكانياً** » يعتبر تعبيراً بغير كلام ، أو عملية إيصال غير لغوي .



ومن الطريف أن بعض الباحثين قاموا بقياس المسافة بين المتكلم والمستمع ، ووجدوا أن هذه المسافة تطول وتقصر بحسب الموضوع ، ومعنى هذا أن تحديد المسافة جزء من العملية الإيصالية ، من عملية التعبير ، لا يستخدم فيه كلام . وقد توصل باحث أميريكي إلى أن المسافة من ٦ إلى ١٨ بوصة بين اثنين يتحدثان هي المسافة المناسبة للحديث في الخصوصيات ، أما إذا كان موضوع الحديث مسائل خاصة عادية فإن المسافة تطول إلى ما بين ٣٠ و ٤٨ بوصة ، وتتراوح المسافة بين ٧ و ١٢ قدماً إذا كان الحديث دائراً حول موضوعات اجتماعية .

وإذا كان بعض الباحثين يطلقون على هذه العناصر غير الكلامية اسم الضوابط ، فينبغي أن نسأل عن مدى دخول هذه الضوابط في صميم العملية الإيصالية ، وهل من بينها ما يدخل في **عقد الكود** وحله ، وهل هناك تضافر بين العناصر الكلامية وغير الكلامية . **والمقصود بعقد الكود وحله ، أن علماء اللغة يشبهون المتكلم بالمرسل (الآلي) ، ويشبهون المستمع بالمستقبل ، ويشبهون التفاهم بينهما بعملية إيصالية دعامتها شيء يشبه الشفرة يسمى الكود** ، فالمتكلم يعقد هذا الكود ، والمستمع يحل الكود . ومن هنا كان التساؤل عن مكونات الكود شيئاً منطقياً ، فليس من المقبول أن يكون الكود مكوناً من مجرد علامات لغوية كلامية فقط ، بينما تلعب الوسائل غير الكلامية في العملية الإيصالية دورها الهام الذي لا شأن لعلوم اللغة الكلامية به .

ويتحدث هورمان عن العناصر الزمنية غير الكلامية التي تدخل في اللغة . ومنها النظر بالعين نظرات منوعة يفهم منها المستمع أن المتكلم يوشك على الابتداء في الكلام أو يقترب من نهاية الحديث ، (وهناك نظرات تعبِّر عن صعوبة الكلام ، أو تزيد من قوة الاقناع ، إلى آخر ذلك) . وقد تبين بعض الباحثين حركات جسمية أخرى لها دلالة زمنية ، تظهر مثلاً في الأطفال عندما يريدون إظهار أنهم يريدون الكلام أو أنهم انتهوا من قول ما كانوا يريدون قوله .

ومن العناصر غير الكلامية التي تعبِّر عن الزمن **« فترات السكوت »** في أثناء الكلام ، ومن المعروف أن السكوت في أثناء الكلام يحتل فترة زمنية تتراوح بين ٤٠ و ٥٠٪ . فليس من الصواب أن نهمل الدور اللغوي ، أي الدور الإيصالي ، للسكون لا لشيء إلا لأن اللغة المكتوبة لا تدخله في الكود .

وينتقل هورمان إلى الناحية السيكولوجية في بداية اللغة عند الإنسان **(بل وعند حيوان الشمبانزي أيضاً)** فيبين أهمية ما لاحظه **بياجيه** Piaget منذ وقت طويل من أن الطفل بين ٦ و ١٨ شهراً يمر بمرحلة من التطور المعرفي يسميها **المرحلة الحسية الحركية** . تتميز هذه المرحلة بالربط بين الأفعال الحسية والأفعال الحركية ، ويرى **بياجيه** أن هذا الربط يتم على النحو التالي : الحدث الخارجي يدخل إلى عقل الطفل على



هيئة إضافة تأخذ طريقها إلى بنية داخلية تخطيطية تقوم بتعديل هذه الإضافة تعديلاً يسمح بإساغتها أي بضمها . ويخرج من البنية الداخلية التخطيطية ناتج يقوم بدوره بالتأثير على الحدث الخارجي . وهذا التأثير على الحدث الخارجي يتخذ صورة التطويع . ومعنى هذا أن الطفل يتعرف إلى الأشياء عن طريق الممارسة ، عن طريق الربط بين الشيء والفعل ، الربط بين الإدراك والعمل ، مما يؤدي إلى تحول أعمال الطفل تدريجياً إلى أعمال متكيفة ، وهو ما يعتبر علامة على الذكاء وما يعتبر بمثابة المعرفة الأولى .

والإنسان لديه القدرة على تثبيت الأشياء العابرة ، ويستخدم لذلك الأصوات اللغوية . وهنا يصح أن نتساءل عن نوعية الإضافة التي تدخل على البنية الداخلية التخطيطية هل هي إضافة ذات طابع لغوي أو إضافة ذات طابع معنوي ؟

والرأي عند هورمان أن **تشومسكي** Chomsky وتلاميذه يخطئون عندما يظنون أن هذه الإضافة ذات طابع لغوي بمعنى أن الطفل يدرك الأسماء على أنها أسماء ، ويستصوب رأي العلماء القائلين بأن الإضافات التي تدخل إلى عقل الطفل هي من نوع المدركات .

والطفل قبل أن يتعلم اللغة يتعلم كيف يفهم أولا ، وعندما يتمكن الطفل بدرجة كافية من استيعاب مقاصد الآخرين فإنه يبدأ في استخدام هذه المقاصد كمفاتيح تمكنه من استيعاب الكود اللغوي .

ويرى علماء النفس المختصون في دراسة بدايات اللغة أن الطفل يبدأ الكلام مستخدماً وحدة منطوقة عبارة عن أداة صوتية تؤدي إلى أفعال . ويغلب على هذه الوحدة الصوتية الأولى صفة الأمر ، فالطفل يصيح فيمن يكلمه آمراً إياه أن يأتي . ويقدم **ج . هوب** Höpp تفصيلات مفيدة عن التطور اللغوي عند الطفل مبيناً أن الانتقال من مرحلة الوحدة الصوتية الواحدة إلى الوحدة الصوتية الثنائية يعتمد على عنصرين : **العنصر الأول** هو الحافز الحسي ، **والعنصر الثاني** هو حركة الإنسان على نحو يتصل بالشيء ، ويؤكد هوب أن العنصر الأول وهو الحافز الحسي يمكن أن يكون موجوداً في حد ذاته دون أن تتبعه حركة يقوم بها الإنسان . فمن الممكن أن يصدر عن الشيء تأثير حسي من شأنه أن يحفز الإنسان إلى حركة ، ولكن الإنسان لا يأتي بالحركة مكتفياً بما يتلقاه من تأثير حسي ، أو على الأصح تاركاً لشخص آخر تعنيه هذه الحركة مهمة الاستجابة لها .

والنتيجة التي يخلص إليها هورمان من هذه البحوث السيكولوجية ــ وهي تقترب من رأي **بلومفيلد** Bloomfield في تقسيم الأعمال إلى عملية ولغوية ــ تتلخص في إبراز أهمية العناصر غير الكلامية ، أو على الأصح ، العناصر قبلكلامية ، في عملية الإيصال بين متكلم ومستمع . وإذا كان **بياجيه** قد وقف عند حد التقسيم إلى « شيء أو موضوع »

و « أنا » ، فإن هورمان يضيف نتائج البحوث الحديثة التي أظهرت أهمية « الشيء أو الموضوع » و « الفعل » ، وبالتالي يرى أنه وجد الأساس السيكولوجي للبيّنات الدلالية الحديثة التي تنطلق من التقسيم إلى معطيات وأحداث ، أو ظروف وعمليات . ويتقدم هورمان خطوة أخرى في تفسير هذا التقسيم الثنائي مؤكداً أنه يبرز أهمية « **المقصد** » في تحصيل اللغة .

وإذا كان هذا المقصد قد اتخذ صورة الأمر على حسب تحليل هوب ، فإن هورمان يرى أن هذا الأمر لا يعتبر تدخلاً في الحدث ، بل يعتبر تدخلاً في وعي الإنسان الذي يوجه الأمر إليه . وكأن المتكلم ــ إذا أردنا التعميم ــ إذا تكلم مع مستمع ، وقف منه موقف الآمر ، وإذا لم يتغلغل هذا الأمر إلى وعيه ويحدث ما ينبغي أن يحدثه الأمر من تأثير فإن المستمع لن يفهم .

وإذا كان علم النفس قد بيّن أهمية الناحية الحسية الحركية في تحصيل اللغة عند الطفل ، وإذا كان هورمان يتمسك بأهمية المقصد ، فإنه يبيّن أن فهم الجمل البسيطة يعتمد على إدراك الطفل للحركة ، وإدراك فاعلها وموضوعها ، إدراك من الذي يقوم بالحركة ، ومن الذي تنصب عليه ، من يقوم بالدور الإيجابي ومن يقوم بالدور السلبي ، إدراك الفاعل والموضوع . هذا الإدراك الأساسي هو في جانب العناصر اللاكلامية أو القبلكلامية ، وهو الذي يتيح لنا أن نضع تخطيطاً للترابطات الدلالية . هناك فاعل الفعل ، وهناك الموضوع الذي ينصب عليه الفعل ، وهناك المكان الذي يجري فيه الفعل ، وهناك الملكية والاتجاه .

وإذا كنا نتفق على أن الطفل يبدأ بالتمييز بين مراكز الثقل في الأحداث التي تجري حواليه تمييزاً بسبب اللغة ، فمن الضروري أن نسأل عن كيفية تعرف الطفل على الترابطات الصحيحة المتصلة بالإضافة اللغوية .

ويذهب **شليزنجر** Schlesinger **وماكنامارا** Mac Namara إلى أن الطفل يعرف مقصد المتكلم ويغربل المؤثرات التي تنصب عليه ، فلا يأخذ منها إلا ما يتصل بهذا المقصد . والطفل ، بعبارة أخرى ، لا يسيغ لغوياً إلا المؤثرات التي يكون مقصدها واضحاً بالنسبة إليه .

وقد لوحظ أن الأم عندما تتكلم مع طفلها تستخدم لغة ليس فيها من تركيبات المبني للمجهول ، ومن الجمل الفرعية ما في كلامها العادي مع الكبار . كذلك لوحظ أن الأم تكثر من التكرار ، وتتجنب الخطأ وتبالغ في إيضاح الحركات . والخلاصة أن الكلام الذي يوجه للطفل لا يؤدي دوراً إيصالياً لأن الطفل يعرف المقصود معرفة يشتقها من الموقف ذاته .

ويمكن القول بعبارة أخرى إن الكلام الذي يوجه إلى الطفل لا يكتسب معنى إلا لأن الطفل يفهم مقصد المتكلم .

ويؤكد **هورمان** على هذه الحقيقة : المقصود يسير في اتجاه والمفهوم يسير في اتجاه آخر ، والطفل يجمع بينهما في مرحلة لاحقة . الأطفال يتعلمون أن الأشياء تنصب عليها أفعال الناس ، وأن الناس والأشياء المتحركة يقومون بأفعال أو حركات وأن الأشياء والأحداث لها وجود قد ينقطع وقد يعود . هذه المعرفة الإدراكية هي خلاصة معرفة الأطفال في السنوات الأولى من حياتهم ، فلا ينبغي أن ندهش ــ على حد قول **بلوم** Bloom ــ إذا كان الأطفال في البداية يدورون حول هذه الموضوعات . وإذا كان الأطفال يحتاجون إلى تعلم كود لغوي يمكنهم من الحديث عنها ، فإن معرفة الكود اللغوي ليست شرطاً للفهم .





★ جان بياجيه ★

والطفل يفهم المقصود لأن المتكلم معه يتكلم وهو في موقف بعينه، موقف مفهوم، فإذا لم يأت الكلام في الموقف المقصود لم يفهم الطفل. ويستخدم الكبار مع الطفل عبارات معينة لبناء الكود اللغوي، وهذه العبارات يغلب عليها صيغة الاستفهام وصيغة الأمر. وقد بينت الإحصاءات أن هاتين الصيغتين تمثلان أحياناً ٥٠٪ من الكلام الموجه للطفل. ولكن الطفل عندما يتكلم يبدأ بوحدات لغوية أحادية ثم ثنائية، كأن يقول الطفل ماء أو كوب أو ماما...

وأصحاب مدرسة النحو التوليدي يرون أن هذه الوحدات اللغوية الأحادية هي جمل تعرضت للحذف: أنا أريد شيئاً من الماء مثلاً. وهذا الرأي خطأ من الناحية السيكولوجية، فليس من المعقول أن الطفل يقوم بعملية الحذف المعقدة، وإنما الصواب أن الطفل يحرص على المعنى، ولا يحصّل القوالب النحوية، وليس هناك معنى على الاطلاق لمحاولة البعض افتراض وجود قوالب نحوية في مخ الطفل على شكل ما.

الطفل إذن يتعرف إلى الارتباطات المعرفية البسيطة أولا، وهي ارتباطات في أصلها سابقة على اللغة، أو قبلكلامية، تعتمد على التكوين البيولوجي وعلى مقصد الطفل وسلوكه عامة، وعلى الإدراك الحسي.

أما التعبيرات اللغوية فتأتي مرتبطة بما سبق، ويتم تقسيمها وتنظيمها على نحو ديناميكي. وهذا التنظيم والتنسيق القائم على أساس المقصد، الناشئ بين الطفل والعالم، على هيئة بنيات تأتلف فيها العلاقات، يكتسب درجة معينة من الثبات الزمني. في هذا التنظيم نجد: **الشيء والفاعل والفعل** في علاقات معرفية تربط الطفل بأحداث بيئته. وعندما يتعلم الطفل اللغة فإن هذه العلاقات المعرفية تكتسب سمات لغوية ودلالية ورمزية. ويمكن القول بأن عملية اكتساب السمات اللغوية هي في جوهرها عملية تنظيمية. وقد أثبتت الأبحاث والتجارب أن «الأنا» تتوسط هذه العملية التنظيمية. ومن هنا يمكن الانطلاق للكشف عن حقيقة تكوين اللغة.

البداية هي إذن المعرفة غير الكلامية المركزة في الأنا. ومن يتكلم يستخدم أشياء موجودة مسبقاً ويحاول أن يغير بها وعي المستمع. ونحن إذا سألنا جدلا: **ماذا يفعل المستمع بالجملة التي تلق إليه؟** لوجدنا علماء اللغة يجيبون إجابتهم التقليدية: يعقد بها الكود، أو يدخلها في الكود.

وعملية التكويد أو الضم إلى الكود أو الادخال في الكود أو التعديل الكودي لها نظرية معروفة تفسر المراحل المختلفة للتكويد: (الإنتاج، الاستيعاب، الاحتفاظ، الاستعادة).

ويختلف علماء النفس في فهمهم لهذه النظرية، فمنهم (مثل **بايفيو** Paivio) من يرى أن التكويد من شأن الذاكرة، ومنهم (مثل **برانسفورد** Bransford) من يرى أنه من شأن الفهم.

ويذهب برانسفورد **وجونسون** Johnson إلى أن **عملية الاستيعاب اللغوي تجمع بين البيانات المصورة والبيانات الملفوظة.**

وهناك أبحاث متعددة اشترك فيها هورمان تبين علاقة التضافر بين الصورة والكلمة. ويخلص **هورمان** إلى القول بأن الفهم عملية تتكامل فيها البيانات الكلامية والبيانات القائمة في الخلفية، البيانات اللغوية والبيانات غير اللغوية لتصبح تصويراً دلالياً. إن فهم جملة ما لا يعني مجرد تخزين العناصر التصويرية بالجملة والتعرف عليها، ولكن يعني أيضاً الإحاطة بعناصر تصويرية أخرى غير واردة لفظاً.

ومن هنا فإن «**التوجيهات**» التي تنبثق من الجملة لا تنصب على عملية استيعاب الجزء المصور من الجملة فحسب بل تنصب على المستمع نفسه. وها نحن أولاء نجد أنفسنا من جديد أمام تكامل بين الحدث اللغوي والحدث غير اللغوي. وهناك أبحاث كثيرة أجراها **برانسفورد ويورج** Jörg تبيّن أن التصوير الدلالي الذي يمثل فهم جملة ما لا يقتصر على الجملة بل يشمل عناصر إدراكية ومكونات غير لغوية كثيرة

لا يمكن إغفالها بحال من الأحوال . **وإذا كنا نصل في النهاية إلى أن عملية الفهم هي عملية توجيه لوعينا تتم عن طريق موجهات متعددة ، فإننا نواجه الآن صعوبة تحتاج إلى التأمل ، وهي أن وعينا يصبح مصدراً للتحديد لا مصباً للتحديد .**

★ ★ ★

يستخدم الناس اللغة لكي يعيشوا معاً ، فاللغة دائماً لغة مستخدمة . اللغة دائماً ذات هدف ، وهدفها هذا يتمثل في عمليتين : عملية التعبير عن المقصود وعملية الفهم ، وهما عمليتان يكمن فيهما جوهر اللغة مؤتلفاً مع ذات الإنسان . ولهذا لا

يجوز أن نفهم اللغة على أنها شيء مجرد ، بل ينبغي أن نضع دائماً نصب أعيننا ما تحققه اللغة في حياتنا اليومية . وإذا كان **تشومسكي** قد نادى بمفهوم المقدرة وأنجز الشيء الكثير في مجال علوم اللغة ، فإن إنجازاته معيبة لأنها تقوم على أساس علاقة مثالية بين المتكلم والمستمع ، علاقة مثالية لا تعتورها اهتزازات أو هنات ، ولا يضعف فيها الانتباه البشري ، ولا تهن فيها الذاكرة . فكان المطلوب في عالم اللغويات شيء كالفن للفن ، وحرص على حسن الصياغة وسلامة التكوين .

ولقد ظن أصحاب « النحو التوليدي » ، دعاة الصياغة المكتملة والعبارة السليمة ، أن القواعد التي توصلوا إليها تحكم لغة الحياة اليومية ، أو على الأصح لغتنا جميعاً ونحن نعيش حياتنا كل يوم ، أي ونحن نعبِّر عن مقصودنا

ونفهم مقصد من يتحدثون إلينا ، ولكن ظنهم ظل عاجزاً وازداد عجزه يوماً بعد يوم . وإنما يرجع هذا العجز أساساً إلى اعتمادهم على محكَّات عقلانية بحتة في معالجة قضية لا تحيط المحكات العقلانية إلا بجانب من جوانبها .

ويرى **هورمان** أن مفهوم المقدرة الذي قال به تشومسكي كان يمكن أن يؤدي إلى نتائج مفيدة ، لو لم يحصره صاحبه في إطار مثالي ليس من شأن البشر . ويأخذ على القاموس بصورته المعروفة أنه يرتب الألفاظ والمعاني على نحو لا يطابق الحقائق السيكولوجية للاستخدام اللغوي . والقاموس

يحرص على نوع من ثبات المعنى ، ويقوم باختزال وتبسيط لا يطابقان ما يجري في ذاكرة الإنسان مثلاً . ومن يستخدم القاموس بحاجة إلى القيام بجهود إضافية تتمثل في استكمال العناصر المحددة للمعنى في الجملة المقصودة بالذات .

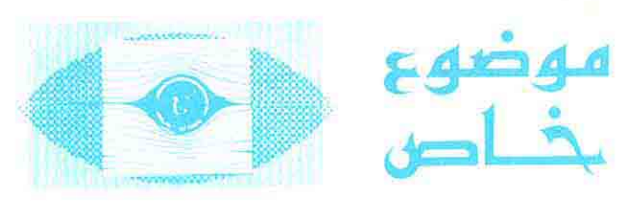
ويمكن أن نقول إن عمليتي إدراك المقصود والخروج بالمفهوم عمليتان من شأنهما جعل العالم قابلاً للفهم . وليس المضمون المفهوم لعبارة ما بالشيء الذي يتكون على أساس ترجمة كود أو تفسيره ، بل هو يتحدد تبعاً لما يقصده المتكلم ، ومقصود المتكلم يسبق التعبير ويجره وراءه ويحكمه .

إن فهم التعبير اللغوي لا يتحقق إلا على أساس الارتباط بشيء عام موجود سلفاً . وينبني على هذا أن المستمع قد يصيب في الفهم وقد يخطئ على أساس التحديد المبدئي ، وينبني عليه أيضاً أن الفهم اللغوي ليس من شأن اللغة وقوانينها وحدها بل من شأن عوامل كثيرة يغلب عليها الطابع غير اللغوي .

ويصل **هورمان** بمنطقه هذا إلى أن تصوير اللغة على أنها عملية إيصالية تؤدي إلى نقل أو تبادل البيانات أو المعلومات تصوير خاطئ . إن ما يحدث بين المتكلم والمستمع شيء يمكن أن نسميه عملية توجيه وتحديد لا تنصب على المعرفة بل تنصب على الوعي أولا . فالمستمع عندما يتلقى عبارة يقوم بتوجيهها وتغييرها على أساس من وعيه حتى يستطيع ممارسة التفكير والمعايشة وما إلى ذلك .

وإذا كان **فيتجنشتاين** قد أصاب حين قال إن المعنى هو استخدام اللغة ، فإن هورمان يجد في نتائج أبحاثه مصداقاً لهذا الرأي الفلسفي المشهور . إن اللغة لا تتحدد بناء على عناصرها ، بل تتحدد بناء على الوظيفة . اللغة لا تنفصل عن الأنشطة التي ترتبط بها ، وما المتكلم والمستمع والموقف إلا وحدة واحدة متكاملة . والتعبير عن المقصود يشترط وجود المقصود ، والمقصود من شأن البحوث السيكولوجية التي تعرف مستويات متباينة تتبلور عليها البنية . ثم يأتي دور الانتقال من التصورات السيكولوجية إلى البنيات اللغوية . وقد ظهر أن قالب المسند والمسند إليه هو الانعكاس اللغوي للعلاقة : **المتكلم ـ التعبير ـ العالم** . وعلى النحو نفسه يمكن تحديد القوالب السيكولوجية وبالتالي القوالب اللغوية المطابقة لها .





الهنود الحمر

بقلم :
د. احمد عبد القادر المهندس

ربما تكون قد شاهدت فيلماً سينمائياً أو تليفزيونياً عن رعاة البقر الأميركيين ، ورأيت المعارك التي كانت تدور بينهم وبين الهنود الحمر . كما لاحظت أن كثيراً من الأفلام الأميركية والمجلات قد صورت الهنود الحمر على شكل مغاير للحقيقة . وترسبت في الأذهان فكرة خاطئة بأن الهنود الحمر قوم متعطشون للدماء ، مولعون بالحرب ، ميالون إلى القسوة فقط .

★ التزين بمعدن الفيروز على شكل عقود وحلي . ويسمي الهنود الحمر معدن الفيروز بالحجر السحري الأزرق ★

إن التعمق قليلاً في حضارة هنود أميريكا الشمالية سيجعلنا نقف على مقدار ما وصل إليه أولئك الأقوام من ثقافات متنوعة ، ومقدار ما تنم أعمالهم عن مستوى روحي رفيع .

إن فن وبراعة الهنود الحمر تكمن في اختلاف وتنوع فنونهم وأعمالهم ، **فقد برعوا في فنون النسيج ، التصوير الزيتي ، النحت ، الخزف ، التزين بالريش ، التزين بالخرز ، صناعة السلال ، صياغة الفضة ، تصميم الأزياء والصناعة .** كما أن احتفالات الهنود الحمر تتسم بالرقص الفني الذي يترافق مع الموسيقى والدراما أحياناً .

كان الهندي الأحمر يعتقد بأنه يعيش في علاقات حميمة مع مجتمعه ، ومع نفسه ، ومع كل جميل . وقد لخص أحد شعرائهم ذلك كما يلي :

كما ترى .. إنني أحيا .
كما ترى .. إنني أتمتع بعلاقة حميمة مع الأرض .
كما ترى .. إنني أتمتع بعلاقة حميمة مع الروح المسيطرة على الكون .
كما ترى .. إنني أتمتع بعلاقة حميمة مع كل جميل .
كما ترى .. إنني أتمتع بعلاقة حميمة مع كل الناس .
كما ترى .. إنني أحيا .. سوف أحيا .

كما أن حضارة شعب المايا الهندية (في بيرو بقارة أميريكا الجنوبية) تعتبر من الحضارات الراقية . فلقد كان هذا الشعب متقدماً في الرياضيات والفلك والتقويم الزمني . إن حضارة ذلك الشعب كانت حضارة فريدة نادرة ، حيث لم تتأثر بالحضارات القديمة لعدم وجود أي نوع من الاتصال في ذلك الوقت .

★ مجموعة من الجرار والأواني الفخارية توضح مدى الإتقان الذي بلغه الهنود الحمر في صنع الأدوات الفخارية ★

توزيع الهنود الحمر وأصولهم

عندما نزل **كولومبوس** على الشاطئ الأميريكي ، ظن أنه وصل إلى الهند ، ذلك لأنه قابل أناساً ذوي بشرة سمراء ، وشعور سوداء مرسلة ، فسماهم هنوداً . وما زلنا نطلق عليهم هذا الاسم إلى يومنا هذا .

والهنود الأميريكيون لا صلة لهم بالهند ، لكن **العلماء الأنثروبولوجيين** يعتقدون أن أسلافهم قد جاءوا من آسيا حيث نزحوا منها إلى **منطقة « آلاسكا »** ربما عن طريق سيبيريا منذ حوالي ٢٦,٠٠٠ إلى ٨,٠٠٠ سنة . وعندما جاء **المكتشفون الإسبان** إلى أميريكا ، وجدوا إمبراطوريات هندية في **المكسيك وأميريكا الجنوبية** ، وما يزال في القارتين الأميريكيتين عدد كبير من الهنود الحمر .

وقد كان هناك مئات من القبائل الهندية تسكن أميريكا الشمالية ، ويمكن تقسيم هذه القبائل الكثيرة إلى خمس مجموعات قبلية ، تضم كل مجموعة عديداً من القبائل ، ولعل الكثير منا قد سمع عن أسماء هذه القبائل ، حيث إن كثيراً من أسمائها تطلق على ولايات أميريكية ، أو



★ رقصة الحرب والفن والانتصار عند الهنود الحمر ★

أنهار ، أو مدن . وفيما يلي بعض أسماء الولايات الأميريكية التي لها أصول هندية قديمة :

●● **ولاية الأباما :** مشتقة من الكلمة الهندية التي تعني « هنا نقيم ونبق » .

●● **ولاية آلاسكا :** من الكلمة الهندية القديمة لشبه جزيرة آلاسكا .

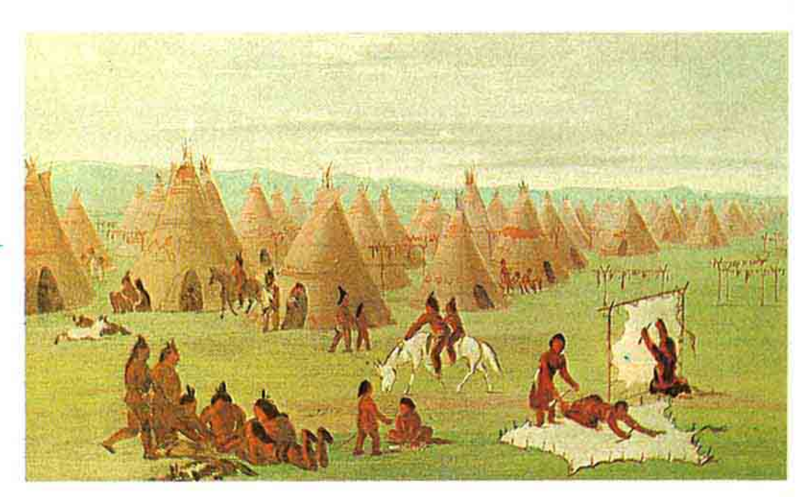
●● **ولاية أركنساس :** من الكلمة الهندية أكانسيا .

●● **ولاية كونيكتيكت :** من الكلمة الهندية التي تعني النهر الطويل .

●● **ولاية كينتكي :** من اسم نهر وربما من الكلمة الهندية التي تعني الحقل المزروع .

●● **ولاية ماساشوسيتس :** من الكلمة الهندية التي تعني التل الكبير .

●● **ولاية ميتشغان :** من الكلمة الهندية التي تعني البحيرة



★ رسم لمنظر تقليدي لبيوت الهنود الحمر المسماة تيبات ★

الكبيرة .

●● **ولاية نبراسكا :** من الكلمة الهندية التي تعني النهر المنبسط .

●● **ولاية مينسوتا :** من الكلمة الهندية التي تعني الماء المغطى بالسحاب .

●● **ولاية مسيسيبي :** من الكلمة الهندية التي تعني الأراضي الصديقة .

●● **ولاية أوكلاهوما :** من الكلمة الهندية التي تعني الرجل الأحمر .

●● **ولاية تينيسي :** من الكلمة الهندية « تناسي » أي نهر تينيسي الصغير .

ويوجد الهنود الحمر في الأمريكتين بالإضافة إلى **جزر الكاريبي .** وبسبب غزو وانتشار الجنس الأوروبي في الأمريكتين منذ عام ١٥٠٠ م ، فإن الهنود الأمريكيين قد قل عددهم بشكل كبير جداً ، حيث حلت محلهم الأجناس الأوروبية والإفريقية ، أما في وسط وجنوب أميركا فإن السكان هناك عبارة عن أجناس هندية وأوروبية مختلطة . وفي جزر الكاريبي وأجزاء معينة من أميركا الجنوبية ، فإن السكان هناك عبارة عن أجناس هندية وإفريقية مختلطة .

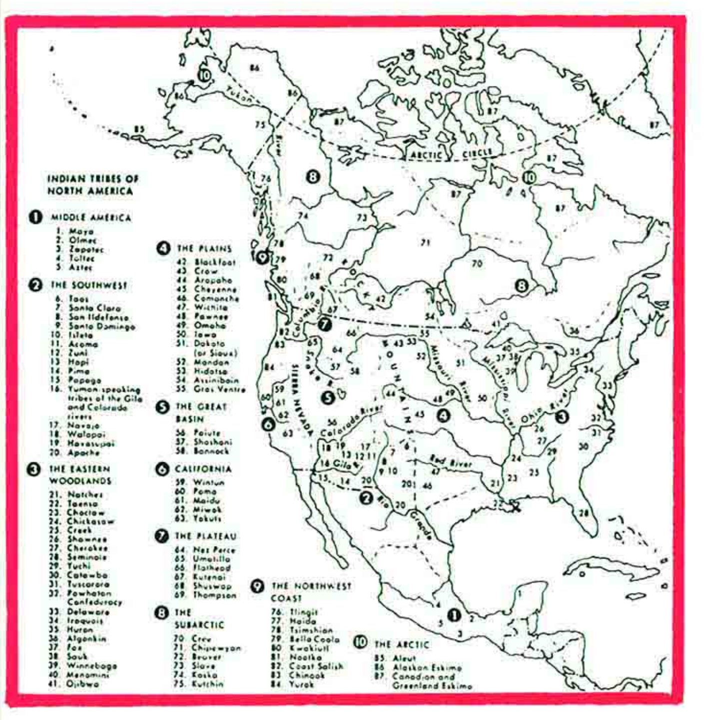
ويتميز الهنود الحمر بغياب فصيلة B من دمائهم ، كما يتميزوا بوجود عامل RH السالب . وهذا ينفي انتمائهم إلى الجنس المنغولي بآسيا من الناحية الأنثروبولوجية .

ومن الناحية الجسمانية فإن الهنود الحمر يشبهون الجنس المنغولي (وسط وشرق آسيا) أكثر من تشابههم مع الأوروبيين أو الإفريقيين أو الأستراليين ، وهم يقتربون شبهاً من الجنس المنغولي لمناطق التيبت وأندونيسيا وغرب وسط آسيا أكثر من تشابههم مع الأجناس المنغولية بمنغوليا والصين واليابان .

إن عدد الهنود الحمر في الولايات المتحدة في الوقت الحاضر يبلغ حوالي نصف العدد الذي كانوا عليه عندما وصل كولومبوس إلى قارة أميركا الشمالية . ويعيش معظم الهنود الحمر في الوقت الحاضر غربي نهر **المسيسيبي** ، أما شرق النهر فلا يوجد إلا القليل جداً منهم .

ويتمتع الهنود الحمر في الولايات المتحدة بحق التصويت وباعتبارهم مواطنين أميريكيين .

وقد عاش في قارة أميركا الشمالية أنواع عديدة من الهنود الحمر ، ويمكن تقسيمهم من الناحية الجغرافية إلى **هنود السهول** ويشتهرون بخوذاتهم الحربية ، **وهنود الغابات** الذين يصيدون الوعول ، ويصنعون



★ توضح هذه الخريطة توزيع القبائل الهندية بأمريكا الشمالية وأسماء هذه القبائل ★

★ توضح هذه الخريطة توزيع القبائل الهندية بأمريكا الجنوبية وأسماء هذه القبائل ★



القوارب من لحاء شجر (البـولا) ، **وهنـود الشمال الغربي** الـذين ينقشون أعمدة الطواطم ، **وهنود الجنوب الغـربـي** الـذين يفلحـون الأراضي ويمارسون الرقصات الدينية مرتدين الأقنعة .

والهنود المعروفون بـاسم إيـروكوا مـوزعون على خمس قبـائل مجتمعة ، هـي قبـائل : «**مــوهول**» ، و «**أونيـــدا**» ، و «**أوتونـدوجا**» ، و «**كايوجا**» ، و «**سنيكا**» ، وغالباً مـا كـانت تسمى هذه القبائل «بـالأم الخمس» ، وكـانت هـذه القبـائل تعيش في شمال ولاية نيويورك وجنوبي ولاية أونتاريو .

طرق المعيشة

تعرف القبائل الشرقية أحياناً بهنود الغابات ، وكان أفراد هذه القبائل يمارسون الصيد بالسهام ، كما كانوا يصيدون السمك ، ويزرعون الحبـوب والذرة والتبغ ، وكـانوا يزيدون مـن محصـول الـذرة بواسطـة تسـميد أراضيهم الزراعية بالسمك الميت ، وكـانت النسـاء هـن الـلاتي يقمـن بأعمـال الزراعـة ، أمـا الرجـال فيقـومون بصـيد الحيـوانات والأسماك .
أمـا الهنود الذين يسكنون السهول فيطلـق عليهم «**هنـود الجـاموس**» ،

★ لوحة فنية تعرض مجموعة من الهنود الحمر وهم يصيدون الجاموس بواسطة السهام ★



ذلك لأنهم كانوا يصيدون الجاموس ويتغذون بلحمه ، ويستخدمون جلوده .

وهنود كاليفورنيا كانت حياتهم سهلة إلى حد ما ، فالمناخ هناك رائع طوال العام ، ولم يكونوا في حاجة إلى الزراعة . وكان طعامهم الرئيسي من ثمار شجرة البلوط المتوافر بصفة دائمة ، كما كانوا يأكلون التوت البري ، ويتغذون على لحوم الوعول والأرانب . وكانت ملابسهم من قشور الشجر والأعشاب . ويتميز هنود الشمال الغربي بأن معظمهم من صيادي السمك ، وكانوا مهرة في استخدام السهام في صيد سمك السالمون .

الملابس والزينة

كان سكان السهول يصنعون من جلود الغزلان ملابس يرتدونها ويزينونها بأشواك القنافذ وأسنان الأيائل ، وحين أخذوا يتجرون مع البيض ، بدأوا يستخدمون العقود للزينة ، وكانوا يصنعون أحذيتهم من جلود الغزلان ، ويجعلون نعالها من جلد الجاموس السميك ، أما

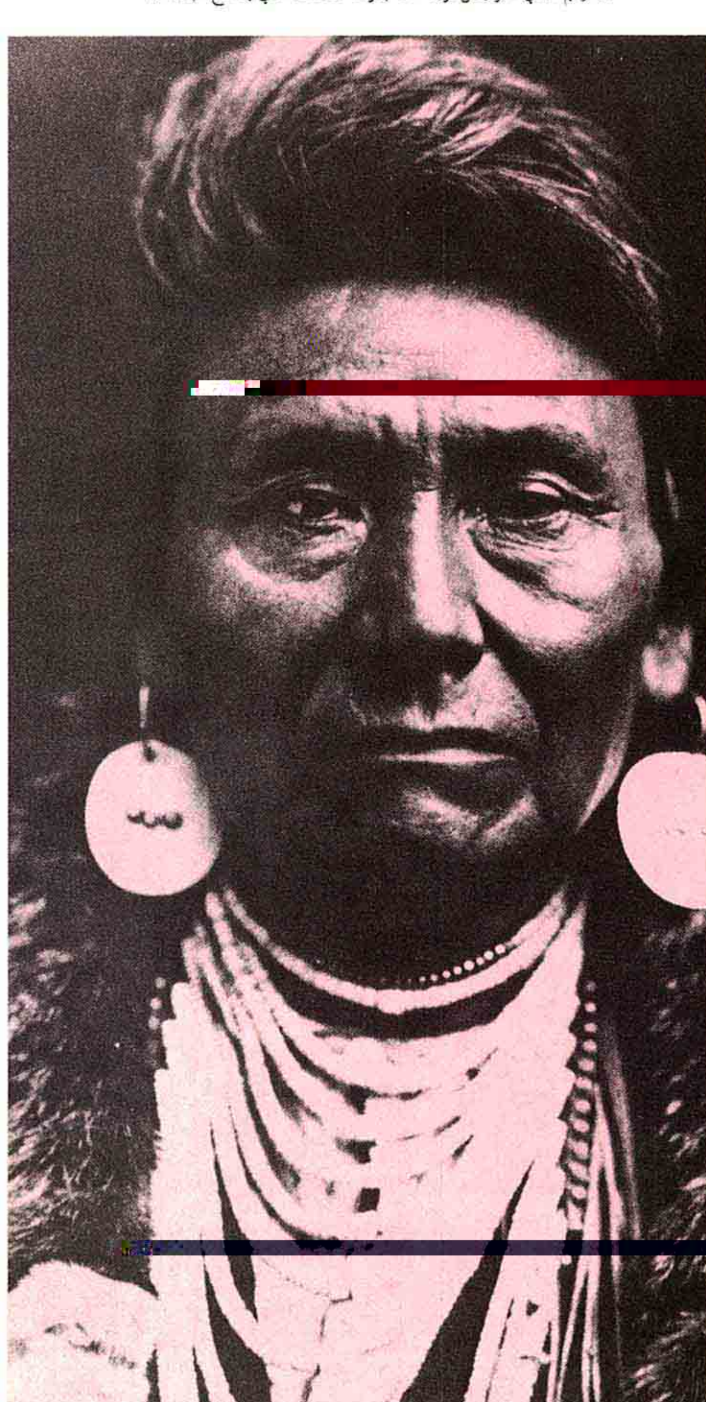
★ يقوم أحد المسؤولين عن شؤون الهنود الحمر الطبية والدينية بشق صدر أحد الراقصين ووضع سيخ خلال لحمه وبعد ذلك عظمة نسر مجوفة . ويقوم الراقص بعد ذلك برقصة عنيفة تسمى رقصة الشمس ★



أطفالهم فكانوا يلفونهم في جلود الغزلان ، ويضعونهم في المهد ، وكانوا يربطونهم بأشرطة من جلود الغزلان لتحفظ الطفل في مهده إذا حملته أمه على ظهرها .

وكان الهنود يشدون إلى كعوبهم ذيول الثعالب لتزيل من الأرض آثار أقدامهم أثناء سيرهم عليها . كما أنهم كانوا يصنعون ملابسهم من جلود بقر الوحش والأغنام ، حيث كانوا يزركشونها بشرائط من الجلد . وكان زعماء الهنود يرتدون أغطية للرأس مزينة بالريش ، وكان الرئيس يضع في غطاء رأسه من ريش النسر ، وذلك لاعتقاده بأن هذا الريش يعطيه

★ زعيم هندي أحمر يمكن ترجمة اسمه بالرعد القاصف الذي يكتسح البلاد ★



بعض قوة النسر وحدة بصره .

السكن الاجتماعي

كان هنود **إيروكوا** يسمون « أهل البيت الطويل » ،لأن من عاداتهم أن يسكن عدد كبير منهم في بيوت خشنة طويلة مسقوفة بلحاء الشجر ، أما البيوت التي كان يسكنها **الهنود الشرقيون** ، فكانت مستديرة الشكل تصنع من الأعمدة الخشبية ، ومن قشور الأشجار السميكة ، أو جلود الحيوانات . أما بيوت هنود **السيمنول** الذين كانوا يسكنون المناطق الجنوبية الدافئة فكانت بلا جدران .

وكانت أكواخ الهنود سكان السهول ، سهلة الفك والتركيب ، لأنها كانت تبنى من غصون الأشجار ، وتسقف بالجلود ، وكان الهنود ينقلون أكواخهم هذه على نقالات خشبية . وكان على الهنود سكان الجنوب الغربي أن يكيفوا حياتهم حسب ظروف بيئتهم ، وهي بيئة شديدة الحرارة ، قليلة الماء ، وكانوا يعيشون في قرى بنيت بيوتها من اللبن ، وكان بعضها يبنى بوضعها فوق بعض كالعمائر المعروفة الآن . وكانت كثير من قراهم تبنى فوق الروابي لحماية سكانها .

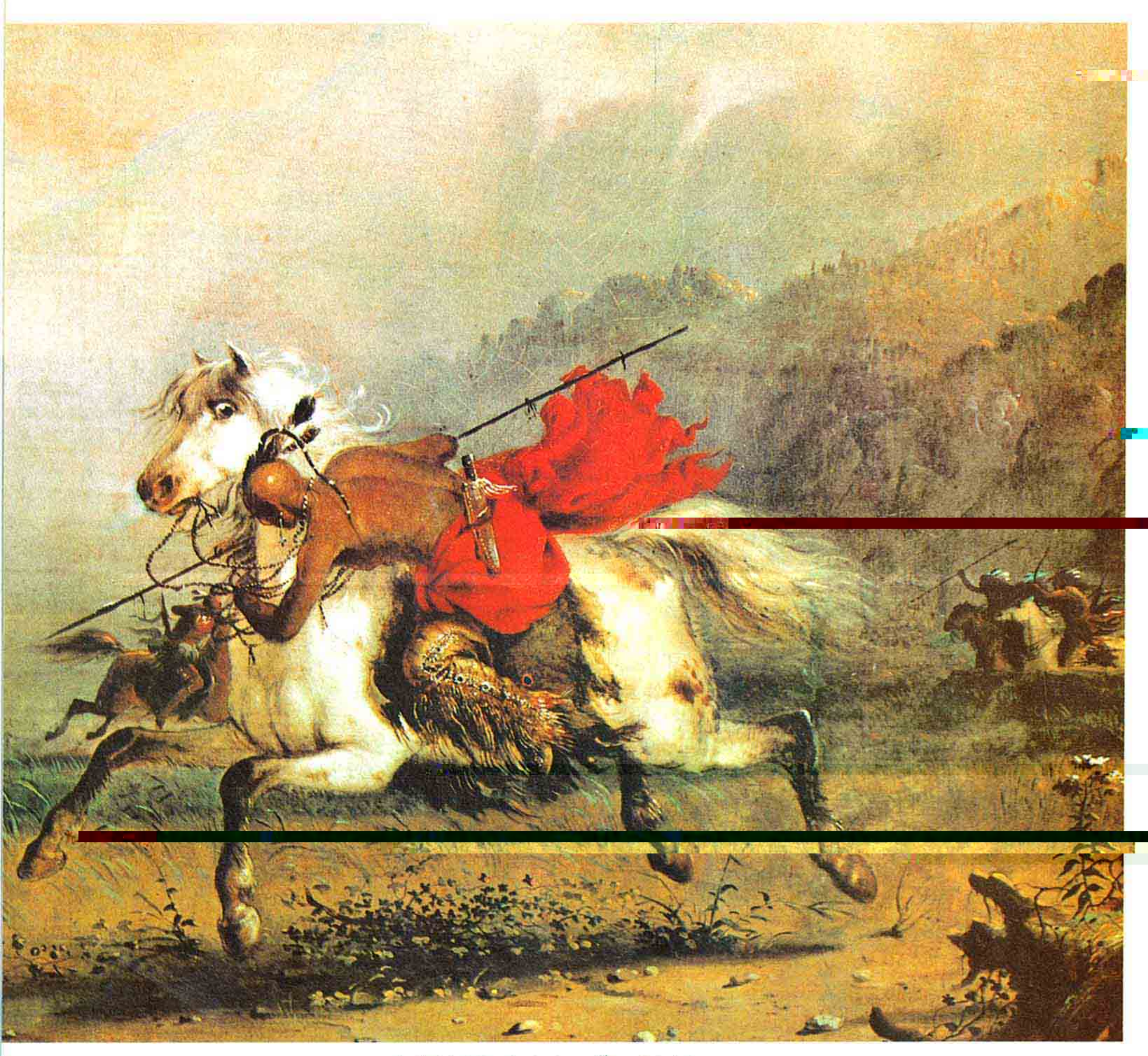
أما **هنود قبيلة نافاهو** ، فقد سكنوا بيوتاً خاصة أشبه بالكهوف . وتتكوَّن كثير من قرى الهنود الحمر من خيام أو « تيبات » Tipis ، وهي خيام مصنوعة من الجلد ، وهي مخروطية الشكل .

الحياة الاجتماعية

كان الهنود الحمر منقسمين إلى عدد كبير من القبائل ، وكان لكل قبيلة منها تقاليدها وقوانينها الخاصة ، وتتحدث بلهجة لا تفهمها القبائل الأخرى غالباً ، وفي حالات معينة كانت مجموعة من القبائل تتوحد تحت رئيس واحد . وكان يحكم القبيلة رئيس Chief ، ولا تكون له سلطة مطلقة ، فهو ينفِّذ رغبات قبيلته حيث يجتمع رجال القبيلة حول نيران المجلس ، ويبدون مطالبهم . وكان يؤخذ دائماً بمشورة الشيوخ ، لأنهم أوفر القوم خبرة وتجارب لذلك فهم أكثر حكمة . وإذا ما اتخذ القرار فإن كل شخص يقوم بتنفيذ أوامر الرئيس بدقة متناهية .

ويحتفظ زعيم القبيلة بمنصبه إلى سن معينة ، يختار خليفته الذي قد يكون أحد أبنائه ، لكن لا بد أن يقر ذلك أصحاب الشأن وهم المحاربون الذين أحرزوا أكبر قدر من الانتصارات ، فإذا لم يرغبوا في ذلك الزعيم المقترح وآثروا محارباً آخر أثبت أنه أشجع من الوريث الشرعي ، كان على هذا أن ينزل له عن لقبه .

وكانت الحروب تنشب غالباً بين الهنود الحمر لأتفه الأسباب أحياناً . ومع ذلك فإن المحاربين ، من كلا القبيلتين المتحاربتين ، كانوا لا يقتلون أطفال القبيلة المهزومة أو شيوخها ، ويحترمون الأسرى ، ويراعون المعاهدات. وكانت الحرب عند بعض القبائل كالأباش والكومانش والسيو ، تتم رغبة في الاستيلاء على الخيول التي تقتنيها القرية



★ لوحة تمثل هندياً أحمر يعرض فن ركوب الخيل في القتال ★

التي يغزونها .

وكان الرقص عند الهنود الحمر يؤدي أكثر من وظيفة ، فهناك الرقص الديني ويقومون به ابتهالا إلى الروح الأكبر ، واستجلاباً للمطر ، وهناك رقص النصر في المعركة أو الصيد ، وهناك الرقص الذي كانوا يؤدونه قبل المعركة لاستنفار المحاربين إلى القتال ، وهناك الرقص الذي كانوا يؤدونه لمجرد اللهو والمتعة .

وكان الهنود الحمر يتأهبون للصيد في فصل الخريف ، حيث تطارد بعض القبائل قطعان الجاموس التي تتجه مسرعة صوب الجنوب ، ويطبق الصيادون على جوانب القطيع الذي ينتشر في مساحة كبيرة من الأرض ، ويطلقون سهامهم التي قلما تطيش على هذه الحيوانات .

وكان الهنود ينتفعون بكل جزء من أجزاء الجاموس ، فهم يتخذون من الجلود ، المكسوة بالفراء ، فراشاً ومعاطف وأغطية ، كما يستعملون الجلد لصنع الخيام ، والقوارب ، والثياب ، والأحذية . ويستخدمون العظام في صنع رؤوس السهام والإبر والحلي والمجاديف ، أما الأمعاء وأوتار الضلوع ، فيحولونها إلى شرائط وأقواس ، وأربطة ، ويستخرجون من الحوافر مادة جيلاتينية تستعمل كغراء ، ويقطعون اللحوم إلى أجزاء



★ التراث الفني للهنود الحمر . إنه صناعة السلال المنسوجة من الأعشاب البرية ★

صغيرة ، ثم تدخن وتحفظ في أكياس من الجلد ليأكلونها طوال العام . ولكثرة الأنهار والجداول في قارة أمريكا الشمالية ، فقد كان الهنود يسافرون عن طريق هذه الأنهار ، ويصنعون الزوارق الخشبية .

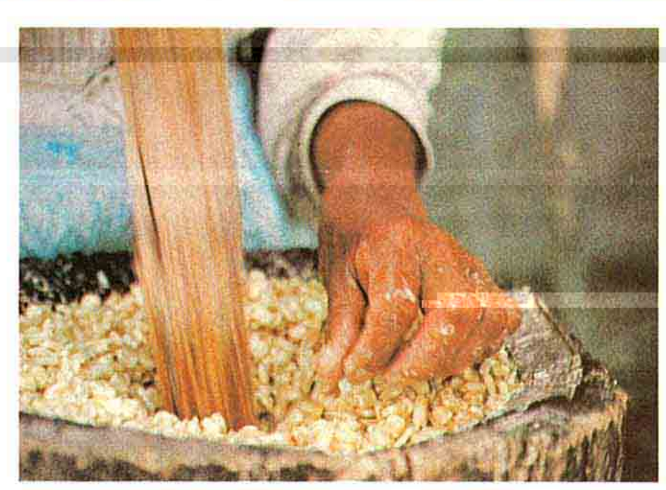
الحياة الروحية

« أنت يا أبي الذي أنا موجود على قيد الحياة بفضله ، لعلك أنت الذي وضعتني هنا بسبب ما يفعله الناس ، لأنك أنت الذي تدبر كل شيء . لكن لما كان كل شيء غير مستحيل عليك ، فأنقذني من أعدائي ، إن أنت رأيت هذا مناسباً . . وإليكم أنتم جميعاً يا أسماك الأنهار ، ويا طيور السماء ، ويا أيتها الحيوانات التي تدب وتجري على الأرض ، وإليك أنت أيتها الشمس أقدم جوادي . . يا طيور الجو . . يا سكان البراري إنكم إخوتي ، لأن أباً واحداً هو الذي خلقنا جميعاً . . ها أنتم ترون كم أنا شقي وتعيس . . ولهذا إن كان لكم تأثير على الأب فتشفعوا لي » .

كانت الكلمة السابقة نفثة روحية صادقة رددها هندي من قبلة **بوني**



★ صور مختلفة توضح دور المرأة في مجتمع الهنود الحمر ★



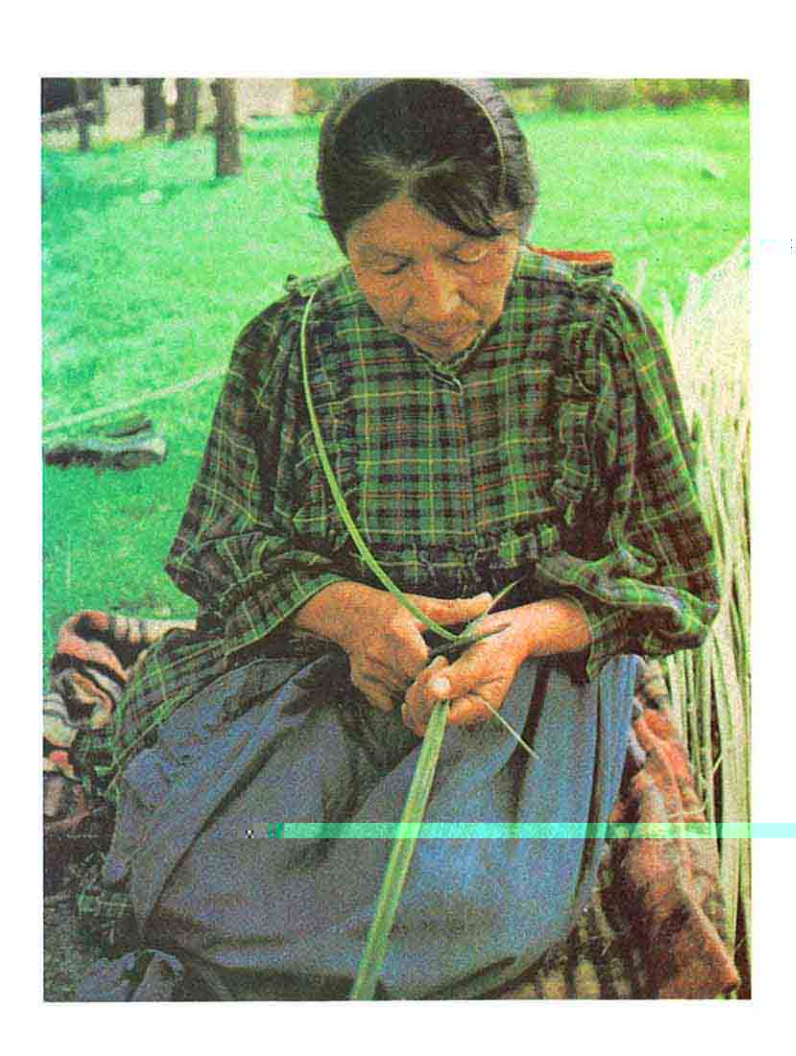


Pawnee عندما أحدق به خطر رهيب ، وهي لا تتضمن مجرد التعبير عن ايمان بإله عادل قوي فقط ، بل تتضمن أيضاً الشعور الروحي العميق بالاستسلام للإرادة الإلهية ، وتعطي الدليل على مدى إنسانية الهندي الأحمر الذي تعرض للإبادة من وطنه ، وانتزاع أرضه من تحت قدميه ، وإجباره على الهجرة إلى مكان آخر .

وتطلق القبائل الهندية المختلفة على « روح الخالق العظيم » أسماء مختلفة ، [illegible] فيطلقون على هذه الروح ياستاسينين ومعناها قائد السماء .

وكان الهنود الحمر يعبدون كل ظواهر الطبيعة ، ويقومون بطقوس دينية معقدة يرأسها رجال الطب من السحرة .

وقد صوَّر أحد شعراء الهنود الحمر ما سوف تؤول إليه حالته وكأنه



قد صوَّر مصير الهنود الحمر في القرن العشرين ، يقول :

سوف أختفي ... وربما لن أعود
لكن الأرض التي عشت فوقها سوف تبقى
سوف تبقى ولن تتغير ...
هل تراني !.. هل تساعدني !..
إن كلماتي تتدفق في خشوع ..
مع الجبال السامقة ، مع الصخور إني أعيش .
مع الأشجار الباسقة .. إني أعيش .
مع القوة العظيمة التي تحيط بالكون .. إني أعيش .
وأنت أيها النهار المشرق ، وأنت أيها الليل المظلم
يا كل شيء في هذه الدنيا ..
إنني وحيد .. بيد أنني أعيش ...

الهنود الحمر والحياة المعاصرة

إن رحلة الهنود الحمر خلال التاريخ لم تنته أبداً . لقد **كانوا أول من وطأ أراضي القارتين الأمريكيتين منذ آلاف السنين ، وشيدوا فيها حضاراتهم ومجتمعاتهم القبلية .** والهنود الأمريكيون يجاهدون من أجل تطويل وتعميق رحلتهم في التاريخ البشري ، وهم

★ صور من الماضي لهندية وراقص هندي ★

يحاولون أن يكتشفوا معنى وقيمة رحلتهم الحضارية إلى القارتين الأميركيتين منذ آلاف السنين .

كان عدد الهنود الأميركيين في الولايات المتحدة حوالي (٨٠٠,٠٠٠) في عام ١٩٧٠م . وقد بلغ عدد الهنود الأميركيين في كل من **أوكلاهوما ، وأريزونا ، وكاليفورنيا** حوالي (٩٠,٠٠٠) نسمة في كل من هذه الولايات . أما بقية الولايات التي يوجد فيها عدد كبير من الهنود الأميركيين فهي : **واشنطن ، نورث كارولينا ، نيومكسيكو وساوث داكوتا .**

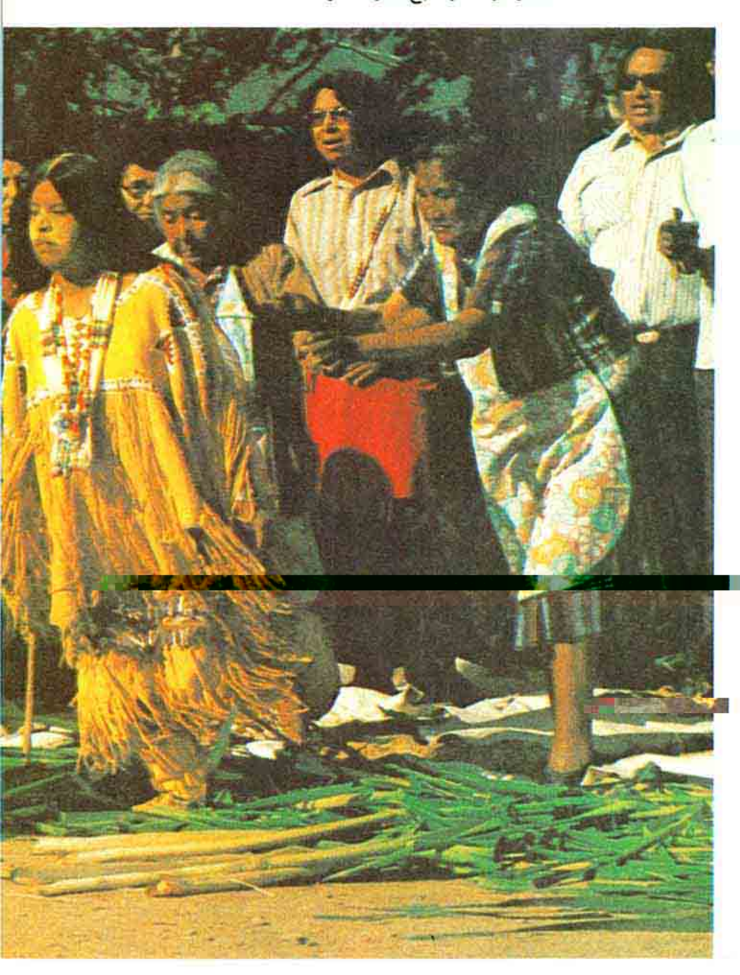
ويساهم الهنود الحمر في الحياة الأميركية المعاصرة سواء في أميركا الشمالية ، أو أميركا الجنوبية ، وهم ينخرطون في الخدمات المختلفة من أجل حياة أفضل ، بعد أن تضاءلت قيمة القبيلة الهندية في حماية الفرد والأسرة في تلك المجتمعات . ففي عام ١٩٦٠م ، عندما أعلنت الولايات المتحدة الحرب على الفقر ، كان الهنود هم أول من تبرعوا بالقيام بالحملة على الفقر . وفي عام ١٩٦٤م ، قرر مجلس الشيوخ الوطني للهنود الأميركيين The National Congress of American Indians (أنشئ عام ١٩٤٤م) أن يدعم مؤتمراً عن الفقر ، وقد شارك الهنود الحمر مشاركة فعالة في القضاء على الفقر بالولايات المتحدة .

وقد بدأ الهنود الأميركيون في تشجيع التعليم العالي منذ أوائل الستينات ، ففي عام ١٩٦٠م ، كان هناك حوالي **(٢٠٠٠) هندي** في الكليات والجامعات . وبعد عقد واحد من الزمن تضاعف هذا العدد حتى أصبح أكثر من (١٢,٠٠٠) ، بالإضافة إلى مئات الأشخاص الذين يتابعون دراساتهم لنيل درجات الماجستير والدكتوراه ، كما يوجد كثير ممن نالوا درجات الدكتوراه ، وبعضهم نال درجة الأستاذية ، وهذا يعني أن الهنود الحمر ليسوا من الشعوب الهمجية التي لا يمكن أن ترقى في مجال العلم والتقدم الحضاري .

وقد بنت إحدى القبائل الهندية في الولايات المتحدة مصنعاً للإلكترونيات ، حيث أتاح هذا المصنع الفرصة لكثير من الهنود لتطوير قدراتهم الذهنية في هذا الحقل التكنولوجي الجديد .

إن الهنود الحمر في القارتين الأميركيتين يشاركون مشاركة فعالة في جميع مناحي الحياة المعاصرة ، وهم يثبتون للعالم كله أنهم أمة تستحق أن تعيش من أجل سلام وحضارة إنسانية شاملة ، في هذا العالم الذي تمزقه أطماع الإنسان لأخيه الإنسان .

★ الاحتفال بمظاهر الزفاف في زواج الهنود الحمر ★



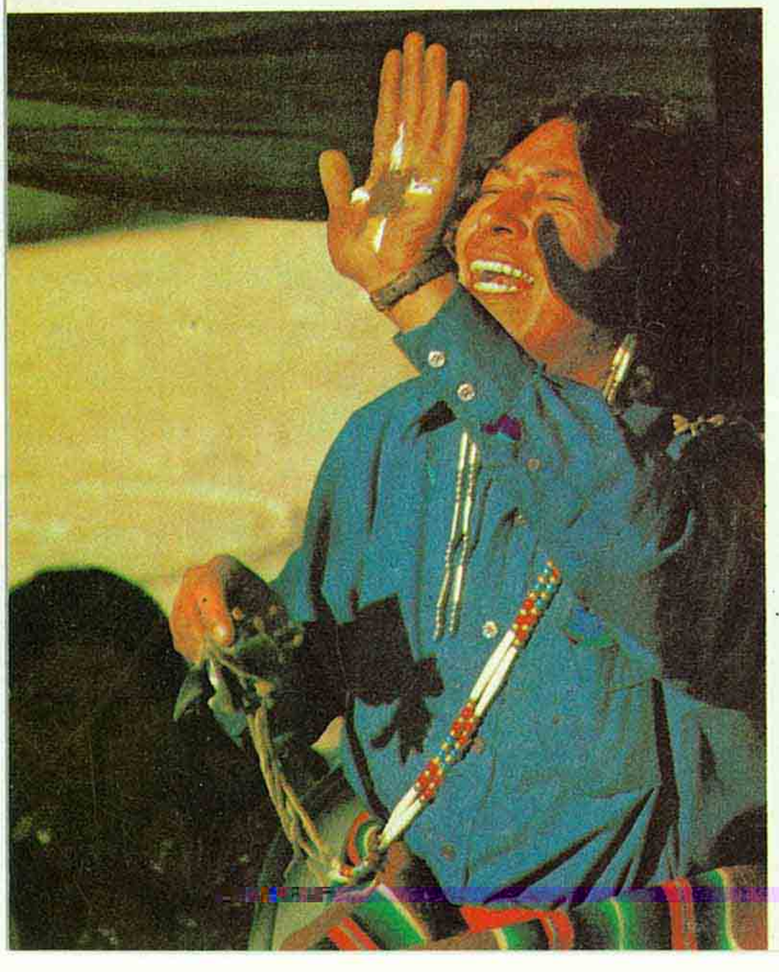
المراجع
References

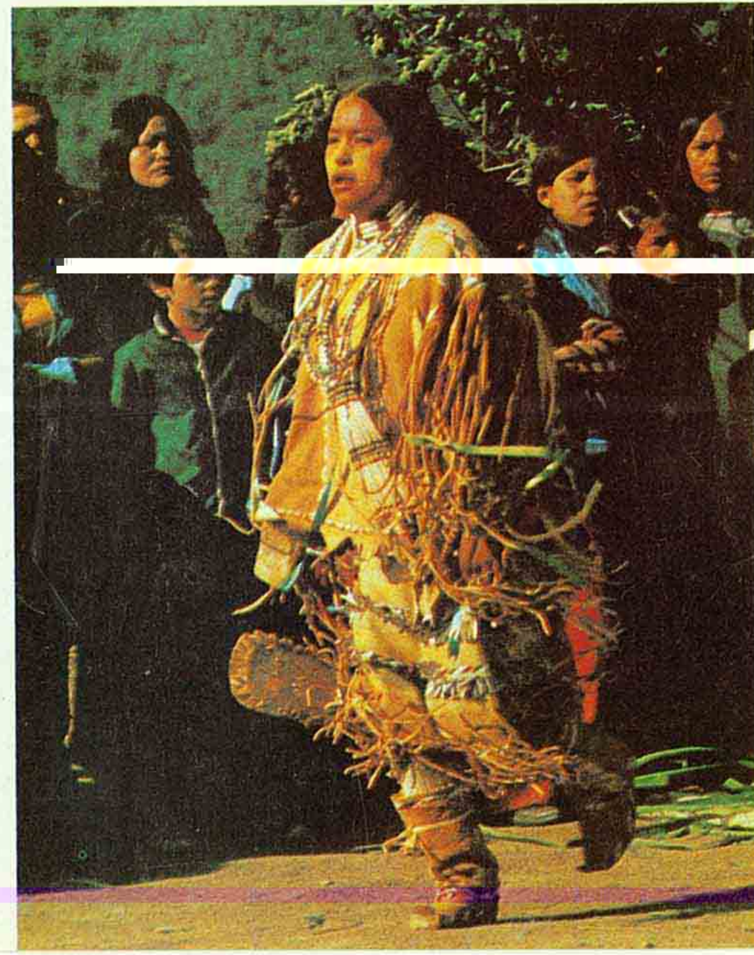
★ موسوعة المعرفة ، المجلد الخامس ، ١٩٧٩م .

★ الموسوعة الذهبية ، المجلد الثاني عشر ، ١٩٨٠م .

★ Encyclopaedia Britannica, 1974.

★ The World of the American Indians by National Geograhic Society, 400 p.p., 1979.





لوحة و فنان

جورنيكا

● رسمها بيكاسو عام ١٩٣٧م، وهي لوحة ضخمة ذات ثلاثة ألوان: الأبيض والرمادي والأسود، وطولها ثمانية أمتار، وهي **موجودة الآن بمتحف الفن الحديث بنيويورك**.

● رسمها بيكاسو في فورة عاتية من فورات السخط والغضب، وعبر فيها عن إحدى غارات قاذفات القنابل الهتلرية على مدينة جورنيكا الإسبانية وعلى سكانها العزل، وعن التدمير الوحشي الذي أصاب المدينة وسكانها، وأشكال الرعب التي عانى منها الشعب المسالم.

أن الثور يمثل الفاشية، ويعتقد البعض الآخر أن الثور مع الحصان والمرأة المعذبة والجندي الجريح تمثل شعب إسبانيا، «نظراً لأنه في تقاليد المصارعة الثيران لا ينظر إلى الثور على أنه عدو».

● اللوحة قوية من الناحية البنائية اعتمد بيكاسو في تصويرها على **التصميم الهرمي**، واستخدم أكثر من مصدر للضوء «النافذة ــ المصباح ــ الضوء الكهربي»، لذا ظهرت الأضواء والظلال حادة عنيفة لتعطي الموضوع دراميته، إضافة إلى تمزيق

بابلو بيكاسو

● فنان غني عن التعريف، فقد اقترنت الحركة الفنية بالقرن العشرين باسمه الذي أصبح يتردد على كل لسان.

● ولد في (**ملقا**) **بإسبانيا** عام ١٨٨١م، وهو ابن لرسام أكاديمي.

● في سن **الخامسة عشرة** برع في الرسم وطور تكنيكاً بارعاً.. ثم رحل إلى **برشلونة**، وهناك اتصل بتيارات **الفن الفرنسي**، وقد تمكن بيكاسو من استيعاب تلك التيارات الجديدة.. فرسم

شكلاً ما عرف **بالمرحلة الزرقاء**، وهي مرحلة متدفقة بالعواطف، ومثقلة بشحنات انفعالية، وتكاد أشكاله الزرقاء أن تكون رموزاً تعبر عن الوحدة والعزلة.

● في عام ١٩٠٥م، كانت الفترة المسماة **بالفترة الوردية، أو مرحلته الوردية**، كرست مناظره عن حياة عروض السيرك والمهرجين والمشعوذين.

● بعد فترة مرحلتيه الزرقاء والوردية جرب بيكاسو عدة أساليب صور فيها أعظم عنف

وتعتبر أول لوحة تكعيبية.

● الفترة من ١٩٠٩ ــ ١٩١١م كانت **مرحلة التكعيبية التحليلية** التي كاد أن يختفي فيها العنصر الإنساني، وانحصر في الشكل الهندسي..

وقد استخدم في تلك الفترة قطعاً من الورق اللاصق، والصحف، والأحرف، والكلمات، التي

كانت بمثابة ارهاصات **للحركة الدادية** التي ظهرت في سنوات **الحرب العالمية الأولى**، والسنوات التي تلتها.

● الفترة من ١٩١٠م، حتى أوائل سنوات ١٩٢٠م، كانت المرحلة **التكعيبية التركيبية**، ثم بدأت بعدها تظهر الصورة الإنسانية لفنه وأنتج مجموعة لوحات تتألف من أشكال بسيطة وقوية وعنيفة

رسمت بامتلاء على غرار النحت **الكلاسيكي الإغريقي**، ثم بدأت **سيريالية** في سنة ١٩٢٥م.

● أسلوبه في اللوحة رمزي ساخر ، استخدم فيه الرموز الخاصة بمصارعة الثيران ، وصور تمزيق الجسم الإنساني وتشويهه تعبيراً عن الألم والرعب .. وفي اللوحة يظهر **المصباح والضوء الكهربي** للدلالة على نورانية العلم والحق ، هذا من الناحية الموضوعية ، يعتقد بعض النقاد الأشكال وتشويهها .

● هذا العمل العظيم كشف عن الروابط العميقة التي تربط بيكاسو بإسبانيا ، تلك الروابط التي لم يتخل عنها اطلاقاً ، كما أكد هذا العمل أن الفن هو انعكاس للواقع ، ويعمل من أجل الرفاهية والتقدم الإنساني .

لوحات مثل لوحات **رينوار** ، **ومانيه** ، ومناظر ساخرة **كتولوز لوتريك** ، **ودوميه** .

● في عام ١٩٠٠م ، زار **باريس** ، وفي عام ١٩٠٤م ، جعل من باريس موطناً له ، وفي تلك الفترة اتخذ أسلوبه المميز أصاب الصورة الإنسانية ، وكان أول الأساليب التي جاءت بعد عام ١٩٠٥م ، الأسلوب المسمى **بالفترة الزنجية** ، للتشابه الموجود بين أشكاله وأشكال النحت الإفريقي ، وهو بالفعل استمد من هذا الفن ، وأشهر أعمال هذه المجموعة لوحته **« آنسات أو فتيات أفينيون »**

● في أوائل العقد الثالث من القرن العشرين شغل بيكاسو بالنواحي الساخرة والتشويهات العنيفة للجسم البشري ، وعمل مجموعة عظيمة من منحوتاته المعدنية ، وفي عام ١٩٣٧م ، كانت لوحته الشهيرة « جورنيكا » التي تظهر في الصفحة المقابلة .

جاكوار ذات الطابع الشخصي المميّز

مهما بحثت، لن تجد مثيلا لسيارة جاكوار الجديدة اكس جي من المجموعة ٣.
فطابعها الشخصي المميّز ينعكس من خلال خطوط تصميمها الفريد وتجهيزاتها الداخلية
الفخمة. والمهارة الحرفية والعناية الفائقة باتقان أدق التفاصيل تنجلي في اللوحة
الامامية المصنوعة من خشب الجوز والمصقولة باليد، والمقاعد المكسوة بالقماش أو الجلد الرائع
التي تم تفصيل وتنجيد كل منها على حدة.

غير أنه لا يمكنك الاحساس بشخصية جاكوار المميزة والتجاوب معها الا عندما تقود واحدة
من سيارات اكس جي الجديدة من المجموعة ٣. فمحركها الرائع ذو
الاسطوانات الست سعة ٤ر٢ لتر يضع في متناولك كل القوة التي تحتاجها والتي
تستطيع ايضا التحكم كليا بها، بينما تقوم الاطارات الخاصة ذات التصميم العريض
جداً بتأمين الثبات والاستقرار الذى لا يضاهى على الطرقات. ومهما كانت الطريق صعبة أو
وعرة فأنك تجتاز الحفر والعوائق والمطبات بسلاسة ونعومة بفضل نظام
التعليق الفريد، والمحرك الصامت الذى يدور بهدوء تام في كافة أحوال القيادة.

هذه تجربة جديدة في قيادة السيارات لا يمكنك ادراكها وتقديرها الا من وراء عجلة القيادة.

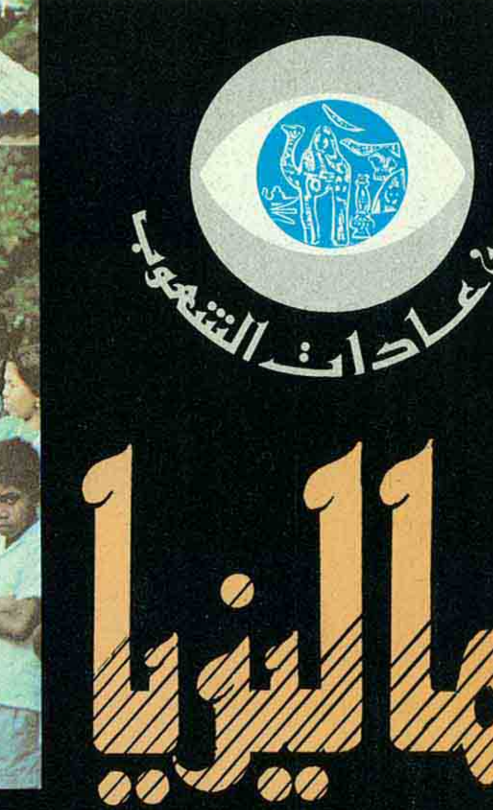
جاكوار الجديدة من المجموعة ٣٠٠٠
سيارة ذات شخصية مميزة لذوى الشخصية المميزة.



أبو ظبي: الشركة المتحدة للسيارات والتجارة
البحرين: محمّد جلال وأولاده

الكويت: شركة السيارات الكويتية للتجارة ذ. م. م
المملكة العربية السعودية: شركة العليان للمقاولات العامة
دبي: عبد الرحمن الزياني وأولاده

سلطنة عمان: محسن حيدر درويش
قطر: شركة الدوحة للسيارات والتجارة



من عادات الشعوب

ماليزيا



★ عرس إسلامي ★

ماليزيا دولة اتحادية فيدرالية Fedration ، تقع في جنوب شرقي آسيا ، تتألف من منطقتين منفصلتين جغرافياً ، تبعدان عن بعضهما حوالي (٦٤٠) كم ، ويفصل بينهما بحر الصين الجنوبي ، ويطلق على المنطقة الأولى ماليزيا الشرقية (وهي تتألف من ساراواك وصباح ، وكلاهما في جزيرة بورنيو Borneo) . والثانية هي ماليزيا الغربية ، ويحدها من الشمال (تايلند) ، ومن الجنوب (سنغافورة) Singapore ، ومن الشرق بحر الصين الجنوبي ومن الغرب مضيق مالاقة Malacca . أما ماليزيا الشرقية فيحدها من جهة الساحل الشمالي بروني Brunei * ، ومن الجنوب والشرق (بورنيو) الأندونيسية (كاليمنتان) Kalimantan ، ومن الشمال بحر الصين الجنوبي ، ومن الشرق بحر (سولو) Sulu

★ فتاتان من جزيرة «ساراواك» من قبائل الداياك البحرية ★



ودولة ماليزيا **إحدى دول الكومنولث البريطاني** .. نظام الحكم فيها **ملكي دستوري ، ولغتها الرسمية : الماليزية** ، والإسلام دين الدولة الرسمي . مساحتها

(٣٢٩,٧٤٧) كم٢ ، ويقدر **عدد سكانها** بـ (١١,٦٠٩,٠٠٠) نسمة حسب تقديرات عام ١٩٧٣ م . **عاصمتها (كوالا لامبور)** Kuala Lumpur ، **والوحدة النقدية هي** الدولار الماليزي .

يتوزع السكان بمعدل ٧٣٪ منهم في الريف ، و ٢٧٪ منهم في المدن ، وتبلغ الكثافة السكانية ٣٥ شخصاً في / كم٢ .

وقد أعلن قيام دولة ماليزيا رسمياً في ١٦ أيلول (سبتمبر) عام ١٩٦٣ م ، ويمثل المسلمون أكثر من نصف السكان .

أهم الغلات الزراعية المطاط ، وتنتج ماليزيا وحدها ثلث الإنتاج العالمي من المطاط الطبيعي ، ويلي ذلك البن ، والأرز ،

والأخشاب ، والفلفل . ومن مصادر الثروة المعدنية فيها القصدير والمنغنيز والكروم . ويبلغ إنتاج الملايو (ماليزيا) من القصدير حوالي ثلث الإنتاج العالمي .

ومن أهم المشكلات التي تواجه التقدم في هذه الدولة صعوبة المواصلات الداخلية ، وتعتبر الطائرات الوسيلة الوحيدة والرئيسية للنقل في مناطق كثيرة فيها .

• ماليزيا قلب آسيا النابض •

ما زالت ماليزيا أحجية للدارسين ، ففيها خليط عجيب من الشعوب ، والسلالات العرقية ، واللغات المختلفة ، والعادات والتقاليد الغريبة . ولكي نعرف مدى هذا التنوع العجيب نقول إن في ماليزيا مئة وسبع وثلاثين ملة وطائفة وعشيرة مختلفة تمام الاختلاف . وشبه جزيرة ماليزيا (الملايو سابقاً) تنفصل عن **(ساراواك)** Sarawak و **(صباح)** Aabah بمسافة (٦٤٠) كم أو ثلاث عشرة ساعة من الإبحار المتواصل .

وتقول أغنية قديمة في (بورنيو) : «بلاد مختلفة وقلوب متعددة» ، كما يغني الملاحون المسلمون (الموروس) أغنية تقول : «أرض الله الواسعة .. وبحرها عذاب للملاحين» .

أما المثل الصيني فيقول : **«من يعرف ماليزيا يعرف قلب آسيا النابض» .**

ولكن أية ماليزيا نعني بذلك ؟ هل هي ماليزيا السلاطين الذين وفد أجدادهم من حضرموت في شبه الجزيرة العربية ومن الهندوستان ؟ أم هي ماليزيا السكان البدائيون الذين نستعرض بعضاً من عاداتهم الغريبة هنا ؟ أم أنها ماليزيا الصينيون الذين يعيشون حسب العادات الهندية ؟ أم هي ماليزيا الأقزام والساكاي والداياك والسام ـ سام ؟ أم أنها ماليزيا العرق الهجين ؟ أم أنها ماليزيا الأديان العديدة : الإسلام ، والمسيحية والبوذية والطاوية والأرواحية ؟..

هذا يقودنا إلى أن نسأل : مَنْ هو الماليزي ؟ لا أحد يستطيع أن يجيب على هذا السؤال . فالماليزي المثقف ما زال يبحث في هذا الخضم عن هوية مفقودة . مَنْ هم الماليزيون فعلاً ؟ إنها البراكين والبحار المائجة والغابات الكثيفة .

لقد اختفت إحدى الجزر المرجانية تماماً سنة ١٩٧٠ م ، بعد ثورة بركان في قاع البحر .

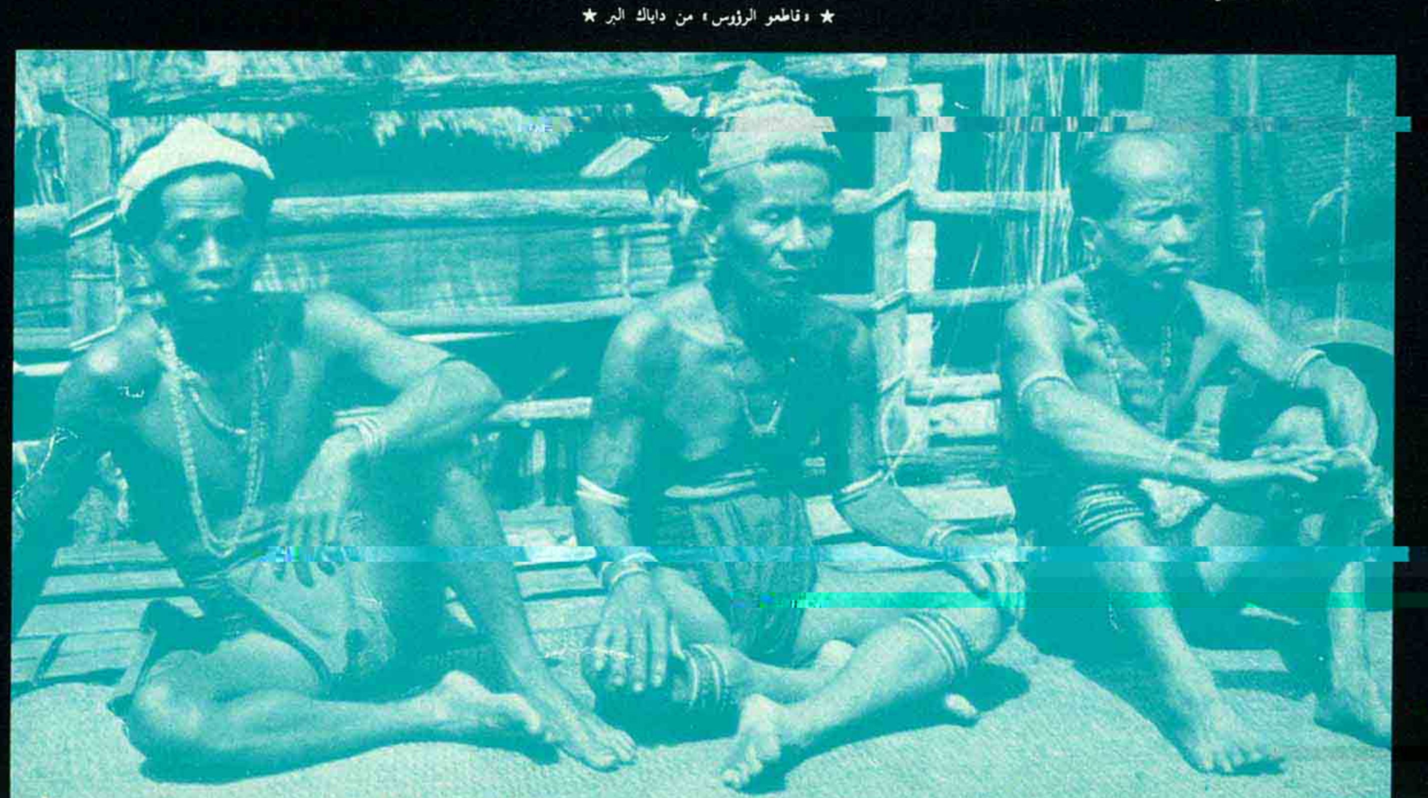
وفي عام ١٩٧١ م ، عندما كانت تحاول دورية عسكرية اختراق إحدى الغابات ، وصلت إلى مستنقع كبير يملؤه البعوض ، وهنالك رأى الجنود قبيلة بدائية لم يسمع عنها أحد من قبل ... وما أن شعر هؤلاء باقتراب الجند حتى بادروا إلى الاختفاء في أعماق الغابة الكثيفة .

• تقاليد وعادات قبائل الداياك •

يطلق على جزيرة **(ساراواك)** اسم



★ صياد من عشائر (السينوي) البدائية ★



★ «قاطعو الرؤوس» من داياك البر ★

قرنه يحتوي على مواد مقوية للباءة أو مخصبة من الناحية الجنسية . ولذلك يبيعونه إلى الصينيين الذين يعتقدون نفس الاعتقاد إضافة إلى بيض السلاحف الضخمة .

أما نساء (الداياك) فيجلسن في أكواخهن يدخن الطباق (التبغ) الذي يوضع ضمن قشرة موز جافة ليصبح (سيجاراً) ضخماً . ويزين رجال (الداياك) أجسادهم بالوشم ، كما يضع بعضهم الأقراط في أذنيه .

● قبائل السينوي ●

في داخل الغابات الكثيفة تعيش **قبائل (السمانغ)** Semang ، و **(الساكاي)** Sakai التي يطلق عليها اسم (سينوي) Senoi ، وسلاح هؤلاء البدائيين القوس والسهم . وسهامهم لا تخيب ، وتودي إلى الموت المحتم ، وهم يستخرجون من عصارة بعض الأشجار مادة يسممون بها رؤوس السهام التي تودي إلى الشلل ثم الموت .

ومن غرائب عاداتهم إذا مات شيخ عشيرتهم أنهم يهجرون أكواخهم وقراهم . ويعتقدون أن روح الميت تخرج من إبهام قدمه ، إذ إنها لو خرجت من رأسه ــ كما يعتقدون ــ لطار رأسه معها . وهم يزينون الميت بأن يحلقوا له شعره تماماً ويدهنون جسمه بخطوط



★ نساء مسلمات محجبات ★

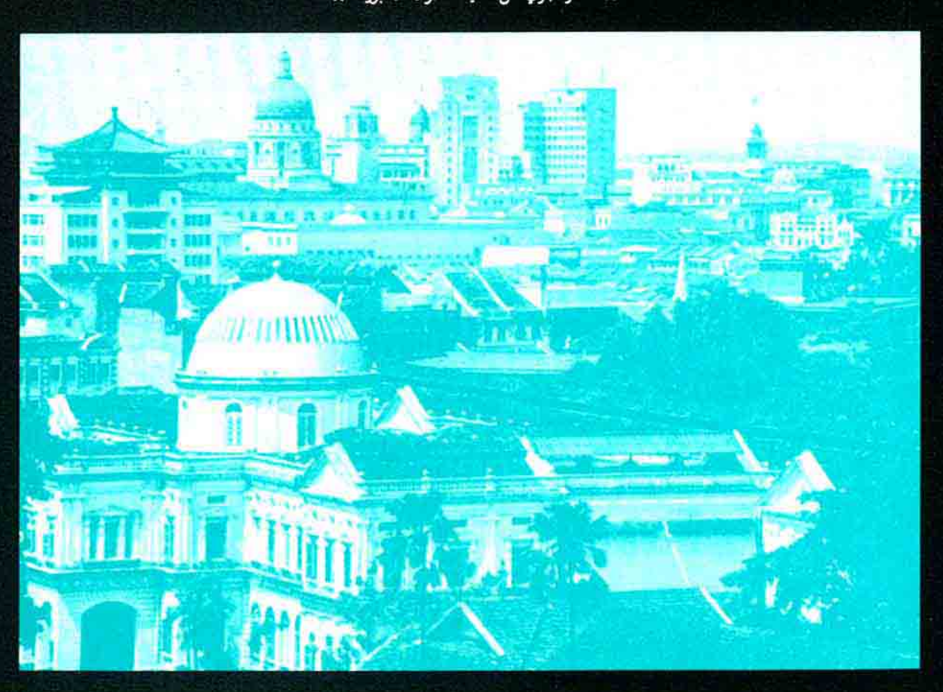
(جزيرة الرياح) ، ولولا بعض المدن الصغيرة فيها لقلنا إنها ما زالت تعيش في العصر البرونزي . هنا نجد عشائر **(مروت)** Murut البدائية ، ويدفن هؤلاء موتاهم مع طعامهم وشرابهم وتبغهم وغلايينهم .. هذه العشائر يحصدها مرض السل حصداً ، أو تصطادها التماسيح ، ولولا تدخل الحكومة ومنظمة اليونيسيف لكانوا في طريقهم إلى الانقراض المحتم .

أما قبائل **(الداياك)** Dayak أو (قاطعو الرؤوس) فإنهم ما زالوا يزينون أكواخهم بالجماجم البشرية . كتبت عنهم الرحالة الأميريكية **(هيدا موريسون)** تصفهم بأنهم قوم لطفاء ، ولعلها نسيت أن هؤلاء يعتريهم الغضب الشديد ، والنزعة العدوانية إذا أكرمت أحدهم بأن قدمت له مقعداً أو كرسياً للجلوس عليه . فالجلوس رمز للراحة ، والمقاعد ــ في عرفهم ــ هي للنساء والعاجزين . وقد حدث ذات مرة أن قدّم أحد الرحالة كرسياً خشبياً منخرفاً الى أحد مشايخ عشيرتهم ، وسرعان ما اخترق جسده سهم سدد إليه أرداه صريعاً على الفور .

و (الداياك) يعتنقون **ديناً « أرواحياً »** Animist ، يقول بأن الروح موجودة في كل مكان وفي كل شيء . فالشجر والحجر له روح ولو كان لا يتحرك .

ويقوم الرجال منهم بالصيد ومن أهم طرائدهم وحيد القرن **(الكركدن)** ، وما يهمهم فيه هو قرنه ، فهم يعتقدون أن مسحوق

★ منظر جزئي من مدينة «كوالا لامبور» ★



حمراء ورمادية ثم يأتون بالنائحات ، وهن نساء مهنتهن النواح والبكاء على الموتى . فهن يقمن بالنواح والعويل بدلا من عائلة الميت ، كما ينحن ويعولن بدلا من أهل البنت التي ستتزوج وتفارقهم ، ويبكين بدلا من الزوج إذا أنت آلام المخاض زوجته قبل الولادة !

وفي بعض القرى حيث يأتي بعض الصينيين بأجهزة عرض سينمائي ليعرضوا أفلام رعاة البقر الأميركية ، فإن بعضاً من هؤلاء (السينوي) يستأجر النائحات للبكاء على بطل (الفيلم) جُرح أو أصابه شيء !

وقد بدأ هؤلاء البدائيون اليوم بالانفتاح على حضارة جديدة خاصة بعد انتشار زراعة أشجار المطاط وتصنيعه ، والتنقيب عن القصدير . وتقوم الحكومة بالتعاون مع منظمة (اليونيسيف) بإدخال التعليم والوسائل الحديثة في أقاليمهم ، كما تشجعهم الحكومة على إنتاج صناعات يدوية دقيقة برعوا فيها مثل الأطواق ، والحلي البدائية ، والأقنعة ، والآلات الموسيقية المصنوعة من مواد تتوفر في الغابات .

★ شيخ عشيرة من « الداياك » يتأمل بفخر جمجمة أحد أعدائه ★

★ عملية الوشم لدى القبائل البدائية تعني قبول الشاب مع المحاربين ★





★ بداية سير فرقة السعدان في الصباح بحثاً عن الطعام ★

قردة السعدان البرية

بقلم :

د . أحمد نبيل أبو خطوة

د . أحمد محمد غندور

د . عبد الإله عبد العزيز باناجه

في صباح يوم بارد من أيام شتاء (أبها) بجنوب المملكة العربية السعودية ، وعلى أحد مرتفعات جبال تهامة الشاهقة ، بزغت الشمس من بين الغيوم والضباب لتشع نورها فتضفي دفئاً وجمالا على المكان .. وهناك يجلس أفراد البعثة العلمية ، مركزين أبصارهم على قمم الجبال ومنحدراتها ، مترقبين الأمل في اللقاء .

ويمضي الوقت بطيئاً ، وفجأة يرتجف المكان بأصوات قوية تنبعث من بين الجبال مرددة الصوت المعهود **(باهو) .. (باهو)** . وينظر أفراد البعثة تجاه مصدره لعلهم يهتدون إلى مكان انبعاث هذه الأصوات ، أصوات القردة .. **قردة السعدان** . لقد كثرت القصص حول (**الريحان**) من أهل البادية ، كما يتذكر بعضنا أنه رآها وهو طفل صغير تجوب مرتفعات مدينة (**الطائف**) والجنوب .

إن السعدان حيوان غريب ، يمكنه أن يتكيف في بيئات مختلفة ، فهو موجود في **غابات إفريقيا** الكثيفة النمو ، وفي **مناطق أعشاب السافانا** المفتوحة ، وأيضاً في المناطق الصحراوية . وكل من هذه الأنواع له من الخصائص والعادات ما يميزه عن غيره .. لذلك كان أول هدف لنا هو التعرف على نوع (أو ربما أنواع) قردة السعدان الموجودة في السعودية .. وهل هذه القرود تنتمي إلى الأنواع الإفريقية أم الآسيوية ؟ وما أعدادها على وجه التقريب ؟ وممن تتركب الأسرة لديها ؟ وما هو عدد أفراد هذه الأسرة ومتوسط أعمارها ؟ وهل هناك سلطة معينة تقوم بإدارة وتوجيه هذه الوحدة الأسرية ؟ وهل تتغير هذه السلطة بمرور الوقت ؟ وما طرق التواصل والتفاهم بين الأفراد وبعضها ؟ وما الأصوات وتعبيرات الوجه المختلفة التي يستخدمها السعدان تحت الظروف المختلفة ؟ وما مصادر غذاء السعدان الرئيسية ؟ وكيف يحصل عليها ؟ وهل هناك خطورة من تواجدها على سكان هذه المنطقة ؟ هذا إلى كثير من الأسئلة التي جعلت من رحلتنا مسرحاً خصباً للبحث والتنقيب .



★ السعدان وقت الراحة والاستمتاع بدفء الشمس ★



في جنوب المملكة العربية السعودية

وها نحن الآن نراها عن كثب ، من خلال المناظير المقربة ، وتتحرك آلات التصوير والتسجيل معلنة عن **بدء أول رحلة علمية استكشافية من أجل تتبع أسراب قردة السعدان البرية ودراسة سلوكها وتنظيمها الاجتماعي على الطبيعة .**

طريقة دراسة السعدان

كانت أول مرة نشاهد فيها السعدان صباح يوم باكر بالقرب من **وادي « رنية » جنوب الباحة** ، حيث لاحظها فريق منا أثناء وجوده على قمة **جبل « عبلة »** الأبيض الذائع الصيت بين أهل تلك المنطقة ، فلقد كان القطيع يشرب من مجرى مائي صغير . وإذا بالكل يمتلئ حماساً ونشوة لرؤيتها . . وبدأنا الدراسة . وكانت الطريقة المتبعة عند رؤية السعدان هي الاقتراب منها بهدوء ووضوح ، وكنا لا نحاول أن نخفي أنفسنا عنها ، بل كنا نسير معها حتى تانس وتتعود علينا وبدا يزول الخوف منها . أما إذا رفضت وجودنا في مبدء الأمر ، فما علينا إلا أن نجلس القرفصاء ونحاول أن نشغل أنفسنا بأي شيء دون النظر إليها مباشرة .

وبهذه الطريقة نتمكن مع مرور الوقت من أن نجعل المسافة بيننا وبين السعدان نحو ٥٠ متراً ، ولقد تناقصت هذه المسافة التي تسمح لنا بالاقتراب منها حتى وصلت إلى نحو عشرة أمتار فقط . وكان ذلك في أحد **معسكرات عمال الطرق بالقرب من مدينة (أبها)** حيث اعتادت السعدان المجيء إلى هذا المكان بصفة شبه منتظمة ، من أجل الحصول على بقايا ونفايات الطعام التي يتخلص منها العمال كل صباح .

البعثة وأهدافها

غادرت البعثة العلمية **مدينة (جدة)** صباح أول يوم من السنة الميلادية الجديدة ، ومعها أحد الأساتذة الزائرين المتخصصين في علم سلوك القرود ، وهو **البروفيسور « هانز كومر » الأستاذ بجامعة زيورخ بسويسرا** ، واتجهت صوب الجنوب في خط سير يبدأ من جدة . وينتهي عند **الثالوث** . . . إحدى القرى الصغيرة الموجودة في **وادي مربه** جنوب (أبها) ، ولقد مرت البعثة بالطائف ، ثم « الباحة » ، ثم منطقة العقيق ووادي (رنية) إلى (أبها) ومنها إلى وادي مربه صوب **نجران** .

لقد **استغرقت رحلتنا نحو شهر كامل** . . وقد ضربنا **الخيام** في الأودية ذات المياه الجارية طوال العام ، حيث الخضرة وجمال الطبيعة العذراء الذي يتمتع بها الجنوب ، وعلى المرتفعات حتى يتسنى لنا رؤية السعدان بسهولة وتسجيل حركاتها وسلوكها .

ولمعرفة وتمييز الأفراد عن بعضها البعض ، فلقد استخدمنا وجود أية علامات أو جروح على الجسم كطريقة للتمييز . كما استخدمنا أحياناً شكل فتحة الأنف وشكل خصلات الشعر الموجودة عند نهاية الذيل . أما بالنسبة **للإناث** ، فكنا نلاحظ طول الثدي وشكل الحلمات ومواضعها بالنسبة لبعضها البعض ، وذلك من أجل تمييز الإناث الناضجة جنسياً عن غيرها .

وكنا نتتبع السعدان دائماً مشياً على الأقدام ، وكانت ملاحظاتنا تتم إما بالعين المجردة أو باستخدام المناظير المقربة . . وأثناء رؤية السعدان ، وخاصة وقت الظهيرة عندما يقل نشاطها ويزداد ميلها إلى الراحة ، كنا نسجل كافة الملاحظات عليها وذلك على فترات زمنية متقاربة يفصل بينها دقيقة أو دقيقتين ، وذلك باستخدام مكبر للصوت مثبت بالمنظار المقرب ومتصل مع جهاز للتسجيل يحمل على الكتف . **لقد قضينا نحو مئة ساعة في ملاحظة السعدان** ، منها نحو عشر ساعات في الملاحظة لها أثناء وجودها عند « **صخور النوم** » ، وهي أماكن النوم التي تلجأ إليها قبل غروب الشمس . **أما عدد قردة السعدان التي شاهدناها بالفعل فكانت تقارب الألف .**

نتائج الدراسة

لقد تأكد لنا أن قردة السعدان الموجودة في منطقة **جبال عسير** بجنوب المملكة العربية السعودية ، هي كلها من نوع واحد يعرف باسم

قردة « الهيمادرياس » Papio Hamadryas ، وهذا النوع من السعدان هو واحد من عشرة أنواع على الأقل معروفة في العالم . ويتميز « الهيمادرياس » الموجود في السعودية بأنه يشبه كثيراً في شكله وسلوكه ذلك النوع الإفريقي الموجود في **الحبشة** ، والذي يعيش في المناطق الجافة الصخرية . فهي قردة تعيش على هيئة عائلات محددة التركيب الاجتماعي ، بعكس قردة السعدان التي تعيش في مناطق السافانا مثل : Anubis Papio, Papio, Papio الموجودة في مناطق شرق إفريقيا .

ويبدو أن هذه القردة قد هاجرت إلى منطقتنا عن طريق الحبشة منذ أكثر من عشرة آلاف (١٠,٠٠٠) سنة ، وذلك إما عبر باب المندب جنوب البحر الأحمر ، أو شمالا عبر **خليج العقبة أو السويس** . وسوف تبين لنا نتائج هذه الدراسة في القريب العاجل أي تلك النظريات هي الأكثر احتمالا ، خاصة وأن لدينا الآن الكثير من المعلومات عن سلوك وخصائص قردة « الهيمادرياس » الموجودة في الحبشة .

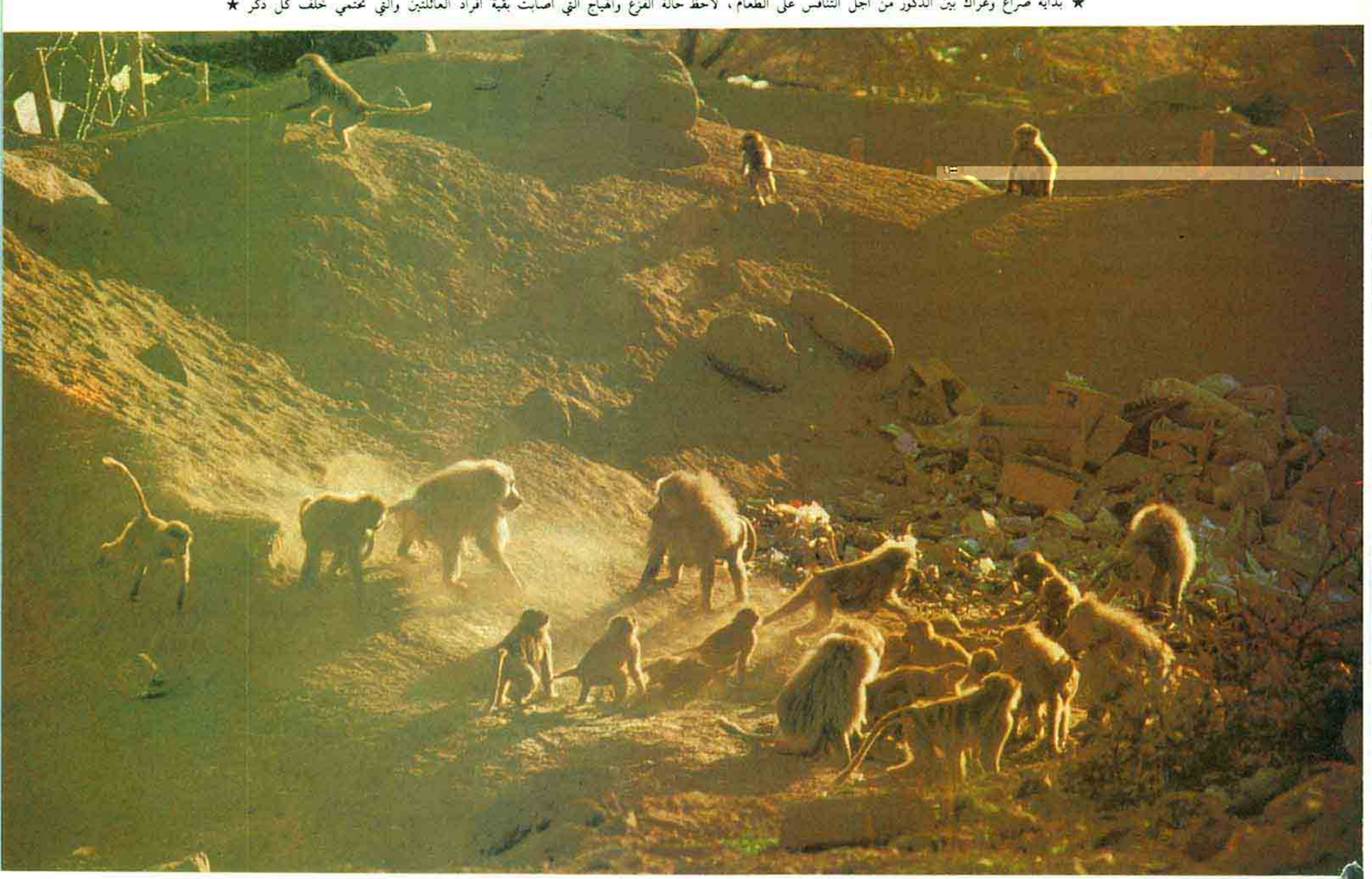
ومما هو جدير بالذكر أن هذا النوع من السعدان كان معروفاً لدى القدماء المصريين ، وكان يعرف باسم القرد المقدس .

التنظيم الاجتماعي للسعدان

لقد دلت دراستنا على أن لقردة السعدان تنظيماً اجتماعياً فريداً من

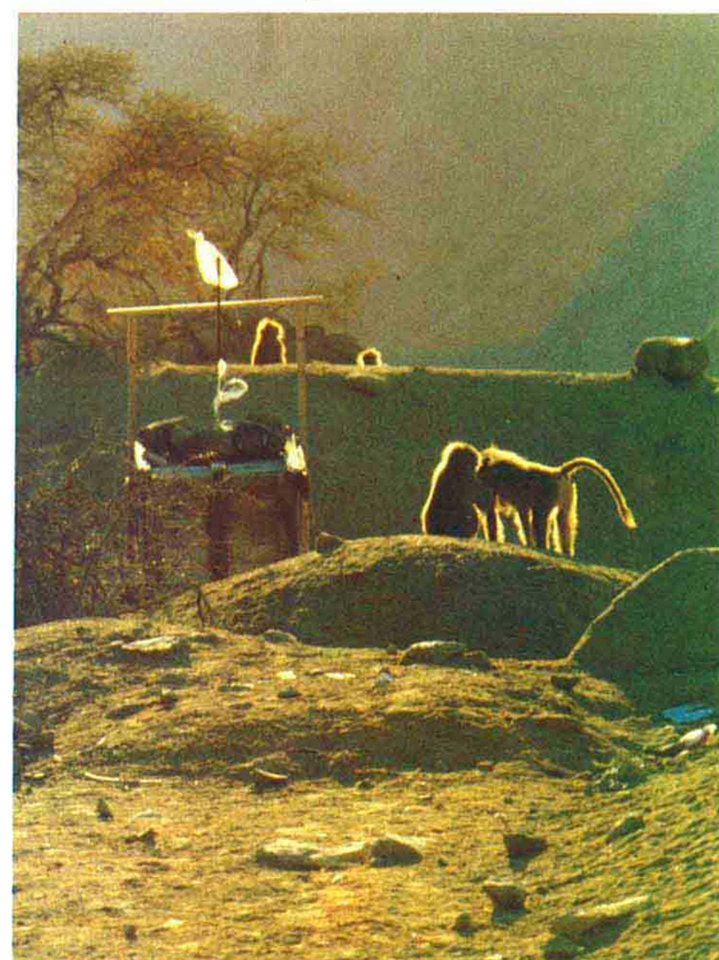
★ واحد من السعدان يستعد للقفز ★

★ بداية صراع وعراك بين الذكور من أجل التنافس على الطعام ، لاحظ حالة الفزع والهياج التي أصابت بقية أفراد العائلتين والتي تحتمي خلف كل ذكر ★



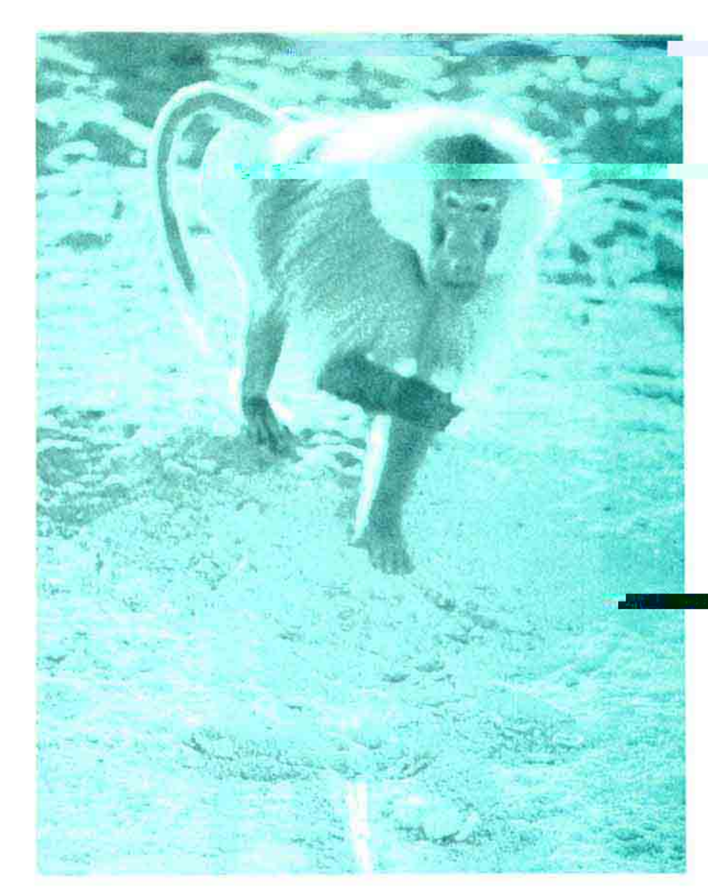
★ تجمع ثلاث عائلات من نفس الفرقة بالقرب من أحد مصادر الطعام ★

تعد عملية تمشيط الشعر والتقاط الأتربة والحشرات منه أحد أنواع السلوك الشائعة بين أفراد القبيلة الواحدة ★



نوعه . فهي لا تعيش منفردة بل في جماعات تتركب من ثلاثة مستويات اجتماعية . المستوى الأول وهو **الفرقة** (Troop)، وهذه أكبر وحدة اجتماعية ، وتتكون من جميع الأفراد التي تشترك جميعها في مكان واحد عند النوم ، وهذا المكان عادة ما يكون في منتصف منطقة جبلية صخرية شديدة الانحدار (Sleeping Rocks) . وعدد أفراد الفرقة الواحدة يتراوح عادة ما بين ٤٠ - ٧٠ فرداً . وتتكون الفرقة من عدة **جماعات** (Bands) ، كل جماعة تتكون من ١٠ - ٣٠ فرداً ، وهذه الأفراد دائماً ما تكون قريبة من بعضها البعض . فهي تسير معاً كل صباح في نفس الاتجاه بحثاً عن مصادر الطعام .

وتتكون الجماعة من عدة **وحدات عائلية** (Families)، كل منها تتألف من ذكر واحد يافع ، قوي البنية ، غزير الشعر الرمادي اللون والذي يغطي الأكتاف ، مع عدة إناث قليلة الشعر البنية اللون والصغيرة الحجم نسبياً . وعدد الإناث في العائلة الواحدة يتراوح بين ١ - ٧ إناث كلهن ينتمين إلى ذكر واحد . بالإضافة إلى عدد من صغار الذكور والإناث التي أنجبتها تلك الأمهات . وهذه الوحدة الأسرية ليست بالنوع الوحيد من أنواع الترابط الشديد بين الأفراد ، فهناك وحدات اجتماعية أخرى صغيرة العدد ، تضم فيما بينها مجموعة من الذكور المتقاربة الأعمار ، وأخرى مماثلة من الإناث ، وثالثة تضم صغار الذكور والإناث الدائبي الحركة والتي تنتمي إلى عائلات مختلفة .



★ أحد الذكور البالغة يلتقط الطعام ، وهو يستخدم يديه عادة بكفاءة متماثلة ★

النشاط اليومي للسعدان

بعد انتهاء يومها الحافل بالنشاط الذي قضته بحثاً عن الطعام واللعب والراحة والصياح والمشاجرة . . وقبل غروب الشمس (في الفترة ما بين الساعة الرابعة والخامسة مساء) تسير القردة في جماعات صوب مكان معين من أجل **النوم** . وكثيراً ما يكون هناك في **المقدمة قائد كبير السن** . . وربما أكثرهم خبرة ، يتولى تحديد مكان النوم الذي قد يختلف أحياناً من يوم إلى آخر . ومكان النوم عادة ما يكون مكاناً فسيحاً في قلب أحد الجبال الصخرية الشديدة الانحدار . **ويقضي السعدان الليل نائماً وهو جالس** . . وليس براقد مثل الإنسان . وكل قرد يختار واحدة من قمم الصخور الضيقة القائمة (Vertical cleft) الشديدة الانحدار لينام عليها .

وطريقة نوم السعدان غريبة للغاية . . فهو ينام بعد أن يجلس ويخفض رأسه تجاه صدره ، مع جعل أرجله وذيله تتدلى على جوانب هذا المرتفع الصخري الضيق المساحة . **ويبدو أن نوم السعدان من النوع المتقطع غير العميق** . . فهو كثيراً ما يصحو أثناء نومه ، وقد يصيح أحياناً عندما يرى إحدى إناثه تترك مكانها !

ومما هو جدير بالذكر أن طريقة نوم السعدان البرية لم يلحظها على الطبيعة إلا عدد قليل من الباحثين في العالم ، وذلك لصعوبة العثور على أماكن النوم من جهة وقلة درجة الرؤية بعد غروب الشمس من جهة أخرى . ولقد تغلبنا على هذه المشكلة الأخيرة جزئياً عن طريق استخدامنا لمناظير مقربة ذات عدسات من نوع خاص تمكن من الرؤية الجيدة بعد غروب الشمس وقبل حلول الظلام الدامس . ونأمل في المستقبل استخدام نوع آخر من المناظير العسكرية التي تعمل على تركيز ضوء القمر والنجوم وجعلها مصدراً مناسباً للضوء ، وبذا نتمكن من ملاحظة سلوك السعدان في الظلام .

وقبل شروق الشمس مباشرة تنزل قردة السعدان من أماكن نومها إلى الساحة الموجودة في قلب الجبل حيث تجلس لبعض الوقت حتى طلوع الشمس . وقد يتراوح هذا الوقت من عدة دقائق إلى ثلاث ساعات كاملة . وأثناء هذا الوقت قد يتثاءب البعض وخاصة كبار السن وعندئذ تخفض رؤوسها تجاه صدورها وتغفو في نعاس قد يستمر لعدة دقائق . وقد يقوم البعض الآخر بتنظيف جار له وذلك من أجل إزالة الأتربة والحشرات العالقة بشعره ، ويبدو أن المكافأة التي تعود على المنظف في هذه الحالة هي وجبة جيدة من الحشرات « والقراد » التي يجمعها من شعر جاره ويتغذى عليها ! كما تتميز فترة الصباح باللعب واللهو خاصة بين الذكور وبين صغار السن ، كذلك تتميز هذه الفترة أيضاً بأنها من أنسب الفترات للاتصال الجنسي بين الذكور والإناث .

وبعد قضاء فترة التريض الصباحية ، تستعد الفرقة للقيام بجولتها اليومية من أجل البحث عن الطعام . وتبدأ المسيرة عادة منظمة وسريعة . . وهنا تتوقف كل أعمال اللعب والتناسل وتبدأ الأفراد تتجمع وتنضم إلى الفرقة لتسير معها في مشوار طويل عبر الجبال والوديان . وكثيراً ما تكون حركة أفراد الفرقة سريعة وبدون توقف ، وبعد نحو

★ ذكر السعدان يتطلع إلى عدسة المصور باستغراب ★



نصف ساعة إلى حوالي الساعة من هذا السير المستمر ، تبطئ حركة الفرقة ويتوقف بعض الأفراد بحثاً عن الطعام . ويتغذى السعدان على عدد كبير من النباتات وخاصة علىثمار الشجيرات والأشجار وبذور الحشائش ، ويبدو أن **ثمار التين الشوكي** تعد أفضلها إن تمكن من الحصول عليها ! .

ولقد شاهدنا كثيراً من السعدان فوق **أشجار السنط** (أكاسيا) تتغذى على الأزهار والأوراق الجافة وذلك باستخدام كلا اليدين بكفاءة متساوية ! كما لاحظنا أيضاً تجمعات كبيرة من السعدان في الصباح المبكر عند أماكن تجميع القمامة بالقرب من مدينة (أبها) ، وهذا الأخير يعد من أهم المصادر الحالية التي تعتمد عليها السعدان كمصدر هام من مصادر الغذاء ، **كما أن السعدان لوحظت تتغذى على الحشرات من حين إلى آخر** . أما عن **الشرب** فهم يشربون على فترات يتخللها نحو ساعة أو ساعتين من الراحة ، وخلال هذه الفترة يغلب اللعب والصياح والتنظيف .. ولكن لا يتخللها عادة اتصال جنسي بين الذكور والإناث .

وبعد الظهر ، يتوالى رجوع مجاميع السعدان متجهة صوب « صخور النوم » .. وقبل الغروب يكتمل أفراد الفرقة وتكون كلها قد رجعت .. ويحل اظلام وسكون الليل وينام السعدان .. ليبدأ في الصباح المسيرة من جديد .

الذكور تحترم بعضها

تعد علاقة الذكور مع بعضها البعض من أهم مميزات التنظيم الاجتماعي عند السعدان .. وهنا لا يتدخل الذكر في شؤون عائلة مجاورة ، ولا يحاول أن يتنافس مع رب العائلة الأخرى للحصول على واحدة من الإناث . ولذلك كثيراً ما تكون العلاقة بين « رب الأسرة » وإناثه علاقة قوية قد تمتد إلى عشرات من السنين . ولقد أجريت دراسات عملية في هذه الناحية في إحدى **حدائق الحيوان في سويسرا** ، وتبين أن وجود أي من الذكور بمفرده بالقرب من عائلة مكونة من ذكر وأنثى لم ينجم عنه أية اعتداءات بين الذكرين كما هو متوقع في عالم الحيوانات . والغريب في الأمر أن هذا الذكر الوحيد جلس خجولا منطوياً على نفسه لا يقوى على النظر تجاه العائلة التي أمامه والموجودة في نفس القفص ! بل كثيراً ما كان يدير رأسه في اتجاه معاكس ومحاولا أن يشغل نفسه بأية أعمال أخرى .

هذا الاحترام المتبادل بين الذكور وبعضها كان من شأنه أن يقلل حالات الشجار والتنافس بين أفراد القطيع البري . وإن حدث شجار فهو غالباً ما يكون بسبب الطعام .. وحتى في هذه الحالة لا يؤدي الشجار والعراك إلى نهايات أليمة يروح ضحيتها أحد ، لأنه غالباً ما يستسلم أحد المتشاجرين للآخر ، وفي الحال يتوقف القتال دون إسالة الدماء !

خطوبة السعدان

قد يؤدي الاحترام المتبادل بين الذكور وبعضها إلى حرمان بعض الذكور وخاصة صغار السن منهم من الحصول على الإناث . لذلك عادة ما يلجأ هذا الذكر « العازب » إلى أسلوب طريف من أجل الحصول على أنثى واحدة أو أكثر . فعندما تقع عيناه على إحدى الإناث الصغار يبدأ في التودد إليها وملاحظتها أثناء وجودها مع عائلتها يوماً بعد يوم .. حتى تحين الساعة الملائمة فيندفع الذكر ناحية هذه الأنثى ويقوم بخطفها من ذيلها ويجري بها بعيداً وهي من خلفه تصيح وتزحف على الأرض ! حتى إذا ما ابتعد عن أنظار أبيها الذي لا يقوى على ترك بقية عائلته ، بدأ يروضها بالعنف تارة وباللين تارة أخرى ، حتى تخضع له وتتبعه في النهاية أينما ذهب . وقد تستغرق **فترة الترويض والتكيف** هذه عدة أيام .. بعدها تكون الأنثى تابعة لهذا الذكر وملكاً له ، ولا يبدأ التزاوج عادة إلا بعد ثلاث سنوات حينما يكتمل النضج الجنسي لها .

وبعد ، فهذه دراسة ميدانية مبدئية عن قردة السعدان ، وهي واحدة من الدراسات البيئية التي نوليها اهتماماً كبيراً من أجل التعرف وبالتالي الحفاظ على ثروة البلاد من الحيوانات البرية الموجودة بها .

★ حنان الأمومة عند السعدان ★



المراجع

1 – Kummer, H. Social Organization of Hamadryas Baboons (1968).
2 – Ibid ———, Primate Societies (1971).
3 – Grzimek Encyclopaedia of Ethology (1977).

الإنسان.. والفن

تقديم
محمد تامر

تصوير
محمد صبري


★ الفنان بريشته ★

«فن الرسم لذة لا يعرفها غير الرسامين»
كلمة للناقد الإنجليزي المتخصص في الفنون التشكيلية «وليم هازليت» .. من خلال هذا المنظور ينطلق الفنان التشكيلي «صبري راغب»، الذي تخصص في تصوير الأشخاص أو فن البورتريه .. في تطوير فنه بإخلاص ولذة جعلاه يبذل كثيراً من التضحيات ليصبح واحداً من معالم هذا الفن في مصر، وتحظى لوحاته بالتقدير والإعجاب في الداخل والخارج.

وصبري راغب من مواليد ٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٢٠م، بحي القبيسي بالقاهرة، قد بدأ الرسم وعمره ٤ سنوات. كان يرسم على الحيطان والأوراق رغم معارضة والديه: لكن أمام إصراره وفروا له الأوراق والألوان حتى لا يتلف الجدران..

استمر يرسم دون كلل أو ملل، وقد ضحى بكل شيء من أجل لذة فن الرسم.. فالتحق بكلية الفنون الجميلة عام ١٩٣٨م، وفصل من الكلية في نفس العام!!

فصل لأنه كان يهيم على وجهه يرسم ويرسم، وينسى الحضور إلى الكلية، والنتيجة أنه لم يحصل على النسبة المقررة للحضور، التي تتيح للطالب دخول الامتحان، ففصل.

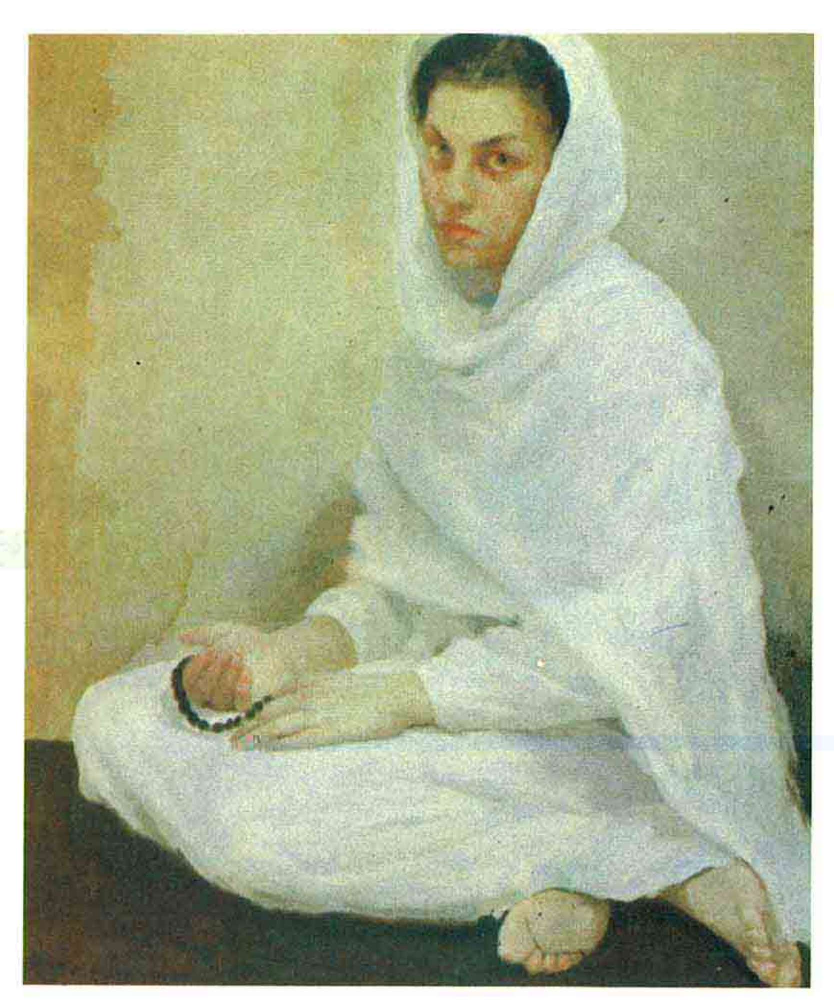
البكالوريوس في ١٥ عاماً

كان الطالب المفصول قد لفت بلوحاته نظر الفنان الأستاذ «أحمد صبري» الذي عز عليه أن تغلق أبواب كلية الفنون الجميلة في وجه طالب كل ذنبه أن لذة الرسم قد استولت عليه.. فشجع تلميذه على السفر إلى إيطاليا لاستكمال الدراسة.

في أواخر عام ١٩٣٩م، حزم أمتعته وسافر إلى إيطاليا للالتحاق بالأكاديمية الإيطالية للفنون، وأظهر تفوقاً في رسم «الموديل» لفت إليه أنظار الأساتذة الإيطاليين.. ونشبت الحرب العالمية وكان عليه أن يعود إلى القاهرة.. فاتخذ لنفسه مرسماً خاصاً يشبع فيه حبه للفن.. وسعى للمرة الثانية كي يلتحق بكلية الفنون الجميلة.. لكنه في هذه المرة استمر في دراسته حتى وصل إلى السنة الثالثة.. ثم فصل للمرة الثانية بسبب استغراقه في الرسم وحضوره إلى الكلية متأخراً عن موعد حضور الطلاب الذي تغلق الكلية أبوابها في وجه المتأخر.

في عام ١٩٤٨م، سافر إلى روما للمرة الثانية.. والتحق بأكاديمية الفنون فيها بعد أن أجري له امتحان لتحديد مستواه الفني، فقبل بالسنة الثالثة، وهي نفس السنة التي فصل منها من كلية الفنون الجميلة بالقاهرة.. وقال له البروفسور «سفيري» الذي يعتبر من أعظم المصورين الإيطاليين يومها: «لولا القانون لقبلناك في السنة النهائية».

ثم يعود «صبري راغب» إلى القاهرة في نهاية العام الدراسي.. يعود في الوقت الذي أصبح فيه الفنان «يوسف كامل» عميداً لكلية الفنون الجميلة القاهرية.. ويسعى



★ تسبيحة ★



★ الرسام بين لوحاته ★

أحمد صبري لالحاق تلميذه بالكلية .. ويوافق الجميع ـ نظراً لمستواه ـ على الحاقه بالسنة النهائية .. لكن البعض يعترض على هذا .. ويصدر قرار من وزير المعارف وقتها الدكتور طه حسين بقبوله بالسنة الثالثة .. ويعده الفنان العميد بعدم الزامه الحضور .. ويستمر بالكلية ليحصل عام ١٩٥٢ م ، على شهادة البكالوريوس بعد خمسة عشر عاماً من الدراسة !!

الوجه الإنساني

والإنسان هو محور فن « صبري راغب » فمنذ ما يزيد عن أربعين عاماً وهو يصر على أن يظل الوجه الإنساني محور إهتمامه .. وتكاد الطبيعة لا يكون لها نصيب في لوحاته . وتتركز رسومات شخصياته في ضبط انسجام الملامح التي تعطي شعوراً دقيقاً بما يجول في خاطر الشخص صاحب الصورة .

الصورة والمتأمل

يتميز صبري راغب بعينين واسعتين تشعان بالحيوية ، ولهذا تراه يعطي للتعبير البصري في لوحاته طابعه الحي ، مما يجعل للوحة نفوذاً يسيطر على الناظر إليها سيطرة تجذب الإهتمام ، وتخلق صلة قوية بين الصورة والناظر إليها .

وحين أسأله عن هذا التأثير يبتسم في هدوء ويقول : « في رأيي أن أي جسم له اشعاع داخلي .. وهذا الاشعاع أراه وأشعر به ، وأحاول ترجمته في اللوحة التي أرسمها ..

أنا لا أبحث عن الشكل الخارجي لكني أبحث عن المعنى الداخلي للشكل .. عن المضمون ، عن الحس الداخلي ، وإذا كان الكون وحدة واحدة متصلة بالخالق الأعظم .. فإن الإنسان وهو أحد مخلوقات الله كل لا ينفصل أيضاً .. لا يمكن فصل داخل الإنسان عن شكله الخارجي .. فالخارج اشعاع للداخل » .

أناقة وحساب

وانسجام الألوان في لوحات « صبري راغب » واضح تماماً ، لأن تركيب الألوان وتحاورها عنده عالم مليء بالتعبيرات التي يقف عند حدها الشكل . وهو يضع الألوان بأناقة وبحساب دقيق يحقق بها وحدة الألوان بدرجاتها المتفاوتة .

وعن الألوان يقول إنه يهتم بالمواد التي يستخدمها حتى تبرز في التلوين وكأنها طبيعية .



★ بورتريه ★

★ الطبيعة من لوحات الرسام النادرة ★



بين مدرستين

وإنتاج صبري راغب لم يتعد مدرستين من مدارس فن التصوير .. وهما الواقعية والتأثيرية .. وإن كان الفنان نفسه يعترف بميله في فترة من الفترات تجاه الرومانسية ، لكن هذا الميل لم يستمر طويلاً ..

ولوحة «تسبيحة» هي نموذج لاتجاهه الواقعي وهو يقول عنها : «أهم شيء في لوحة تسبيحة هو اللون الأبيض أو الكتلة البيضاء ، لقد استخدمت درجات مختلفة من اللون ، الطرحة التي تحيط بالوجه لونها الأبيض يختلف عن اللون الأبيض الذي تحسه في الرداء .. ولقد حرصت في اختلاف درجات اللون الأبيض على الحفاظ على صفاء هذا اللون ونقائه ..

أما الحس الداخلي أو صفاء الروح فقد شعرت به في البقع الثلاث التي تمثل الوجه واليدين والقدمين .. وهذه الوحدات الثلاث تمثل مثلثاً هندسياً يحترم التكوين ويؤكد الكتلة .. أما الخلفية الصفراء فهي تمثل الضياء المعبر عن الجو الروحي الذي تشعر به الشخصية وهذه الخلفية تخدم اللوحة وترتبط بها في وحدة متكاملة .. والنظرة الجانبية تعبر عن التحية والتوقير» .

ولوحته الثانية «ابتهالات» توضح اتجاه الفنان التأثيري وإحساسه بأن الطبيعة لا خطوط فيها ولا انفصال وهو يتحدث عنها بقوله :

«ركزت في ابتهالات على شيئين ، أولاهما العينين .. فأنت تشعر أن العينين يتكلمان .. وفيهما تضرع ، وثانيهما اليد التي تبدو متشنجة ، وهو الدليل على اشتداد الطلب من خالق هذا الكون .

وفي هذه اللوحة اشعاع يخرج من كل جزء فيها سواء في الخلفية أو الملابس البيضاء أو التكوين الهرمي .. كما تمتاز هذه اللوحة بلمسات الفرشاة التي أطلق عليها الفرشاة المتحررة . وهذه هي المدرسة التي أهتم بها حالياً» .

★ ★ ★

ويلفت نظرنا تكراراً كلمة التكوين الهرمي التي يرددها الفنان صبري ويشرحها بقوله :

«في كل عمل أنا متأثر بالهرم من ناحية الكتلة والشكل .. في كل موضوعاتي تستطيع أن تلمس الناحية الهرمية .. القاعدة العريضة الضخمة ثم الإنسيابية وجمال التكوين .. وأنا أرى أن أي عمل يحتاج إلى قاعدة حتى لا يبدو طائراً في الفراغ .. والشكل الهرمي أو المثلث هو أقوى الأشكال هندسياً» .



الأداء الإذاعي

بقلم :
ابراهيم السمان

الأداء كلمة واسعة فضفاضة ، لأنها تتناول أكثر من جانب واحد من جوانب التعبير .. فالأداء هو التعبير .. وهو المرحلة النهائية في عملية الإنتاج الإذاعي أو التلفزيوني ، وعليه يتوقف مصير العمل الفني إلى حد كبير . فالأداء يستطيع أن يرفع قيمة العمل أو يخفضها .

والأداء لا يقتصر على قراءة نشرة الأخبار أو الحديث أو القصة أو القصيدة ، وإنما يشمل جميع جوانب عملية العرض الصوتي .. فهو يختلف في كل حالة عن الحالة الأخرى .. فأداء النشرة الإخبارية يختلف عن أداء الحديث .. والأداء في رواية القصة ، يختلف عنه في همسة الليل ، أو إلقاء القصيدة ، أو إجراء المقابلة الإذاعية ، أو التلفزيونية ، والأداء نفسه يختلف اختلافاً كبيراً في كل من لأ ذاعة والتلفزيون .. **وهو اختلاف ينبع من طبيعة اختلاف هذين الجهازين الإعلاميين الجبارين** .. فكل جهاز منها له خصائصه ، ووسائله وإمكاناته ، التي تختلف عنها في الجهاز الآخر .. وهذا كله يؤثر تأثيراً كبيراً على الأداء ويضع فوارق وشروطاً كثيرة في الحالتين .

الإخراج .. بين الإذاعة والتلفزيون

فالأداء الإذاعي يتحقق على أدق صورة في عملية الإخراج الإذاعي ، وهذا يعتمد أساساً في إرساء قاعدة الصورة المتحركة على الأذن .. السمع .. ولا شيء غير ذلك . ففي الإذاعة **لا مشهد ولا منظر ولا ديكور ولا صور عينية .. إنما هو رسم في خيال المستمع وتتابع أصوات ، وأحداث في سمع المستمع** .. وإبراز وجود وشخصيات اعتماداً على التحريك الذاتي لذهنية المستمع ومخيلته .. من هنا تبرز أهمية الأداء الإذاعي .

في الإذاعة شخصيات وأناس يتحركون ، وينفعلون ، وينطقون في جميع صور الحركة ، والانفعال ، والنطق .. ولكن بدون عرض عادي لجمهور النظارة ، وأمام أبصارهم .. فالأداء الإذاعي هو بعث الروح وإشاعة الحياة في نص مكتوب ، وإن كان الأداء التلفزيوني يشترك أيضاً في ذلك .

فالأداء التلفزيوني **دقيق جداً** دون ريب ، ولكن الوسائل البصرية ، أو وسائل الإيضاح التي ترافقه ــ بل تكون جزءاً منه ــ تسهل عمليته .

وإن كان الأداء في الحالتين : **الإذاعية والتلفزيونية** ، يعتمد أساساً على **فهم الإنسان العميق السليم للنص** ، كما يعتمد على **الخبرة الطويلة ، والتجارب المتعددة** ، التي توافرت للإذاعي أو التلفزيوني من خلال عمله وتجربته في ميدان الإذاعة والتلفزيون .. مع اقتران هذا كله **بموهبة فطرية** ربما تكون **كموهبة الشاعر ، والرسام ، والنحات** ، لأن الإنسان المؤدي هو الذي يحيل الألفاظ الجافة الجامدة إلى ألفاظ متحركة ، يضخ فيها ماء الحياة مستعيناً بطبيعة الحياة ، في كل من الجهازين ، بالوسائل المتاحة لكل منها .

التحضير لقراءة النشرة

والأداء ــ كما أشرت في مطلع هذا المقال ــ له أكثر من جانب واحد يختلف في كل مادة عنه في الأخرى .. فهو يقوم على **مبدأ مخاطبة المستمعين أو المشاهدين كأفراد ، وليس كجماعات** ، لأن المؤدي أو المذيع يخاطب عادة شخصاً ، أو شخصين ، أو بضعة أشخاص ، ولا يخاطب جمهوراً غفيراً في ساحة واحدة ، أو مكان واحد .. لذلك كان من أبرز شروط النجاح في أداء نشرات الأخبار **هو الحياد في القراءة ، والبعد عن الانفعال ، ورفع نبرات الصوت** .

كما أن التحضير التام لتلاوة النشرة أكثر من مرة قبل الإذاعة له أثره في نجاح الأداء .. فلا تكون التلاوة مرتجلة حينما تكون القراءة الأولى على المشاهد أو المستمع . ولعل من أسباب النجاح : **الثقافة الواسعة**

والتلفزيوني

والإحاطة باللغات الأجنبية ، للتأكد من سلامة لفظ الأسماء التي ترد في النشرة ، سواء كانت أسماء أشخاص ، أو أماكن ، أو هيئات ، أو مصطلحات علمية مختلفة . ومن الأمور الأساسية في هذا المجال **سلامة اللغة وقواعدها** .

وإني أنصح هنا أن يكون المذيع أو (المؤدي) على صداقة متينة **مع القاموس** .. ولعل « **الشك** » هنا هو الموضع الوحيد الذي يفيد منه الإنسان ... وأقصد الشك الذي يقوده إلى مراجعة القاموس باستمرار ..

سياسة : « أخبر .. ولا تقرأ »

وأما أداء الندوات أي إدارة المناقشة فيها .. فيقوم نجاحه على الاستعداد حول موضوع الندوة ، والإحاطة به من جميع جوانبه ، ليتمكن المذيع من المشاركة فيه ، ومناقشته بثقة تامة ، بعيدة عن التردد والتلكؤ والخوف ، فهذه عوامل هدم تنتقل من المذيع إلى المشاهد ، أو المستمع ، وتفسد عليه متعته .. الأمر الذي قد يحمله على اقفال الجهاز ، والاستغناء عن متابعة المادة .. **فبقدر استعداد المذيع وتمكنه من موضوعه ، يكون نجاح العمل** .

ويمكن اختصار ذلك كله في عبارة يرددها خبراء الإذاعة والتلفزيون وهي اعتمد سياسة : Tell but mot Read أي « **أخبر ولا تقرأ** » .. وأساس ذلك هو الفهم الصحيح والهضم السهل للمادة ، **لأن المذيع ينقل انفعالاته للمشاهد ، والمستمع** ، وهما يستمدان راحتهما أو توترهما في آن واحد من المذيع عبر المادة التي يقدمها على الشاشة ، أو من وراء (الميكروفون) .

وهناك **الأداء الدرامي** الذي يفرض اختيار الممثل المناسب للدور المطلوب .. اختيار الشاب لدور الشاب ، والكهل لدور الكهل .. **فأ[illegible] الذين لا يمثلون .. وإنما يعبرون** ، فالتعبير هو أهم عناصر الأداء .. وهو ليس الصراخ .. أو التقليد ، أو التصنع ، والتكلف .. وهي أمور قلّما نشهدها في غير الأعمال الدرامية العربية مع الأسف .

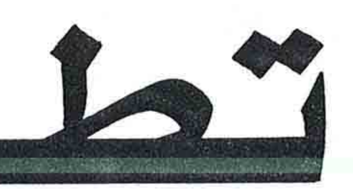
ضريبة « التكنولوجيا »

ولن يفوتني بهذه المناسبة أن أشير إلى أن **التكنولوجيا** بمنجزاتها العريضة المختلفة ، قد لعبت دوراً رئيسياً فعالا في ميادين الأداء الإذاعي والتلفزيوني .. ولعل **شريط التسجيل الإذاعي أو الفيديو التلفزيوني هو أول هذه الأدوات التكنولوجية** . وهذا الانجاز العظيم قد حمى المذيع أو المؤدي من المواجهة ... من الوقوف أمام المشاهد أو المستمع وجهاً لوجه .. تماماً كما حمت الدبابة ، أو المصفحة الجندي المعاصر من خطر المواجهة .. فصار المؤدي يسجل المادة عشرات المرات حتى يستقيم له أمرها .. **فلا هفوة ولا كبوة .. ولا خطأ لفظي ولا خطأ لغوي** .. بل لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن هذه الأجهزة قد بلغت بالمؤدي حداً قريباً ، بمقاييسنا النسبية ، إلى الكمال ، وذلك بفضل تطور وسائل نقل الصوت وتسجيله **ومقص المهندس وعمليات المونتاج** التي هي بمثابة ماكياج يخفي جميع العيوب والعورات .

ولهذا ، بطبيعة الحال ، ضريبة يدفعها المذيع ، أو ربما بعض المذيعين وهي الضريبة التي تدفعها أجيالنا المعاصرة مقابل الإفادة من التكنولوجية ، هذه الضريبة هي **الاعتماد على الآلة قبل الاعتماد على النفس** : نعم لقد قلّت الكفاءة الذاتية الأساسية بعد أن اعتمد الإنسان على كفاءة الآلة ، فبعد أن كان المؤدي والمذيع يعتمد اعتماداً كلياً على نفسه ، صار يعتمد على الشريط والمقص والأزرار وغير ذلك من الوسائل التي تطبع وتصور وتمحو حتى أدق الأشياء ....

شيء واحد أرجوه وأتمناه للعاملين والعاملات في الإذاعة والتلفزيون هو الاعتماد على الكفاءة الذاتية قبل الاعتماد على التكنولوجيا .. ومواصلة التعامل مع التكنولوجية كفلسفة نعيشها ، وليس كسلعة نستوردها دون أن نعي كنهها ، فتمتلكنا هي ولا نمتلكها . !!

في ربيع ١٩٧٧ م ، وضعت كتابين للأطفال العرب بين أيدي أعضاء **اتحاد كتاب الأطفال في إنجلترا** ، وقلت إن الكتاب الأول ترجمة للرواية الإنجليزية (بلاك بيوتي) ، قدمنها (ماما لبنى) ومعها جميع اللوحات العالمية عن الحصان من أيام الفراعنة حتى **بيكاسو** .. وهتفت «كاي ويب» ، رئيسة قسم كتب الأطفال في دار (بنجوين) ومسلسلاتها تحمل اسم «بافين» .. هتفت .. هذا كتاب رائع : أدب وفن .. نشتري حق اصداره بالإنجليزية .



تطور

تذكرت هذه الجلسة الثرية الممتعة ، حول كتب الأطفال ، في الإنجليزية والعربية ، خلال رجوعي لمجموعة كبيرة من الكتب التي تتحدث عن كتب الأطفال ، وتاريخها ، وأهميتها ، وتطورها .. واحد منها من الحجم الضخم بلغت صفحاته ٦٢٦ صفحة كل منها تضم عمودين عنوانه «الأطفال والكتب» .. تأليف **(ماري هل اربوثنوت)** ، والثاني بعنوان «كتب الأطفال المصورة» من تأليف **(جانيت آدم سميث)** ، وثالث بعنوان «دليل الآباء إلى قراءات الأطفال» تأليف **(نانسي لارك)** .. ولا أريد أن أمضي في تعداد الكتب التي صدرت عن كتب الأطفال ، إنها تعد بالمئات .

وتستوقفنا هذه الدراسات الكثيرة ، التي تناقش كتب الأطفال ، وكلها تجمع على أن الكتب غير الدراسية الصادرة للأطفال تجاوز عمرها قرناً من الزمان بقليل .. ومع ذلك فهي تلقى الكثير من العناية والدراسة والفحص والتبويب ، حتى لقد أصبح لها مجلة شهرية بالإنجليزية لا تنشر إلا دراسات وبحوث حول الكتب الخاصة بالأطفال ويصدرها «المركز الوطني لمكتبات الأطفال» ، ليساعد بها الآباء والمعلمين على اختيار الكتب ، وانتقائها ، وليعلن فيها عن كل جديد في هذا المجال .

ومنذ قرن كانت الكتب المؤلفة للأطفال نادرة ، وكلها كتب مدرسية وغير مسلية عن الطيبين والأشرار ، موضوعة في شكل مواعظ مباشرة عن الأخلاق الحميدة ، وكانت أبعد ما تكون عن تسلية القراء وامتاعهم واثارتهم .. ومن الغريب حقاً أن عدداً كبيراً من الكتب التي راقت القراء الصغار كانت مكتوبة ، وفي هذه الفترة ظهرت أسماء عدة ، وكثير منها ما زال يعيش ، وما زال يقرأ .. ومن أشهرها الأمريكي **واشنجن ارفنج** .. صاحب «**ريفان وينكل**» و«**ناثانيال هوثورن**» كما ظهر **سير والترسكوت** ، و**وليم ثاكري** .. ثم نوع هذه الأسماء «**شالز ديكنز**» الذي كتب تاريخ إنجلترا للأطفال ، ثم روايته الشهيرة عن عيد الميلاد ، وتتابعت أعماله الكثيرة حول الأطفال .

وظهر كذلك **جون راسكين** (١٨١٩ ــ ١٩٠٠ م) صاحب (ملك النهر الذهبي) ، ثم حدث منعطف هام وخطير في الكتابة للأطفال بظهور العمل الرائع (أليس في بلاد العجائب) عام ١٨٦٥ م ، وكتبها «**لويس كارول العظيم**» وشارك كثير من الفنانين في رسم هذه الكتب وإخراجها بشكل يروق الأطفال .. ولمعت أسماء كثيرة في هذا المجال .

وبدأت كتب الأطفال بعد ذلك تغمر الأسواق بشكل حاد ، وكان يظهر قرابة الألف كتاب سنوياً بالإنجليزية وحدها ، وظهرت هيئات مسؤولة عن كتب الأطفال ، ودور خاصة للنشر ، وكانت تستهدف العمل على إخراج كتب جيدة للأطفال ، فقد كان الخوف قائماً دائماً من إغراق الأسواق بالأدب الرخيص الذي لا يضيف الكثير بينما يستهوي الأطفال ويجتذبهم ، وكانت هناك رغبة أكيدة في ألا يتجر الكتاب والناشرون في هذا اللون من الإنتاج بالذات ، لأن له تأثيراً مباشراً على تشكيل عقول الصغار .. على أن هذا قد حدث بالطبع في مجال البوليسيات ثم أخيراً في مجال الكوميكس ، حتى ليرى البعض أنها تجارة لا تقل عن تجارة الرقيق الأبيض ! (انظر بحث الكوميكس والاستريبس في مجلات الأطفال) .

وتنوعت كتب الأطفال ، إذ كشفت للجميع أن الكتب وسيلة رائعة لا لاكتشاف العالم فحسب ، بل لمعايشة ومد تجربة الطفل إلى آفاق الدنيا الواسعة .. والحق أن الف ليلة وليلة ، واحد من أغنى مصادر كتب الأطفال العالمية ، وللأسف الشديد تشكل تطور الأوروبيين والأمريكيين عامة للطرق عن طريق ترجمات «**اندرو لانج**» لها ، حتى لقد أصبح من العسير أن ننتزع هذا التصور الذي غرس في عقولهم في طفولتهم .. وكتاب الطفل قد يكون قصير العمر في يد صاحبه لكنه مؤثر بشكل مذهل طول العمر .



كتب الأطفال

بقلم : عبد التواب يوسف

وتنوعت الكتب من الأساطير والحكايات الخرافية إلى عالم الفضاء ، والذرة .. وحملت السنوات الأخيرة وثبة كبيرة في عالمنا نتيجة التقدم العلمي ، وكتب الأطفال تتغير مع تغيير عالمنا ، إذ هناك رغبة في معرفة الإنسان لنفسه ، ولعالمه ، ولماضيه ، وحاضره ، ومستقبله .. لذلك لا ندهش حين نجد أن رجال الآثار اقتحموا مجال الكتابة للأطفال عن الحياة في مصر القديمة ، واليونان ، كما نجد رجالا مثل **ويلز وجول فيرن وسلجاري** ، يقتحمون الحديث عن المستقبل .. ومن كل مكان في الدنيا خرجت القصص الشعبية ، وأصبح تجميعها قومياً إنسانياً ، وتلقى هذه الحكايات اهتماماً متزايداً ، لأنها استطاعت أن تكابد الزمن ، وتعيش كل هذه السنين ، فلا بد وأنها تحمل شيئاً ما ، بداخلها ، وتحميه من الضياع والزوال ، ذلك هو أنها تمس الوجدان وتثريه .

وظهرت أعمال كثيرة عن مشاكل المجتمع تتضمن رأي البعض ألا نصور العالم والمجتمع بصورة ودية للأطفال ليصدموا في المستقبل بالواقع المرير .. بينما بقي البعض يغالب بألا ندفع الأطفال بعيداً عن طفولتهم ، وأن نجعلهم يعيشونها فترة سعيدة ، يسترجعونها بخيالهم في غدهم خلال صراعهم مع الحياة القاسية .

وتكثر النظريات وتتعدد في مجال الكتابة للأطفال ، وتختلف النظرة إلى الخيال والحقيقة ، وتتعدد أساليب التربية وتتعدد معها أساليب الكتب ، ولكن الشيء الوحيد الذي لا خلاف عليه هو ضرورة إثراء هذا الحقل بالترجمة ، والنقل ، والاقتباس ، ثم إعادة الصياغة للتراث الصالح للأطفال ، وأخيراً بالابتكار الممتع .

أنواع كتب الأطفال

حاول الكتّاب أن يقدموا للأطفال كل ألوان المعرفة التي تتفق مع أذهانهم النامية وعقولهم المتفتحة . ورأيت أن أقتبس هذه الأنواع عن طريق نقل تصنيف مكتبة للأطفال (ورد في كتاب الخدمات المكتبية العامة للأطفال تأليف **ليونيل ماك كولفن** وترجمة **عبد المنعم السيد فهمي** بإشراف الدكتور **محمود الشنيطي**) .

وهو تصنيف روعي فيه الاهتمامات الرئيسية للأطفال :

ا ـ كتب الصور .

ب ـ كتب الأطفال الصغار ـ كتب سهلة لمن يتعلمون القراءة .

ج ـ القصص الخيالية ـ تشمل الفلوكلور وأقاصيص هاوس أندرسون .

د ـ الأساطير .

هـ ـ أبطال الملاحم : الأبطال الذين جمعت لهم حلقات كاملة من القصص ووضعت في قالب أدبي .

و ـ الاستكشافات : استكشاف مناطق جديدة ، ما لا يدخل في علم الجغرافيا ، ثم الرحلات وتاريخ حياة الرواد .

ز ـ مشاهير الناس : تاريخ حياتهم وسيرهم الذاتية .

ح ـ التاريخ : ويقسم بالدول .

ط ـ الجغرافيا والوصف ـ الجغرافيا والرحلات في البلاد الحديثة ـ الرحلات بغرض الأبحاث العلمية .

ي ـ التاريخ الطبيعي ـ يشمل علم الأحياء (علم النبات وعلم الحيوان) ، عدا الحياة البشرية .

ك ـ العلوم البحتة : الجيولوجيا ، علم الفلك ، والكيمياء .. الخ ..

ل ـ العلوم العملية : كل العلوم التطبيقية والصناعات .

م ـ المهارات اليدوية : جميع كتب الصناعات اليدوية .

ن ـ الموسيقى : نظريات الموسيقى وكيفية تذوقها ، وقصص الأوبرات والألحان .

س ـ التمثيليات : تشمل كتب ملابس التمثيل ، والإخراج المسرحي .

ع ـ الشعر .

ف ـ الكتب الدينية .

ص ـ القصص الأدبية : إنتاج المؤلفين المعتمدين بما يمثل قراءة الذكور والإناث الكبار ، ولا تشمل الكتب الموضوعة للأطفال مثل قصة (ملك النهر الذهبي) .

كتب الأطفال في روسيا

عندما زار الفنان الروسي فلادرمسكي جمعية ثقافة الأطفال بالقاهرة قال : إن تعداد الأطفال في الاتحاد السوفييتي يبلغ قرابة ٧٠ مليون طفل ، يتكلمون ٥٧ لغة . . وينتج الاتحاد السوفييتي في المتوسط سنوياً ما معدله ٣,٥ كتب جديدة لكل طفل . . وأعلن عدم رضائهم عن هذه النسبة ، رغم أنها قدر ما يصدر من كتب الأطفال في إنجلترا ٩ مرات ، وقدر ما يصدر منها في الولايات المتحدة ٤ مرات . . وكتبهم ترسم بحيث تعكس الرسوم الفكرة ، والمضمون للكتاب ، بطريقة واقعية ، وليست بطريقة تجديدية ، كما أن هذه الرسوم يجب أن تنمي في الطفل من حيث التلوين والتكوين ، الإحساس الفني ، وتذوق الجمال . .

إن تاريخ الأدب الروسي للأطفال يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنشاط دار النشر « ميتسكايا ليترانورا » ، « كتب الأطفال » ، التي تأسست بمبادرة **مكسيم جوركي** في عام ١٩٣٣ م ، وكان ذلك الحدث الأول من نوعه في العالم ، حيث تقوم الدولة بتأسيس دار نشر من هذا النوع ، وقد صدرت عنها كتب رائعة كثيرة قرأتها أجيال عديدة من الأطفال . وتوجد في **موسكو** الآن ، بالإضافة إلى دار « ميتسكايا ليترانورا » ثلاث دور نشر ضخمة أخرى تختص بإصدار كتب الأطفال والأحداث هي « ماليش » و « بروسيفيشينية » و « مولودايا غفارديا » ، ويبلغ عدد دور النشر بالعشرات ، وتقوم بإصدار كتب للأطفال بـ ٣٥ لغة ويلتف حولها عدد كبير من الكتاب والرسامين والعلماء والمربين والأخصائيين المحنكين في شؤون الطباعة ، **وأصدرت دور النشر هذه كلها خلال الأعوام الخمسة الأخيرة ٧٠٩٧ كتاباً للأطفال يبلغ عدد نسخها مليار نسخة** . وهي ليست كتباً روائية فحسب بل ومن الكتب العامة والعلمية المبسطة ، والعلمية الخيالية ، وكذلك أصدرت قصصاً عن مشاهير الناس ، وكتباً حول تاريخ الفن التشكيلي والموسيقى ، وكذلك حكايات مختلف الشعوب .

وفي فجر ظهور أدب الأطفال ، قدم **مكسيم جوركي** نصيحة ودية إلى أدباء الأطفال الكثيرين وقتها قائلاً بأنه : ينبغي أن نكتب للأطفال كما نكتب للكبار . بل وأفضل . ويشهد الإنتاج الحالي بجلاء بأن جيل كتاب الأطفال اليوم يتبعون تلك النصيحة الحكيمة .

وتبرز أمام الطفل منذ الخطوات الأولى في حياته الواعية مجموعة من الأسئلة : ما هو الحسن وما هو السيء ؟ كيف يجب التصرف في هذه الحالة أو تلك ؟ ماذا يجب أن يعمل من أجل أن ينال احترام الآخرين ؟ من يضع أمامه من الأفراد كقدوة حسنة ؟ ويحاول الكتاب الروس الاجابة على مختلف أسئلة الأطفال . والهدف الذي يلتزمون به عندئذ هو تربيتهم ،

ويسرع الآباء والأمهات الذين تربوا على قصائد **صامويل مارشاك** إلى قراءتها للأطفال . . « وينبغي الإشارة إلى أن كتب مارشاك قد صدرت في روسيا ١٠٩٤ مرة وبلغ مجموع عدد نسخها ١٠٥ ملايين كتاب » وتحوز على شهرة كبيرة أيضا الثلاثية الشعرية تأليف **ميرجي ميخالكوف** حول العم سيتيوبا التي منح عليها إحدى الجوائز . فالعم سيتيوبا شخصية بارزة في المنطقة التي يسكن فيها ، وهو ضخم الجسم ، ويلبس حذاء مقياس ٤٥ ، لكن الأطفال جميعاً يحبونه لا من صفاته الخارجية ، بل لأن العم سيتيوبا رجل طيب القلب ويتعاطف مع الآخرين ، وجريء وذكي .

وعندما تعرض صبي للغرق كان العم سيتيوبا أول من قفز إلى الماء وأنقذ الغريق ، وفي مرة أخرى لاحظ خللاً في خط السكك الحديدية رفع يده إلى الأمام ، وأوقف السائق القطار إذ ظن السائق أن العم سيتيوبا هو السيمافور ، ويقوم البطل بكثير من الأعمال المتفانية والنبيلة على صفحات هذا الكتاب . وأصبح العم سيتيوبا ، العملاق الطيب الجريء بطلاً حقيقياً لدى الأطفال .

والكاتب المحبوب الآخر عن الأطفال السوفييت هو « **اجنيا بارتو** » وهي كاتبة تصور « الأطفال السلبيين » في مؤلفاتها ، مثل التلاميذ غير المجتهدين ، والحمقى والثرثارين والكسالى . وللشاعرة قدرة كبيرة على السخرية من التلمذ الكسول إلى درجة ألا يرغب أحد من الأطفال في أن يكون شبيهاً له . وتتمتع الأقاصيص والقصص الهزلية **لنيكولاي دوسوف** بنجاح دائم لدى التلاميذ الصغار ، ويصور الكاتب كيف يتعلم الأطفال ، وما هي هواياتهم ، وماذا يسرهم ويحزنهم .

ويتمتع بحب التلاميذ السوفييت أيضاً كتب مؤلف روسي آخر هو « **اناتولي اليكسين** » ، ويكفي ذكر اسمه في الفصل حتى يأتي جواب ودي : « لقد قرأناه . . إنه رائع » ، ويكمن سر شهرة اليكسين في أنه يطرح المشاكل العميقة التي تهم الأطفال ، ويبقى مع ذلك محدثاً مرحاً وفطناً وذكياً ، وأدخل اليكسين في أدب الأطفال بطلاً أحبه ملايين التلاميذ فوراً : وهو رجل شهم يقوم بالأعمال الطيبة والنبيلة ، وفارس بربطة حمراء ، وصاحب خيال خصب لا يشق له غبار .

لقد ذكرت أسماء بعض الكتاب المعروفين فقط ولكن عددهم في الواقع كثير فمنهم : **كورنيه تشوكوفسكي ، واركادي غايدار ، وبوريس جيتكوف ، وليف كاسيل .**

كتب الأطفال في الغرب

إن الاهتمام بكتب الأطفال في الغرب رائع وكبير ، على الرغم من أن مشروعات القطاع الخاص هي التي تنهض به ، وعلى الرغم من محاولات البعض استغلال رغبة الأطفال في القراءة . . وقد رأيت ألا أعرض لكتب الأطفال في أميركا رغم فيض ما لدينا من كتابات عنها ، وليقتصر الحديث على بلدين زرتهما ورأيت كتب الأطفال فيهما .

كتب الأطفال في إيطاليا

الأطفال منصرفون عن القراءة إلى حد كبير ، خاصة أن ما يزيد عن ٨٠٪ من كتبهم مترجمة من كتاب ليسوا إيطاليين . فالكتب غريبة عنهم ، وكثير منها إما لمجموعة من المعارف والمعلومات المدرسية مثل دائرة المعارف التي ترجمتها مؤسسة التأليف بالقاهرة ، أو مجموعة من القصص المليئة بالمغامرات ، والإيطالي منها للأسف يدور أغلبه حول الحرب العالمية الثانية ، وبالذات في الفترة التي احتل فيها النازيون إيطاليا ، وانقسم الإيطاليون على أنفسهم : قسم مع ألمانيا ، وقسم يحاربها . . وتستهدف هذه القصص تأكيد معنى سياسي : هو أن إيطاليا كانت تقاوم النازية والفاشية ، وأنها كانت مع الحرية . . وذلك بهدف ربط عجلة البلاد والأطفال بالغرب والفكر الغربي .

هناك كلاسيكيات ما زالت تعرض مثل **بنوكيو** لأنها تخاطب وجدان الأطفال ، ولكن الجديد يحرمهم من التدريب على الابتكار ، وطبيعة الحياة لا تمكنهم من أن يعيشوا تجربتهم ، وأن يكونوا ضميرهم : إنهم يحصلون على الكثير معداً جاهزاً ، في حين كان أباؤهم يعملون كل شيء بأنفسهم ، ويعبرون خلال ذلك عن ذاتهم . . هذا ما قاله لي أب إيطالي وهو يشكو من الثقافة التي تقدم لأطفال اليوم ، ويلعن المسلسلات والمغامرات الأميركية التي تتدفق لتخرب عقول الصغار ، ويفزع حين يعلم أن إحدى دور النشر في ليبيا قد اتفقت مع دار ايطالية لترجمة هذه القصص إلى اللغة العربية ، وقال لي في حزم شديد :

« احذروا هذا ، فإن لديكم الكثير من الغذاء الثقافي الصحي ، فلا تمرضوا عقول أطفالكم ورثة الحضارة العريضة » .

وقد وجدت أن **المجلات** في إيطاليا لا تقل سوءً عن (**ميكي**) الأميركية . . وإحدى هذه المجلات « **نوبولينو** » تنشر الرسوم الهزلية والمسلسلات الرخيصة . . ضمن أكوام للعبث بالتخطيط لأجيال المستقبل ، وجدت شيئاً مشرقاً يتمثل في مجلات خاصة بأطفال الريف ، تقدم موضوعات تضم هذه الفئة من الأطفال ذوي الظروف الخاصة المتميزة . . وهناك مجلتان من هذا لنوع هما : « **ماريزيت** » و« **فريبونت** » وتلقى المجلتان إقبالا من الأطفال .

أما مجلة « **اسكويزا** » فتضم باستمرار مغامرة حربية لطفل بطل ، بهدف بث الروح الوطنية وتهيئة الطفل للالتحاق في المستقبل بالجيش . . ونتحدث خلال التسمي عن الأسلحة البرية والبحرية والجوية . . وما أحوجنا إلى مثل هذه الموضوعات التي يقول عنها رئيس التحرير :

« كثيرون يدخلون الجيش من المزارع والمصانع والمدارس بلا فكرة مسبقة عنه ، وهم يصدمون ، إذ أن في خيالاتهم القديمة عن الجيش والحياة العسكرية أشياء كثيرة تخالف الواقع تماماً ، كما أن حياتهم السابقة لا تتفق مع ظروف الحياة في المعسكرات ، لذلك رأينا ضرورة أن يعرفوا الكثير عن هذا » . . والطريف أن فتيات كثيرات يحببن هذه المجلة .

وهناك مجلتان تصدران عن اليسار الإيطالي . . واحدة للأطفال ، والثانية للشباب : ــ الأولى لسن ١٠ ــ ١٥ سنة واسمها (**برونيري**) أي الطلائع . . والثانية تغير شكلها دائماً ، ولا تثبت على حجم معين .

وتصدر الهيئات الدينية العديد من المجلات للأطفال ، وأشهرها مجلة للبنات تحمل اسم « **لافيسا تريزا** » كما أن هناك مجلة سينمائية تملئ بصور المغامرات المسلسلة وبأسماء النجوم وأفلامهم وحياتهم واسمها « **فينزوزو** » .

وبالرغم من كل هذه المجلات ، فإن لوناً من الكساد يحيق بسوق مجلات الأطفال بصفة عامة إذ يرى الآباء خطورتها على أولادهم ويفضلون عليها الكتب بشكل عام ، لأنه لا ضرورة للمجلات حيث لا اهتمام كبير بالأحداث الجارية ، والمجلة تطبع قبل صدورها بشهور ولا تستطيع ملاحقة الأخبار ، ومن هنا فإن الكتاب يتفوق عليها من ناحية القيمة الثقافية فضلاً عن بقائه طويلاً على رفوف حوانيت الكتب ، وفوق رفوف مكتبات الفصول ، والمكتبات المدرسية والمكتبات العامة ، الأمر الذي يتيح له توزيعاً كبيراً ولو أنه على مدى طويل .

وأشهر كتاب الأطفال في إيطاليا الآن هم : **كلفينو** ، وقد جمع حكاياتهم الشعبية في كتاب جميل . . وهناك أيضاً « **تونيني جوريرا** ،



ولويجي ماليريا » . . ولكنهم لا ينسون رائدهم « **ساجاري** » ، الذي كتب القصص العالمية ، وانتحر عام ١٩١٢ م ، بسبب الفاقة ، ودور النشر تربح الملايين الآن من كتبه . ووراء انتحاره مأساة كبيرة ، إذ تحرم المسلسلات الأميريكية المواطن الإيطالي من مجال خصب يستطيع أن يثمر فيه . . وأن ينتج إنتاجاً يثري أدب الأطفال عالمياً . . ولكن . . كيف السبيل للانتصار في مثل هذه المعركة ضد ميكي ماوس والعم سام ؟

كتب الأطفال في إنجلترا

زرت العديد من دور النشر الخاصة بالكتب التعليمية وكتب الأطفال ودوائر المعارف ، كما زرت بعض المؤسسات التي لها صلة وثيقة بهذا الموضوع مثل إدارة معارض الكتب التي تقيم معرضاً سنوياً لكتب الأطفال باللجنة القومية للكتب ومهمتها تبويب الكتب وعمل قوائم لها ، وهي تمول عن طريق اتحاد الناشرين الذين يهمهم بيع كتبهم ، ووزارة التربية لا تفرض كتبها مقررة على التلاميذ في أغلب المواد بل تضع مقررات كما تقيم معرضاً دائماً للكتب التعليمية يذهب إليه المعلمون لاختيار أفضل الكتب



التي تعالج الموضوعات الواردة في المقررات . . وهم يختارون أكثر من كتاب في كل مادة حتى يتفادوا تحويل التلاميذ إلى مجرد آلات حافظة وأجهزة تسجيل ثم أسطوانات تردد كالببغاوات ما يحضر على سطحها وليصبح من الصعب تغيره أو ازالته وتسجيل مواد أخرى كما أنهم لا يريدون أن يفرضوا اتجاهاً معيناً ووجهة نظر خاصة في أي مادة من المواد وهم منذ الصغر يدربون الأطفال على تجميع المعلومات من عدة كتب وهم ينمون فيهم عادة القراءة وأسلوب البحث وبذل الجهد في التقاط المواد الدراسية بين صفحات كتب كثيرة . . حتى لا يصبحون سلبيين في دراستهم ومجرد متلقين . . إذ يرون أن كتاباً واحداً مقرراً يحول هذا الكتاب إلى شيء له هيبته ، وكل همهم تحطيم هيبة كتاب واحد وعدم إحاطة كتاب مهما كانت قيمته بهالة من الاحترام تحول بين الطفل وبين كتاب آخرين وتمنع اهتمامه بكتب أخرى ، ولذلك لا نستطيع غالباً أن نجد فارقاً كبيراً بين الكتاب المدرسي وبين الكتاب الثقافي . . إنهما يتداخلان ويمتزجان في كثير من المواد مثل اللغات والمواد الاجتماعية (كالجغرافيا والتاريخ) والعلوم ، بل والرياضيات التي أصبحت تدرس في الصفوف الأولى من المدارس الابتدائية مشتملة على الحساب والجبر والهندسة في مادة واحدة متكاملة **ولا بد أن يقرأ الطفل من خمسة كتب إلى خمسة عشر كتاباً في العام** .

على أن هذا لا يمنع دور النشر من عمل أقسام معينة للكتب المدرسية التعليمية ، وبجانبها أقسام أخرى لكتب الأطفال التي تباع في حوانيت الكتب ويشتريها الآباء والأطفال وتزود بها المكتبات .

وقد زرت مكاتب الفنانين الذين يرسمون هذه الكتب ، وهي مزودة بمراجع رائعة في الرسم ، كما زرت قاعة إعداد الكتب في (بنجوين) وهي تدار بعقل الكتروني ، إذ لا يعقل أن يتم توزيع الكتب التي تصل إلى ٣٠ مليون كتاب سنوياً . هذا وقد زرت مجموعة من مجلات الأطفال وشاهدت مراحل صدور المجلات وأنواعها .

لقد انتزعت الكتب من المجلات مكانتها فأصبح توزيع المجلات متواضعاً إذا قيس بالكتب ، فهي لا تساير الأحداث الجارية ولا تلاحق الأخبار ففقدت ميزاتها وتفوقها على الكتاب فأصبح مثلها بل بفضلها من حيث القيمة الثقافية والقدرة على توزيعه في وقت أطول .

ولا بد أن أشير إلى أن كتّاب الأطفال قد أنشأوا اتحاداً لهم ضمن اتحاد كتاب إنجلترا ، ولعل أهم انطباع خرجت به أن الكتابة للأطفال في العالم تعاني أزمة . . فرغم المجالات العديدة المفتوحة أمام الكتاب في إنجلترا (٢٠٠ دار نشر وإذاعة . . الخ . .) فإن ستة من كتابهم فقط هم الذين يستطيعون التفرغ للكتابة للأطفال من بين أكثر من ٣٠٠ كاتب محترف . . كما أنهم يشكون من أن الأجر بالنسبة للكتابة للأطفال في العديد من الأجهزة تبلغ نصف أجر الكتابة للكبار . . وتقوم مكاتب معينة بتسويق مخطوطاتهم لدى دور النشر فتريحهم من عذابات عرض أنفسهم وكتاباتهم وتتحمل المسؤولية مكاتب وكلاء الأعمال للمؤلفين . . وهي مؤسسات تجارية تتقاضى من الكتاب ١٠ ٪ من دخله كما تتفق مع دور النشر على طبعه وتوزيعه .

كتب الأطفال في الوطن العربي

قبل أن تظهر إلى الوجود مكتبة الرائد **كامل كيلاني** عرف الأطفال العرب كتب المطالعة المدرسية وبعض دواوين الشعر ـ **وربما كان أول من كتب للأطفال في وطننا هو إبراهيم العرب** ـ الذي عثرنا على كتابات متفرقة له، **وأول من نظم لهم الشعر هو محمد الهراوي**.. وكانت كتب المطالعة مزيجاً من الحكايات العربية القديمة، مضافاً إليها قصص من أيسوب ولافرنتين واندرسون من الأقلام العاملة في هذا الحقل.

وفي نهاية الستينات ظهرت حركة جديدة تعد منعطفاً هاماً في حركة ثقافة الأطفال، إذ اتجه كثيرون إلى الاهتمام بالدراسة: دراسة التربية وعلم النفس والفنون المرتبطة بالأطفال، وكتبت عدة بحوث وأجريت عدة دراسات، وفي يقيننا أنها سوف تثري حقل كتب الأطفال في بلادنا، ونذكر بالتقدير في هذا المجال دور **كتب الهلال للأطفال**، ونشير أيضاً إلى جمعية ثقافة الطفل.

ولا نستطيع أن ننسى الجهود المبذولة على مستوى الوطن العربي في مجال كتب الأطفال، نذكر منها بالتقدير جهود **تونس** الشقيقة، ففضلاً عن إعادة طبع كتب الكيلاني استقطبت أقلام كبار كتابها لكي تكتب للأطفال فظهرت لهم كتب قيمة، كما أن عدداً من الكتاب بينهم **عبد الحميد القسنطيني** نذروا أقلامهم لقضية الطفولة.

وفي **العراق** الشقيق، بعد محاولات فردية متناثرة، ظهرت مدرسة «**مجلتي**»، وهي مدرسة تعد بإثراء هذا الحقل، فقد ظهر على أثر مجلتي أول صحيفة أسبوعية للأطفال هي «**المزمار**»، ثم سلسلة من الكتب على نسق قصص الهلال للأطفال التي توقفت عن الصدور في مصر.

وفي **سورية** ظهرت أسرة «**أسامة**» التي زاملتها «**رافع**» لفترة ثم توقفت.. وهناك اهتمام كبير بكتب الأطفال ونذكر بكل تقدير «**سليمان العيسى**» وأشعاره ومسرحياته الشعرية للأطفال.. ولا ننسى جهود «**عادل أبو شنب**» و«**زكريا تامر**».

أما أسرة الصبيان في **السودان** وكتب النشر الذي أصبح إدارة الإنتاج التربوي والثقافي فله جهود رائعة بحق وصدق على مدى عشرين عاماً أصدرت خلالها عشرات الكتب توزع على المدارس والمكتبات ولا تصل إلى بقية أرجاء الوطن العربي.

بقيت الشقيقة «**لبنان**» وإني لأشعر بالأسى، وهذا الفيض من الكتب والمجلات يصدر من بيروت لأغراض تجارية فحسب.. بل لقد رأيت أحدهم ينتحل اسم: «الكيلاني» ويصدر مئات الكتب المترجمة، دون أن يكلف نفسه بأن يعرف شيئاً عن أصحاب هذه الكتب، حتى إنه كتب على واحد منها للكاتب الفرنسي «ايند بليتون» مع أن «ايند بليتون» هذه سيدة وليست فرنسية بل إنجليزية وهي أكبر كاتبة إنجليزية وماتت منذ عامين بعد أن أصدرت وجريم.. وكان المزيج عسر الهضم، بسبب صعوبة اللغة، فالكلمات المختارة للقصص كانت تفوق مراحل ما في قاموسه، وكلنا يذكر ولا شك أنه قد مرت علينا في كتبنا زرقاء اليمامة وبائعة اللبن وجابر عثرات الكرام، والذئب والحمل، بالإضافة إلى القصص الديني.. ولا نظن أن كتاباً مصوراً ملوناً للأطفال في وطننا العربي ظهر قبل بداية القرن العشرين.. وكانت البداية على كل حال ساذجة، وفقيرة الذوق، لكنها كانت محاولات تستحق التقدير، ونذكر بالخير «قصتي» المرحوم **مصطفى محمد إبراهيم**، ثم «قصص مدرسية» **لسعيد العريان** وآخرين.

وظهرت مكتبة الكيلاني، فكان لها فضل الريادة.. حيث شملت عدداً كبيراً من الكتب.. كانت متنوعة في اهتماماتها.. بينها عشرات من الحكايا من الآداب العلمية، فهي نافذة رائعة فتحت على هذه الإنسانيات التي لا بد أن يعرفها الطفل.. كما أنها ضمت كتباً في الرحلات والمغامرات وغير ذلك من ألوان اهتمامات الأطفال.. وكان فيها اعتزاز بالعروبة ولغتها وأدبها، كما أنها ضمت الكثير من القصص الديني.. بينها قصة حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، وهذه المكتبة العزيزة على نفوسنا لا يقلل من قدرها أنها تمثل مرحلة الترجمة والنقل والاقتباس، فقد كانت رائدة وما كنا نعرف قبلها فن الكتابة للأطفال ويجب ألا تطالب بما فوق طاقتها، وبما يتجاوز قدرتها.. وقد غاب عنا صاحبها عام ١٩٥٩ م لكنها لم تغب.. إذ ما زالت كتبها تعاد طبعاتها حتى وصل بعضها إلى الطبعة الثلاثين.. آخرها طبعة صدرت في تونس الشقيقة.

وجاء **سعيد العريان** خلال فترة ظهور مكتبة الكيلاني، وإذا كنا قد أشرنا إلى أن مكتبة الكيلاني تمثل مرحلة الترجمة، فإن العريان يمثل محاولة عربية الجذور، منفصلة إلى حد كبير عن الإنتاج العلمي في هذا المجال وصاحب المحاولة لم يطلع على هذا الإنتاج إلا مترجماً، وكان حماسه للتربية كبيراً، لذلك امتلأت صفحات كتبه للأطفال بالغريب من المفردات، والموضوعات والرجلان لم يتفرغا للكتابة للأطفال، لذلك يحمد لهما جهدهما ويذكر بكل خير وتقدير.

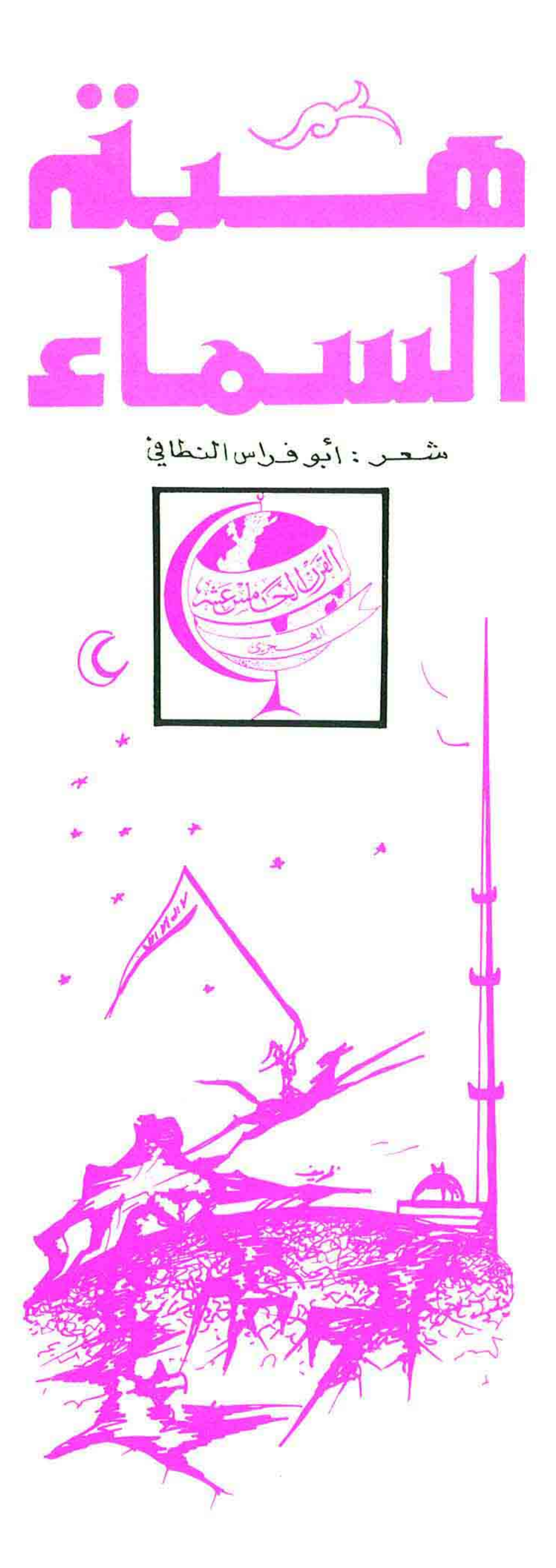
ومنذ عام ١٩٥٩ م، وخلال عشر سنوات، ظهر في مصر نحو ١٨٣٧ كتاباً كما جاء في **مجلة الكتاب العربي** ـ العدد الخاص بكتب الأطفال والصادر في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ م، من بينها ٩٤٢ قصة، أي أكثر من نصفها ويأتي بعدها القصص الديني، وقد ظهرت أسماء كثيرة في مجال الكتابة للأطفال وأغلبها من العاملين في مجال التربية والتعليم.. كما أن مجالات أخرى غير الكتاب ظهرت في الأفق وشدت الأطفال إليها كالمجلات والإذاعة والتليفزيون.. وقد شدت هذه المجالات الكثير ٥٠٠ كتاب للأطفال تجاوز عدد نسخها الملايين.. إن شيئاً ما يجب أن يبذل في مجال نشر كتب الأطفال في «بيروت».

وبعد..

لا أملك بعد هذا العرض إلا أن أطالب بالمزيد من العناية بالحرف.. الحرف الشريف الذي يكتب من أجل أكبادنا.. صناع المستقبل.

هبة السماء

شعر: أبو فراس النطافي



جفَّتِ الأرضُ ، واكتَست بالسَّوادِ   فالظَّلامُ الرَّهيبُ في كلِّ نادي
جَثَمَ الليلُ فوقَها وتَوارتْ   بسمةُ البشرِ في ثيابِ الحِدادِ
غَمَرَ الخلْقَ والطَّبيعةَ حتى   أصبحَ الحيُّ يَهْتدي بالجَماد
تاهَ مَنْ يبتغي الرَّشادَ وألْقى   بحُطامِ الرَّجاءِ فوقَ القتَاد
وتَساوى مُعمِّرٌ في الخطايا   وغريقٌ على ضِفافِ الرَّشاد
فاستجارتْ بربِّها الأرْضُ ذعراً   مِنْ خطوبٍ مُعربداتٍ شِداد
رَبِّ إني أرى النُّجومَ وليْلي   يتمطَّى على رؤوسِ العباد
رَبِّ إني أراكَ مِلءَ جُفوني   رَغْمَ هَوْلِ الظلامِ والأسْداد
فأنِرْ رَبِّ بالضِّياءِ نُفوساً   تتَعادى في زحمةِ الأضداد
ليسَ للأرضِ غيرَ نورِكَ هادٍ   ينقِذ الخلْقَ مِنْ جحيمِ الفساد
فإذا بالسَّماءِ تُرسِلُ نُوراً   مِنْ ضياءِ الرَّحمنِ عبرَ البَوادي
والوجودُ الذي تأمَّلَ هدْياً   مِنْ نُجومٍ تشعُّ في الأبعاد
عانَقَ الشَّمسَ في نهارٍ جَليٍّ   مُشرقِ الوجهِ ساعةَ الميلاد
وتجلَّى الرَّسولُ بينَ البَرايا   يبعثُ الخيرَ غامِراً في البلاد
وجَرى النورُ يستَحِثُّ المَطايا   في صراعٍ مَعَ الظَّلامِ المُعادي
فتَهاوتْ مَعَ الظَّلامِ عُروشٌ   طهَّرتْها جحافِلُ الأجداد
وتَوارتْ مَعَ العُروشِ نُجومٌ   في شُعاعِ النُّبُوَّةِ الوَقَّاد
ونُفوسُ العبادِ فاضَتْ سُروراً   وتَلاقَتْ عَلى بساطِ الوداد
وارتَوى مِنْ عَدالةِ اللهِ قَوْمٌ   فقَدوا العَدلَ في خِضَمِّ التَّعادي
ما تَبقَّى على الخرابِ جَريحٌ   يتَنزَّى مِنْ قَسوةِ الجلَّاد
فرَحيقُ الإسلامِ أندى رَحيقٍ   في رياضِ الأمجادِ والإسْعاد
هُوَ نورُ السَّماءِ في كُلِّ عَصْرٍ   وبَشيرُ الأفْراحِ والأعياد
هِبَةُ اللهِ للمَلا وعَطاءٌ   خيِّرٌ مُحمَّدٍ خيْرِ هادي

★ ★ ★

مَرَّ عصرٌ وأعصُرٌ تتَوالى   مِنْ قَديمِ الأزْمانِ والآباد
وحسامُ الإسلامِ ما زالَ عَضْباً   يتَحدَّى جَحافلَ الإلْحاد
كُلَّما أظلَمَ الزَّمانُ وماجَتْ   زمرُ الشَّرِّ في دُجى الأحقاد
أيقظ اللّهُ صوتَ أحْمدَ فينا   هاتِفاً في الشُّعورِ والأكْباد
حاربوا الشِّركَ والفَسادَ وصونوا   عزَّةَ المسلمينَ مِنْ كُلِّ عادي
فأجيبوا مُحَمَّداً وأعِدّوا   للقاءِ الأعداءِ كُلَّ زناد
وَدَعوا اللَّهوَ والخمولَ وسيروا   في رِكابِ العَلياءِ والأمجاد
وتَغنوا بفضلكُمْ وتباهوا   بحصادِ اليَديْنِ يومَ الحصاد
قد كفاكم مِنَ الفخارِ هُراءٌ   وسمومٌ مِنَ الكَلامِ المُعاد
إنْ تغنَّى بالطَّلْعِ أهلُ الفيافي   وتغنَّى بالنَّبعِ أهلُ النِّجاد
فغِنائي عَلى المَدى برَسولي   فبهِ يَبْلُغُ السِّماكَ عِمادي
والقَوافي بأُمَّتي تتَباهى   وهَوى المُسلِمينَ في إنْشادي
عَربيٌّ لا يُنكِرُ العُرْبُ أصلي   مُسلِمٌ مِنْ سُلالَةِ الأمجاد
وإذا أنكرَتْ بلادِيَ وَجْهي   فكفاني أنّي أحِبُّ بلادي

قصة قصيرة

بقلم : اسماعيل ولي الدين

عمالقة الصباح

قبل أن ينتهي الليل وتنتشر الشعلة الحمراء في الأفق . . . ويتبدل السواد إلى مجموعة من الألوان ، ويرتفع **أذان الجامع الصغير** الذي أنشأه الرجل القادر في الشارع بجوار عمارته الجديدة التي ترتفع دوراً كل ستة أشهر ، تحتها ورشة دوكو وسمكرة وإصلاح عربات . . ورش الدوكو التي انتشرت على أرصفة الشارع وعلى المساحات التي كانت اسفلتاً . . **سمع دوياً عالياً وكأن شيئاً يقع .**

وفي نهاية صلاة المصلين في الجامع الصغير . . واللون يفتح تدريجياً . . ليكون الأزرق بدرجاته والأحمر أيضاً بدرجاته . . انطلقت صرخة مدوية من **حارة السفرتي** . . الحارة العمودية على الشارع الخاص بإصلاح وتبديل العربات . . صرخة عجوز . . تلتها صرخات مفزعة قاطعة ، تمزق القلوب المستريحة الدافئة . . تحرم النائم من نومه .

وهرج وضجة تبدل اللحظات الأخيرة من الليل لتحوله إلى جحيم من الأصوات المفزعة القلقة ، وسمع دبة وراءها دبة أخرى .

ـ البيت بيقع يا أبو سلطان .

★ ياوليه سبيني أنام .

ـ يا أبو سلطان البيت بيقع .

★ احنا مالنا ومالهم . . اتهدي ياوليه ، ولا فاكراني أقدر أعيد اللي بدأته في أول الليل .

مصمصت المرأة في سرها وهي تتذكر كيف عاد في نفس الليلة غير طبيعي ، وذلك من أجل الواجب الذي بات يتضاءل أسبوعاً بعد أسبوع ، شهراً بعد آخر . . حتى أصبح في المناسبات . . . وكانت تعرف وتستعد له منذ أيام . . أليس اليوم هو عيد ميلاده ، وسيسهر مع أصدقائه وشلته في أحد ملاهي الهرم . . وسيعود لبيته . . ويشعرها في لحظة أنها ما زالت امرأته ، تشعر بداخلها أنها لحظة كاذبة ومدعية ، ولكن هكذا العمر والسنوات . . كل خيره الآن على الآخرين والأغراب .

وفجأة عادت المرأة تقول ، بعد سماعها دبة ضخمة ، استيقظ عليها فعلاً أبو سلطان وهو يقول :

★ **يا ساتر . . . يا رب . . . اللهم احفظنا .**

هنا قالت المرأة بصوت مسموع :

ـ انت عارف أي بيت هو اللي بيقع . . الربع الكبير في حارة السفرتي . . . اني أعرف صوت **الشيخة إحسان** من بين كل الأصوات التي عرفتها في حياتي .

وهنا قام الرجل مفزعاً . . تاركاً الدفء والغطاء . . وهو يقول :

★ **إذا كان صحيح يا وليه ما تقولينه هاحليلك بقك الحلو . . .**

ولما نظر إليها في ضوء المصباح الذي أضاءته المرأة عندما قام الرجل مفزعاً من تحت الغطاء . . خوفاً أن يصيب نفسه أو يصيب إحدى قطع الأثاث المندس في حجرة نومهما .

ولما نظر إليا متأملاً في لحظة . . متأملاً هذا الوجه . . ندم على كلمة الحلاوة التي أضافها إلى حديثه معها . . فهو لا يرى إلا كرمشة وشفاهاً غليظة مشققة وأسناناً متآكلة صفراء ضعيفة مثل أسنان المشط . . وقال في سره : « **أعوذ بالله من صباح يشاهد فيه المرء عجز وقبح من كانت ترقد معه** » .

★ ياالله يا وليه . . روحي صحي سلطان .

ـ دلوقت يا أبو سلطان . . والنهار ما طلعش لسه .

وأردفت في دلال وغنج لا يصلحان لسنها :

ـ دول لسه عرايس .

★ صحيه ـ **قالها بلهجة حماسية** ـ مش شايفة الدوشة اللي في الشارع .

وصعدت المرأة لتوقظ ابنها **سلطان** الذي كان فعلاً نائماً مع عروسه ، لم يشعر بعد بضجة الشارع والحارة والمصاب الذي ألم بالشيخة إحسان مقرئة الحي .

ونزل سلطان بعد دقائق . . فتى وشاب ربع قوي العضلات ، ذو شعر أكرت منفوش ، وصاحب ملامح بلطجي في زفته . . خلفه امرأته ، صغيرة نحيفة تسيل رقة وأنوثة . . .

وهنا قالت المرأة في استنكار :

ـ روحي لمي نفسك يا **سماح** .

وقال سلطان الكبير لابنه :

★ البس هدومك .. وانزل شـوف ايـه الحـكاية .. مـين اللي مات .. مين اللي صاحي .

أثناء حديثهما .. كانت عربات الإسعاف والمطافئ بصفاراتها المزعجة قد وصلت إلى المكان .

وأسرعت المرأة تقول :

ـ شهم والله يا أبو سلطان .

وقال الرجل مستنكراً :

★ اسكتي ياوليه بلاش الدروشة دي .

فتحت المرأة خصاص النافذة .. طالعتها السماء بلونها الجميل الجديد الذي قلما يشاهده أحد في هذه الساعة .. والألوان تتبدل بقدرة قادر .. وعصافير الصباح تعلن عن اليوم الجديد .. واتجهت بنظرها إلى مكان حارة السفرتي الذي لا يفصلها عنهم سوى بيت كبير .. كمية من الأتربة تتصاعد إلى السماء ليحتل اللون الرمادي المكان . وأفراد منقولين وسط الزحام إلى عربات الإسعاف .. وولولة ونحيب وصراخ ، وعادت تقول :

ـ يظهر فيه حد مات .

ولم يرد عليها أبو سلطان الذي كان مشغولا « **بقربصة** » زجاجة ماء كاملة ، ليطفئ بها جذوة الليلة الماضية .

ـ دلوقت سلطان يقول لنا على الحادث ... البيت وقع كله .. والا جزء منه ... ومين اللي مات ومين اللي فضل .

وشعرت المرأة بكراهية لزوجها في هذه اللحظة ، لكنها لم تعلنها .

ـ أحضر لك فطار .

★ فطار ايه ياوليه .. استني لما يعود سلطان وافتحيلنا الراديو .. ولا هاتي لنا شريط لعدوية .. يغطي على الدوشة .

وانصاعت المرأة لأوامر زوجها .

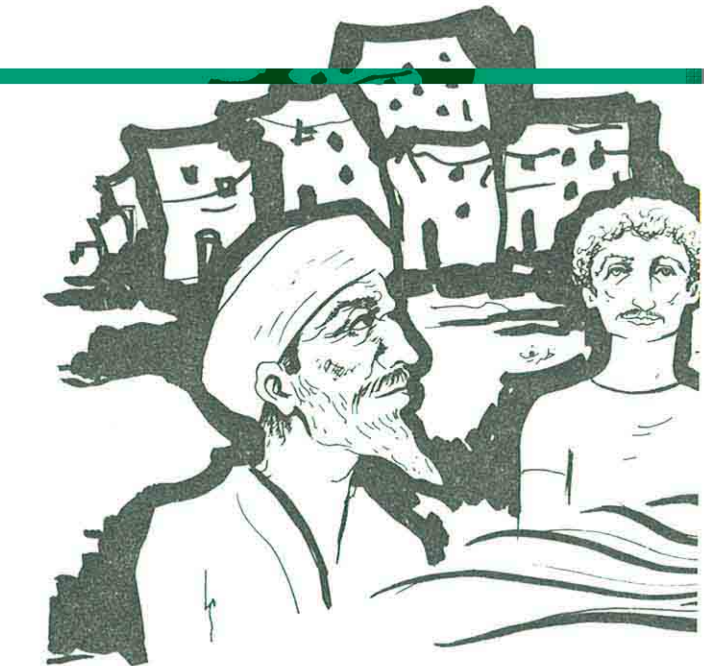
في الصباح .. عرف الخبر .. في الحارة .. في الشارع .. وتحرك أبو سلطان من البيت إلى الدكان الذي يقع أسفل والذي بناه بكده .. إلى ورشة الدوكو .. الذي يحول فيها الخردة إلى عربات ملونة مؤكدة تصلح للمعارض .. ولكن الحظ لم يخدمه كما خدمه في بناء البيت ، فهو بعد مشقته في تجميع المال حلالا أو حراماً .. يضطر أن يبيع العربات التي يحولها بشطارته إلى عربات جديدة .. عربات يشتريها من مزادات الحوادث ، أو من ورش الخردة ، ويعيد تجميعها ويبدأ السمكري عمله .. ثم يأتي دور الدوكو .. عنده الآن أحسن ورشة في الشارع الذي أصبح مشهوراً بتصنيع وتجميل العربات .

قال كثيراً للشيخة أم إحسان .. مقرئتهم في الملمات وفي أيام رمضان : **لماذا لا تتركي هذا البيت القديم.. ونعطيك شقة في العمارة الجديدة .. أي دور تفضلينه ، ونأخذ نحن البيت الكبير عليك ... المهجور .**

ورفضت المرأة نداءه دائماً ، فهي قد زوجت ابنتها الكبرى في نفس البيت ـ البيت دور واحد .. مكون من تسع حجرات كبيرة واسعة ـ بل علم أنها قد تزوج ابنتيها الأخريان فيه .. آخر ما تركه المرحوم ... أيضاً تؤجر الدور الأرضي لبعض الورش ، وقهوة صغيرة يرتادها العمال .

في المدة الأخيرة .. قام البوليس بعدة كبسات مستمرة على القهوة ، لعلهم يجدوا مخالفة في لعب الورق أو في تدخين الحشيش ... ولكن أسفرت كل الكبسات أن القهوة نظيفة .. وكانت أم إحسان تعلم أن السبب وراء كل هذه الكبسات هو الكبير .. أبو سلطان الذي يسعى لأخذ البيت بالرضا أو بالإجبار .

وعلم أبو سلطان وهو في ورشته .. أن العروس الجديدة قد ماتت مع البنتين الأخريين ، وأن أم إحسان لم تصب إلا برضوض بسيطة ، وأنها نقلت إلى المستشفى في حالة هيجان وذعر .. أقرب إلى الجنون بعد ما حاولت ابنتها العروس أن تترك حجرة نومها الجديدة لتنزل إلى أرضية الحارة ، حتى ولو بقميص النوم .. ولكن البنت تأخرت ثوان ، كانت فيها نهايتها .



لم تفكر الشيخة أم إحسان إلا في العروس في هذه اللحظة . . اللحظة الفاجعة القاصمة للظهر والحياة . . لم تفكر في ابنتيها الأخريين اللتين كانتا تنامان في حجرة مجاورة ، وجرت مثل قطة مذعورة إلى حجرة نوم العروس في نهاية طرف المنزل الواسع . . العروس كانت وحدها في هذه الليلة ، الزوج كان في مأمورية بالإسكندرية .

وعاش الشارع والحارة في شبه ذهول . . وألم الشيخة أم إحسان . . لقد كانت تتمتع بسمعة طيبة وصوت وقور رصين عند **ترتيل القرآن الكريم** . . كما كانت بناتها محميات معروف عنهن الحسن والتقوى .

★ ★ ★

وصرخ أبو سلطان في عماله الذين يتباطؤون في العمل هذا الصباح في غسيل العربات وصنفرتها ومعجنتها ، تمهيداً لرشها بالدوكو . . كان العمال في شبه ذهول ، وفي حالة لا تسمح لهم بالعمل ، وهم يرون الهدم أمام أعينهم . . والمصيبة التي لم تمض عليها ساعات بعد .

زمجر أبو سلطان . . . وحسم نصف يومية عامل كان قد تباطأ في العمل . . وهو **زينهم** الذي كان يتمنى في سره أن يتزوج بالفتاة الصغرى الموجودة في هذه اللحظة في (مشرحة زينهم) . . كانت الحارة تعرف موضوع حبها الدفين . . . وإن كان **زينهم** يؤخر الحديث فيه حتى تتزوج الوسطى .

وفي عصر اليوم نفسه ، وصل الشاب المنكوب زوج العروس . . وبدأوا في إجراءات الدفن في اليوم نفسه . . وأقيم سرادق كبير على حساب أبي سلطان [illegible] الشيخة أم إحسان . . ووقف أمام السرادق يقابل المعزين الذين كان أغلبهم من سكان الشارع وعمال الدوكو في الورشة القريبة .

وفي نهاية السرادق كان حديثاً هامساً يدور بين اثنين من **عمالقة الصاج** لهما ورش في المنطقة . . إن المكان الجديد يسمح بمعرض واسع عظيم للعربات المعدلة . . يحتل ناصية الشارع والحارة . . وأنهم يستطيعون أن يقدموا فيه ما يصنعونه بسهولة .

وصل الحديث الهامس إلى أبي سلطان في جلسته بجوار المقرئ ، لم ينتظر حتى انصراف المعزين . . وكانت خناقة وعتاباً مع الاثنين الشطار اللذين يريدان أن يلحقا بالمكسب حتى قبل أن يبدأ . . .

ودار لغط وضجيج بين الثلاثة . . وعمال الفراشة يحركون قماش الخيامية ، يجمعون العروق فوق العربات الكارو . . والتف حول الثلاثة الكبار صبيانهم وعمالهم . . وأصبحت خناقة على مسطح الرمل الذي كان فوقه منذ لحظات سرادق مقام . . لثلاث فتيات في عمر الورد .

خناقة استخدمت فيها المطاوي والسكاكين والسنج . . ولم تسفر الخناقة إلا عن بعض اصابات للصبيان والغوغاء .

واتفق الثلاثة . . . أخيراً في جلسة صلح . . **أن الصباح رباح** . . وأن العجوز ما زالت راقدة في الفراش . . وأن المكان يسع معرضاً ومعرضين . . وأن ورش الدوكو في الحارة والشارع يجب أن تقف متضامنة قبل أن تستيقظ المرأة لنفسها وتعرف قيمة الأرض . . وتسمع عن صراخهم أو صراعهم .

وعندما قال أحدهم :

ــ والولد جوز البنت .

قال أبو سلطان :

ــ خليها عليه . . . الولد صغير . . لسه متخرج من **الجامعة** . . بياخد كام خمسة وعشرين ملطوش . . نديله محل صغير لقطع غيار السيارات . . فيفرح وينبسط ويدعو لنا .

وعاد الهدوء إلى الشارع . . وولجت الأجساد تحت الأغطية . . وارتاح أغلبهم إلى النوم ، خاصة المتعبون والكادحون من سكان الشارع الذين يجدون الرغيف واللحم بصعوبة ويقبلون أقل القليل . . ويعيشون اليوم كله على أصوات الدق والشواكيش التي ترتفع وتنخفض فوق هياكل الصاج في إمكانية استبدالها ، وترك المياه العطنة ومجموعة الفضلات والوساخة المتبقية من العمل ورائحة الدوكو والشجار الذي يرتفع دوماً بين عمال الورشة الكبيرة أو المصنع الذي اتخذ مسرحاً لعمله في الشارع والحارة .



بقلم : زهير العلاف

الأصفار

شفتاها تتحركان ، وصدى صوتها يصله مضطرباً مشوهاً . . كان غارقاً في غضون جبهتها ، وفي الزرقة المحيطة بعينيها ، بينما هي تتكلم وتتكلم . . كأن حديثها بلا نهاية . .

ـ أبوك . . أبوك يا بنيّ . . أنت تعرفه .

« أبي ! . . أعرفه حقاً . . ولكنني ابن خمسة وعشرين . . ماذا يريد مني ؟ متى أتحول في نظره إلى رجل متى » ؟ . . فتح عينيه وألقى في مسامعها قوله :

ـ أبي . . فهمت أنه أبي . . **ولكن لماذا لا يدعني لنفسي ، أيظنني طفلاً ؟**

ـ **إنك طفل كبير** . . هو الذي يقول هذا يا بني . . هو الذي قرر ، وما عليك إلا التنفيذ .

« التنفيذ . . العملية خطيرة إذن . كلنا صغار عنده . . **إخوتك التسعة أصفار . . أنت كبيرهم . . فأنت صفر كبير . . حتى أمك ليست أكثر من صفر أيضاً** . . عندما تفكر أمك هذه أن تدافع عن أحد إخوتك الصغار . . لن تجد إلا العصا التي ستترك خطوطاً زرقاء على جسدها . . وبعد أيام قليلة ستعود إلي . . وتركع تحت قدمي . . أمك هذه . . ماذا تظنها أنت ؟ ولدتك . . وولدت إخوتك الصغار التسعة . . ولكنها لا شيء أمامي . . **أنا الرجل الذي أخرجتكم من صلبي . . هي ليست أكثر من أرض قاحلة لولاي يا محمود . .**

عندما أطلب منك شيئاً إياك أن ترفع رأسك . . إياك أن تفتح عينيك . . إياك ، إياك أن تفكر في قرارة نفسك بالرفض . . أنا المتصرف الأول والأخير . . أخوك مسعود . . تأخر ساعة أول البارحة . . لماذا يتأخر عن الوقت المحدد ؟ هو أصغر منك . . ولكنه عنيد . . **صفر متمرد . .** سأعفس على رأسه . . وسأعلمه الخضوع لي . . دخل وفي فمه رائحةٌ ما لم أستطع تمييزها جيداً . . كنت في حالتي العصبية . . **نظرت إلى شاربيه** المنفوشين . . ولحيته الضخمة . . هو أصغر منك . . ولكنه **عنيد** . . وقفت على رؤوس أصابعي . . وصفعته على وجهه . . وقف أمامي كتمثال . . لم يتحرك ولم تطفر دمعة من عينيه . . صفعته أخرى . . وثالثة ورابعة . . كان تمثالا عنيداً ، يحملق في وجهي والشرر يتطاير من عينيه . . ازداد غضبي . . اضطربت أكثر . . جننت . . اندفعت إلى المطبخ لآتي بسكين كبير . . أردت أن أغرزه في صدره ، ولكنه أمسك يديّ بعنف . . ولواها . . ثم سحب السكين . . عروق يديه كانت بارزة . . وعيناه لا ترفّان ، وأسنانه يصرّ عليها بعصبية وعنف .

اقتربت أمك لتنقذه أو لتنقذني . . لكنني هجمت عليها . . أفرغت فيها كل ما فيّ من ألم وحقد وعصبية . . كانت أصواتها تتردد في درج العمارة . . الجيران كانوا على أبواب منازلهم . . يخشون التدخل في أمر كهذا . . يعلمون أنني سأحول ذلك إلى جروح تعوي في أعماقهم . . فتح الباب وخرج بعد أن رمقني بنظرة عميقة . . **هذا الصفر المتمرد** لم يبت تلك الليلة في منزلي . . بل غاب أياماً خارج المنزل .

أنت لست مثله أبداً ، كأنك لست أخاً له . . **أنت صفر**



مطيع .. فماذا يدور في ذهنك الآن ؟ لن أتحدث معك ، بل سأخبر أمك » .

ــ ماذا قلت يا ولدي ؟ أبوك يريد الجواب .

نظر إلى أمه .. رأى في عينيها آثار الخضوع . « يريد الجواب ؟ أي جواب يا أماه ؟ أيقبل جواباً يخالف رأيه ؟ » .

ــ ماذا طلب أبي منك يا أماه .. أي جواب هذا ؟

ــ طلب رأيك .. هل توافق على الفكرة التي طرحها عليك .

« نظر حوله .. الجدران تكاد تتلاصق .. منذ أسبوع باعوا خزانة ليضعوا مكانها فراشاً لأحد إخوته التسعة .. في المطبخ ينام اثنان ، وفي البهو خمسة .. وثلاث بنات وأمهم في غرفة .. والأب في الغرفة الأخرى » .

تضاحكت الأم ثم قالت :

ــ كنت أنتظر منك أن تطير من الفرح .. هذا مشروع يتمناه كل من في سنك .

« يتمناه ولكن ألم يفكر هذا الرجل في الزاوية التي سيضعني فيها » .

رفع رأسه وقال لأمه :

ــ أفرح .. لا بد أن أفرح .. ولكن أين ستضعونني أنا وهذه المسكينة ؟ ثم من أين ستأتونني بها ماذا يريد أبي على التحديد ؟ **أيريد رأيي أم موافقتي ؟**

ــ وهل هناك فرق يا بني ؟ **يريد رأيك وموافقتك** .

« فكر في نفسه .. أنا لست أكثر من **صفر كبير** .. فكيف ينتظر مني رأياً ؟ أيحق لي أن أرفض ؟ وماذا لو رفضت مرة واحدة في عمري ؟ خمسة وعشرون عاماً ورأسي يهتز باستمرار .. نعم .. نعم .. قضيت خدمتي الوطنية منذ سنوات ، ما فكرت مرة واحدة بلا .. قال : التأخر ممنوع .. قلنا : طيب .. ادفع مرتبك حتى آخر سنتيم .. طيب .. صديقك صالح لا تثق فيه .. طيب .. عليك أن تتزوج .. هذه المرة .. لا .. لا .. » .

قال لأمه :

ــ إنني أرفض بحسم .. لن أتزوج .

ــ ماذا يا بني ؟ ترفض رأي أبيك ! أتريد أن تسوّد عيشنا ؟

واندفعت تبكي .. لم لا تبكي .. ستدفع الثمن وحدها .. أليس ابنها ؟ أليست أمّ كل الصغار .. فكيف يتردد هذا **الصفر الكبير** لا بد أن يؤدب إذن ..

ــ يا بني عد إلى عقلك ! أبوك قرر أن يزوجك فتقول له : لا ! أجننت يا محمود ؟

ــ **الزواج بالقوة** ! عمري لم أسمع بهذا .. **لماذا لا يزوج نفسه بدلا مني** ؟ إنني أرفض هذا الزواج .. أتملكون زاوية فارغة تسكنوني إياها ؟

ــ هو سيدبر الأمر .. لا علاقة لك بذلك .. يجب أن تقول : نعم . وكفى .

« نعم .. إنه يبحث عن نعمي هذا ! لماذا لا يتصرف من دون أن يستشيرني إذن ؟ لماذا لا يزوجني وينتهي الأمر ؟ عندئذ .. أدخل إلى المنزل فأجد امرأة في انتظاري .. أليس هذا كل ما في الأمر ؟ أين سأسكن ؟ أي زاوية أستطيع أن أقبع فيها ؟ **كل ركن في الدار مشغول** : المطبخ .. الغرف الثلاث الصغيرة .. لم يبق إلا دورة المياه » .

ــ **لا سيحول الحمام إلى غرفة** ..

« ماذا ؟ الحمام .. متر بمترين يتحول إلى غرفة أيضاً لا .. لا ..





ليس هناك ضرورة إلى مشروعكم هذا .. إنني مرتاح هكذا .. لن أرتكب حماقة مثل هذه » .

سمع صوت المفتاح يدور في الباب .. فتح الباب ، ودخل **(سي الأخضر)** وعليه سمات العياء .. صعد طبقات سبعاً .. لم يلق التحية .. رأى ابنه مضطرباً .. لم يرتح لقسماته . نظر في وجه امرأته فلاحظ في عينيها همًّا .. الجو متوتر .

« هل جاء في وقت غير مناسب ؟ ربما ! هل أخبرته بالأمر الذي لا بد منه ؟ ربما .. هل رفض .. لا .. لا ، سأقتلع رقبته من جذورها .. مجنون لو فعلها .. لا بد ، قلنا : لا بد أن يتزوج .. هه .. يرفض .. هذا ما بقي له » .

جلس على كرسي عتيق .. راح يفتل شاربيه .. الدار فارغة من سكانها .. الأولاد في المدرسة ، أو في الشارع ، يلعبون على باب العمارة .. حاصر ابنه بنظراته .. ولكنه لم ينطق بكلمة ، حول الشاب عينيه إلى الجهة الأخرى .

نظر الأب إلى امرأته ثم قال بتحدٍ :

ــ ماذا يا سعدية ؟ هل أخبرته بالأمر ؟

أحس محمود باضطراب شديد .. استند إلى الأرض بكفه ليقف ، ولكن أباه ناداه بلهجة جافة وحاسمة :

ــ اجلس .. اجلس يا بني .. هناك حديث ذو أهمية أريد أن أناقشك فيه .

« يناقشني .. متى كان هذا المارد يناقش ؟ صفر يناقش .. طفل غبي عمره خمسة وعشرون عاماً يُسأل عن رأيه ؟ ماذا حدث في العالم .. لا بد أن شيئاً ما قد حدث » .

رفع الابن عينيه وهمهم :

ــ ماذا ؟

فقالت الأم لزوجها :

ــ الحقيقة ... أن .. الحقيقة ..

كانت الكلمات تتدحرج في الحلق ، وتجمد عند الشفتين .. نظرت إلى عيني زوجها القاسيتين .. حاولت أن ترسم ابتسامة على شفتيها ، ولكنها أحست بأنها لا تحاول إلا عبثاً ، فقاطعها الزوج :

ــ أية حقيقة وأية « أن » هذه .. انطقي .. ماذا قال لك ..

والتفت إلى ابنه :

ــ هل أخبرتك أمك ؟ ماذا تقول ؟ تكلم !

الأرض تدور بعنف .. غشاوة ضبابية غطت عيني محمود .. أحس بالاختناق .. حاول أن ينتزع الكلمات من فمه .. ولكنه لم يستطع ..

سأل نفسه : « أية قوة سحرية يملكها هذا المارد ؟ **لماذا تتبخر كل الكلمات عندما يضع عينيه في عيني** ... حرفان فقط أعجز أن أواجهه بهما .. فتح فمه بصعوبة .. أراد أن يقذفهما في وجهه .. وليكن ما يكون بعد ذلك .. **تريد رأيي أيها المارد !** لا بأس إذن لا .. لا .. هذا هو الرأي الذي أملك .. أعرف أن الخمسة والعشرين عاماً تقتضي أن أقول غير ذلك .. ولكنني ورغم هذا سأقول : لا » .

أيقظته كلمات أبيه :

ــ ماذا حدث في هذه الدار .. أتكلم فلا أحد يجيب .. كل شيء ساهم .. لو تكلمت مع الجدران لسمعت جواباً ..

تنهد المارد مصبراً نفسه ، ثم استغفر الله ، وقال لمحمود :

ــ ماذا قلت يا محمود ؟ أعطينا كلمة لوالد الفتاة !

« هه .. أعطيتَ كلمة إذن .. قررتَ وحدك .. وخطبت وحدك .. وأعطيت الكلمة وحدك .. فماذا تريد مني أن أفعل ؟ تنتظر من رأسي أن يهتز بنعم .. نعم وألف نعم



إذن .. زوجني .. اقتلني .. افعل بي ما تشاء .. أنا فردة حذاء قديم .. لك أن تصلحها أو ترميها في سلة الأوساخ .. » .

نظر إلى عيني أبيه .. إنه مهيأ للانفجار .. سمع تنهيدة ثانية منه .. إنها ذات معنى .. ولكن ماذا يفعل .. أيعرّض نفسه إلى الإهانة والضرب .. أم يقول نعم وليكن ما يكون ..

التفت الأب إلى زوجته :

ــ انهضي يا سعدية .. حضري لنا فنجاناً من القهوة .

مدّ يده إلى جيبه ، علبة « الصافي » في آخرها .. سحب منها لفافة بعناية .. وضعها جانب فمه .. فتل شاربيه الأبيضين .. ثم أطرق رأسه وقال لابنه :

ــ الفتاة صغيرة .. أبوها صديق لي .. أعرفه منذ الصغر .. كنا نلعب معاً في الحي .. يجب أن تتزوج يا محمود ..

ــ ولكن يا أبي .

قاطعه أبوه :

ــ أي لكن يا ولد .. أنت رجل .. ابن خمسة وعشرين عاماً .. يجب أن تتزوج ..

سكت قليلاً ، ثم أكمل :

ــ أريد أن تتزوج لأرى أولادك قبل أن أموت ..

تأمل محمود أباه .. لم يصدق عينيه .. عمره لم ير أباه مهدوداً هكذا .. كان يسحب الكلمات من أعماقه بصعوبة .. قال في نفسه : **« تموت .. تموت .. لا قدر الله .. كيف سيغلبك الموت أيها الجبار العنيد .. أي موت هذا الذي سيغلبك .. لا .. لا .. يا أبي »** .

لم يشعر محمود عندما صرخ بملء فمه بكلماته الأخيرة .. قدحت عينا (السي الأخضر) بشرر مخيف ، صرخ من أعماقه :

ــ ماذا تقول يا ولد ؟ كيف تجرؤ أن تتفوّه بما تفوهت ؟

أحسّ محمود أن الحلقة تضيق وتضيق حول عنقه .. لم يرد أن يقول لا عن الزواج .. بل قالها عن الموت ، كيف يجرؤ الموت أن يقترب منه ..

نهض (سي الأخضر) من مكانه ، والعقدة بين عينيه ثم قال :

ــ على كل حال .. العقد يوم الخميس .. هذا لا جدال فيه .. وما عليك إلا أن تهيئ نفسك .

اقتربت الأم وهي تحمل صينية القهوة :

ــ القهوة يا الأخضر .

قلب شفته السفلى .. ثم قال :

ــ لا .. لست في حاجة إلى قهوتك .. اشربيها أنت وابنك .. **اشربوا البحر .. تفوه عليكم جميعاً** .

هزت الأم رأسها .. ووضعت الصينية على الأرض .. وحارت ماذا تفعل .

* * *

غرفة الحمام تحولت إلى غرفة نوم .. تتسع لسرير فقط .. الأولاد العشرة أصبحوا أحد عشرَ .. هذا كل ما في الأمر .. العروس أصغر من ربيعة أخته .. الدار تعج بأبناء آدم .. لا بد أن يصطدم أي مغامر ، يجرب أن يسير ساهياً ، بواحد من أفراد القبيلة .. (سي الأخضر) له غرفته الخاصة .. المطبخ مشغول دائماً .. كل شيء في المنزل مشغول .. **والصفر المتمرد ما زال عنيداً وصعباً** .. ورث تمرده عن أبيه .. ومحمود ورث الخضوع عن أمه ..

نهض (سي الأخضر) مبكراً هذا اليوم .. نادى العروس فاقتربت منه .. إنها زوجة في هذا المنزل .. ولكنها كبقية العشرة .. **زوجة الصفر لن تكون أكثر من صفر** .. كان جالساً في فراشه كسبع ، فتل شاربيه ، ثم مد يده إلى طاولة صغيرة جانبه ، أخرج لفافة (الصافي) من العلبة .. أشعلها .. سحب نفساً طويلاً ، ثم نفث الدخان حوله .. الدخان يشكل حاجزاً ضبابياً بينهما .. الصمت يحيط بكل شيء .. أشار إليها أن تجلس أمامه .. اقتربت منه متوجسة .. أحست أن شيئاً ما سيحدث .. ولكنها لعنت الشيطان .. أمها علمتها أن تلعنه في مثل هذه الظروف .. تحلقت عيناها بشفتيه .. ماذا هنالك أيضاً .

ــ نعم .. ناديتني ..

أشار إلى العروس أن تجلس من جديد .. تأمل شعرها المضطرب ، وحمرة خديها الأسمرين ، وسواد عينيها الصافيتين .. لا تدري لماذا يخفق قلبها كلما وقفت أمامه .. تعودت أن تلقي تحيتها وتهرب .. هل تملك شيئاً آخر .. أما أن تواجهه هكذا ، وجهاً لوجه .. فهذا فوق احتمالها .. ماذا يريد مني ؟ رجعت إلى الخلف بذاكرتها .. لم تتذكر شيئاً يستأهل منها هذا الاضطراب .. **تحرك الشاربان المعقوفان بعناية ..**

ـ تصرفكِ في هذا المنزل لا يعجبني .. أفهمت ؟ حكت لي ربيعة كل شيء ..

« حكت له .. ماذا حكتْ .. ماذا فعلتُ ؟ » .

فتحت عينيها ، حاولت أن تسأل عما حكت ربيعة .. تجمد لسانها في حلقها .. هربت كل الكلمات .. الدموع تنفر بقوة .. الخطر يحدق بها .. كلماته هادئة وحاسمة . **(سي الأخضر) غير مستعد لمناقشة أحد ..**

ـ تبكين .. دموع التماسيح .. زوجك ليس رجلاً ..

انهضي .. انهضي من وجهي .. ستندمين لو عدت إلى ذلك .

بصعوبة نهضت الفتاة من مكانها .. غادرت الغرفة ،ثم أغلقت الباب خلفها .. ساقاها لا يقويان على حملها ..

ـ ماذا ! تبكين يا حليمة ؟

ـ أبوك .. أبوك يا محمود .. يهددني .. ماذا فعلت لأختك ربيعة ؟

ـ وهل أجبته بشيء ؟ إياك أن تكوني قد فعلتها ؟

ـ لم أجب يا محمود .. ولكن والله لم أوذي ربيعة أختك .

نظر إلى زوجته البائسة .. أحس بالاختناق من جديد . قال وهو يتنهد :

ـ أعرف .. أعرف أنكِ لم تؤذي أحداً .. ولكنك ستبقين غريبة في هذا المنزل طول حياتك .. ربيعة تدّعي أنكِ لا تساعدينها .. بل تتحدينها ..

ـ أنا .. أنا يا محمود .. لا .. لم أفعل .. أحلف لك .. وحدي أقوم بكل الأعمال .. ولا يساعدني أحد ..

فكّر « لماذا لم يكن صفراً متمرداً كأخيه مسعود ؟ لماذا لم يقو على رفض زواج كهذا .. ولكنه الآن يحبها .. فتاة طيبة مثل هذه ، ماذا يريدون منها .. **إنها صفر أخرس** ، ماذا يريدون وراء ذلك ؟ » .

ـ حليمة .. احذريهم .. افعلي ما يطلبونه منك .. فأنا أريدك جانبي .

نهض من مكانه .. ليلبس ثيابه ويغادر المنزل ...

★ ★ ★

الأم جالسة في إحدى زوايا المطبخ .. وجهها يقطر حزناً .. رأسها بين كفيها .. صمت متوتر يسود المنزل .. في عيون إخوته الصغار صمت مريب كذلك .. كل شيء ينذر بالانفجار .. ألقى التحية ودخل .. اتجه إلى غرفته ، ولكنه تراجع عندما سمع نداء أمه .. تراجع .. دخل المطبخ .. أمه لم ترفع رأسها .. ليس هناك دليل أنها هي التي نادته .. وقف مكانه ..

ـ ماذا ؟ يا أماه ماذا حدث أيضاً ؟

ـ زوجتك حليمة يا بني !

أحس بالغثيان .. ما بها حليمة أيضاً .. ماذا حدث .. هل ..

أنقذته الأم من كل تساؤله :

ـ حليمة لا تصلح لك يا بني .. حليمة ضربت أختك ربيعة ..

رمى بنفسه خارج المطبخ .. كان يبحث كالمجنون في كل زاوية من زوايا الدار .. يفتح باباً ويغلق آخر .. تعثر بأخ صغير ، فانفجر بالبكاء .. لم يأبه له .. رأى أخته ربيعة .

ـ ماذا يا ربيعة ؟ أين حليمة !

الباب يُطرق هذه المرة .. دخل (السي الأخضر) متجهم الوجه .. وقف أمام ابنه كتمثال .. صفعه على وجهه .. تطاير الدمع من عينيه .. نظر محمود إلى أبيه .. تشنجت أصابع يديه .. تمنى أن يلتهمه .. ولكنه تماسك .. بصعوبة ضبط أعصابه .

ـ أرأيت زوجتك .. هذه المجرمة .. تضرب أختك .. أترضى أن تضربَ أختُك وأنت ترى بأم عينك .

« حليمة .. تضرب ... زوجتي أنا أعرف الناس بها .. حليمة لا تجرؤ على فأر » .

رفع رأسه .. صرخ بملء فمه :

ـ لا .. لا .. هذا كذب .. حليمة لا تضرب أحداً .. أين هي الآن ؟

ـ طردتها .. طردتها .. وسأطلّقها منك .. أفهمت .

نظر إلى أبيه بحقد .. الدموع كانت تنفر من عينيْه بغزارة .. أدار ظهره إلى الباب .. فتح باب المنزل قائلاً :

ـ فرضت الزواج علي .. وتريد أن تفرضَ الطلاق أيضاً .. لست أكثر من صفر في هذه الدار .. ولكنني سأجرب أن أكون صفراً متمرداً .

وصفق الباب خلفه وخرج .



عيار الشعر لابن طباطبا

بقلم : عبد القادر الشيخ إدريس

عاش مؤلف كتاب **عيار الشعر** ، في نهاية القرن الثالث ، وبداية القرن الرابع من الهجرة ، في فترة حرجة تأرجحت فيها ركائز الدولة العباسيّة ، بعد أن طوقها الانحلال ، وأحدقت بها الفوضى ، وضربت أطنابها على جميع المناشط الحيوية ، وانتابها المزعجات الخارجيّة ، والداخليّة ، فارتعدت ظلالها الوريفة ، وطفقت تتقلّص وتنكمش ، وتضوي حتى غدت زمهريراً لا تظل قائلاً ، ولا تحمي عابراً ، وأمست الدولة غرضاً للثوار ، والخوارج ، والمتآمرين ، من الأطراف ، والأجناد ، حتى خدم القصر ، وحشمه من الحرائر والجواري .

وهناك الحزب العَلوي بدعاته وجماهيره ، والأرهابيون من قرامطة وغيرهم ممَّن أغراهم خور الخلافة ، وأطمعهم ضعف الخليفة ، وكانت مدينة « **أصبهان** » في ذلك العصر وُجْهة الأنظار ، ومدار النشاط الفكري والأدبي والاقتصادي ، فانحدرت عليها الطوائف من كل حدب وصوب ينسلون ، وقد أنجبت جمهرة من العلماء المتخصصين والأدباء المتفوقين ، والشعراء المفلقين .

وقد تفوقت في سخاء حسنها ، وسحر جمالها ، فلهج بها الكتّاب ، وهام الشعراء فكانت مسرح تجاربهم ، وموحى أخيلتهم ، ووادي عبقرهم ، وقد خلب جمالها الحجاج العسكري المحارب ، فأعرب عن شغفه بها ، وحبه لها بقوله : « حجرها الكحل ، وذبابها النحل ، وحشيشها الزعفران » ، وقد أذكرني وصف **عمرو بن العاص** « **مصر** » **للخليفة عمر بن الخطاب** : « نيلها عجب ، وأرضها ذهب » .

مولد المؤلف

في ذلك القرن الذي حاولنا وصفه في إجمال وسرعة خاطفة ، وفي تلك البلدة الجميلة الحسناء التي خلعت عليها الطبيعة برود سحرها ، وأفواف زهرها في « أصبهان » ، ولد مؤلف الكتاب **محمد بن أحمد ابن طباطبا العَلوي** ، الذي كان معروفاً بالذكاء ، مشهوراً بالركانة ، تلقى العلم ، ونهل الأدب من مشايخ وأدباء حبسوا أنفسهم على العلم والأدب ، دراية ، ورواية ، وكان أيضاً محباً للعلم قارئاً حصيفاً ، الشيء الذي تفقده الكثرة الكاثرة ، من الأدباء والمتأدبين ، وشداة الأدب ، في عصر الترجمة والنشر ، والمجلات والصحف ، ووسائل الثقافة المتنوعة ، وقد أعجب ابن طباطبا نفسه بنفسه بهذا الذكاء المتقد ، والتحصيل الوفير ، والتثقيف الذاتي المضطرد ، فحداه ذلك إلى الحديث عن شخصه حيث قال :

حسود مريض القلب يخفي أنينه
ويضحي كئيب البال عندي حزينه
يلوم على أن رحت في العلم راغباً
أجمع من عند الرواة فنونه
وأملك أبكار الكلام وعينه
وأحفظ مما أستفيد عيونه

وتسمعه يشيد بقدرته الإنشائية ، وملكته الإبداعيّة ، فيقول قاسماً بأعظم القسم : « **والله أنا أقدر على أبيِّ الكلام من واصل ابن عطاء** » . وواصل هذا تخرج عليه أبو عثمان الجاحظ الذي تميَّز من بين معاصريه من العلماء والأدباء ، بسلاسة الأسلوب ، وانسياب العبارة مع الإبداع في الفن الفكاهي ، والمرح وإدارة النكتة الضاحكة والمقذعة والساخرة ، واتقانه الصور « الكركاتيرية » القلميّة ، فصاحبنا ابن طباطبا يزعم أنه أقدر من شيخ الجاحظ على عصيِّ الكلم ، وأبيِّ الحروف ، وكثيراً ما أعجبته قدراته الإنشادية فأشاد بها ، وخبراته اللغوية ففاخر بها ، ومختاراته الأدبية فتباهى بها ، ونحن لا ننكر عليه هذا الثناء الفاخر ، ولا تحدثه بنعمة خصَّه الله بها ، ما دامت بين أيدينا حصيلة عقله وحصاد فكره ، وعصارة تجاربه ، ومن مأثور القول : « **من ألَّف فقد استهدف** » ، والتأليف أقل ما يُقال فيه أنه معاناة بحثٍ ، وعنوان خبرةٍ ، ورمز جهدٍ ، ووليد فكرة .

لقد كان الرجل بلا ريب جليس درس ، ورائد بحث ، وداعية علم ، يحث عليه ، ويرغّب فيه ، ويندّد بالراغبين عنه ، وله نظم في التقريع عليهم يرسله فيض الخاطر ، وعفو البديهة ، ارتجالا في الحلقات والمحاضرات والمقامات تمليحاً وتفكيهاً .

وقد أحدث ابن طباطبا ضجة كبرى في الأوساط الأدبية ، والدوائر النقدية ، فتحزَّب له جماعة ، وتحزَّب عليه آخرون ، شأن العمالقة من رجالات الأدب ، وأساطين الفكر ، ودهاقنة السياسة الذين يشيدون المدارس الأدبية ، والمذاهب الفكرية ، تماماً كما نشاهد الصراعات الفكرية والأدبية المعاصرة ، وما مدرسة « الديوان » التي أشادها الأديبان **العقاد والمازني** ببعيدة عن منظور الأدباء والنقّاد ، فقد خططت

مساراً جديداً للشعر فيه مشابه وملامح لمنهاج ابن طباطبا النقدي التجديدي ، حيث الدعوة إلى اعمال الفكر في القريض مع المعاصرة والالتزام بعروض الشعر وقوافيه ، حتى لا يذهب بعيداً عن دائرة الشعر العربي الأصيل .

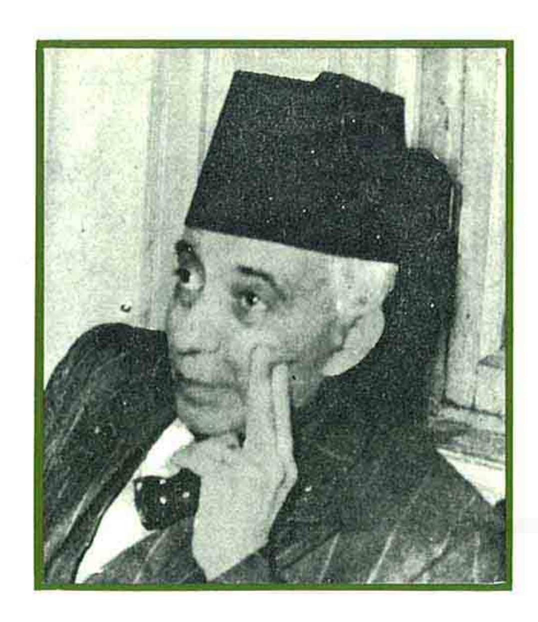
وقد أطلق أستاذنا العقاد على الشعر الجديد ، أو المرسل ، أو ذي التفعيلة « **الشعر السائب** » كما كان ابن طباطبا حريصاً على الشعر الموزون المقفى ، وإن لم يضع له ضوابط وتركه لاستحسان الذوق الخاص ، فنسمعه يقول : « والشعر على تحصيل جنسه ، ومعرفة اسمه متشابه الجملة ، متفاوت التفصيل ، مختلف كاختلاف الناس في صورهم وأصواتهم ، وعقولهم ، وحظوظهم ، وشمائلهم ، وأخلاقهم ، فهم متفاضلون في هذه المعاني ، وكذلك الأشعار هي متفاضلة في الحسن على تساويها في الجنس ، ومواقعها من اختيار الناس إياها كمواقع الصور الحسنة عندهم ، واختيارهم لما يستحسنونه منها ، ولكل اختيار يؤثره ، وهوى يتبعه ، وبغية لا يستبدل بها ولا يؤثر سواها » .

وهذه نظرة شاملة لبناء القصيد الشكلي من غير اعتبار للمضمون ، وأصحاب الديوان ثلاثتهم ينظرون إلى المضمون من غير اعتبار للشكل فنسمعهم يقولون : « **إن المحك الذي لا يخطئ في نقد الشعر هو إرجاعه إلى مصدره** ، فإن كان لا يرجع إلى مصدر أعمق من الحواس ، فذلك شعر القشور والطلاء ، وإن كنت تلمح وراء الحواس شعوراً حياً ، ووجداناً تعود إليه المحسوسات كما تعود الأغذية إلى الدم ، ونفحات الزهر إلى عنصر العطر ، فذلك شعر الطبع القوي والحقيقة الجوهرية وهناك ما هو أحقر من شعر القشور والطلاء ، هو شعر الحواس الضالَّة ، والمدارك الزائفة ، وما إخال غيره كلاماً أشرف منه بكم الحيوان الأعجم »[1] .

فابن طباطبا نظر إلى موسيقى الشعر فهي عنده بمثابة النغمات الوترية المتنوعة فمن الناس من يطرب للربابة ، ومنهم من يطرب للمزمار ، ومنهم من يطرب للطبل أو للعود أو المزهر أو الكمان ، وأصحاب « **الديوان** » اتجهوا إلى المحتوى فقدروا الشعر بمحتواه لا بموسيقاه فحسب ، وحملوا على المحتوى المبهم ، كما في بعض المذاهب المحدثة ، والمدارس المفتعلة أو كما أسموها أصحاب « الديوان » الحواس الضالَّة ، والمدارك الزائفة ، وما ينكر فنياً تطبيق هذه المذاهب على شعرنا العربي مع اختلافها منه بيئة وتنشئة وعقيدة وفكراً .

الكتاب فريد في نوعه

الكتاب إن لم يكن فريداً في نوعه ، **فقد يكون من أندر الكتب التي عنيت** بالشعر عناية بحث ودرس في عصره مع أن تلك الفترة كانت من أخصب فترات النهضات الأدبية ، وبخاصة في تاريخ الدراسات الشعرية والآراء النقدية ، وقد احتلت الكتب التي ألفت في تلك الحقبة مكانة مرموقة في المكتبة العربية الأدبية . يبدو منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب « **الشعر والشعراء** » **لابن قتيبة** ، وكتاب



★ إبراهيم عبد القادر المازني ★

« **البديع** » **لابن المعتز** ، وكتاب « **نقد الشعر** » **لقدامة ابن جعفر** ، أمَّا كتاب « **عيار الشعر** » الذي آثرته يمتاز على غيره بطابعه الخاص ، ومنهجه المتجدد الذي يختلف عن كتب معاصريه التي ظهرت معه — فهو نسيج وحده — ولا عجب فصاحبه شاعر عدَّه **حمزة الأصبهاني** من مشاهير شعراء أصبهان ، وقال عنه **ياقوت** : « شاعر مفلق ، وعالم محقق ، شائع الشعر نبيه الذكر » ، ونحن نراه يعرض بعض تجاربه الشعرية في ثقة ، وصدق ، ووضوح ، وإن أنكر عليه بعضهم شاعريته ، بينما معاصروه من المؤلفين عدا **ابن المعتز** علماء لغة لا يعنيهم في الغالب الأعم من الشعر سوى صياغته ، وجزالته وإعرابه ، ونذر قليل من معانيه ومحتواه .

ويمتاز أيضاً بأن شخصية مؤلفه بارزة يلتقي بها المتصفح في كل صفحة يطويها ، وعند كل موضوع يطرقه ، فترى ذوقه في مختاراته ، وحذقه في مقارناته ، وتحسُّسه مواطن الجمال ، وفحصه مخابئ الحسن ، وإبراز أسباب فساد الشعر ، فكان بنهجه هذا من أوائل روَّاد الدراسات النقدية المتخصصة في القرن الثالث ، ومن مؤسسي المدرسة التي تعتمد على النظرة الفاحصة ، والوقفة الواعية أمام النصوص الأدبية ، واللوحات الفنية لسبر مواطن الحسن ، ومظان الجمال ، ولا تراه يرسل الأحكام النقدية التقريرية التي حفلت بها العصور المتقدمة مثل « قوي العارضة » « رشيق الديباجة » « ناسع الأسلوب » « قريب المأخذ » « لا يشق له غبار » وما إلى ذلك من المعميات .

رأي المؤلف في الشعر

لابن طباطبا رأي طريف في الشعر على تلادته ، لا يشذ عن الآراء الحديثة ، **فالشعر عنده كلام منظوم بائن على المنثور** ، وهذا مما لا خلف فيه فللشعر قوالبه ، وللنثر طرائقه ، ثم يعود فيعزي الإجادة فيه إلى الذوق والطبع فيقول : « فمن صحَّ طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض » . ومن هنا يحس القارئ بأنه يرى الشعر من

فيض الشعور أو عرق الروح كما يقولون ، ثم نراه يضع للشعر أدوات يجب توافرها قبل معاناته ، فيريك أنه نوع من الصنعة ، فربما أحس القارئ العجلان بأن آراءه متضاربة متناقضة ، تارة يرى الشعر موهبة ، وتارة أخرى يراه صنعة ، والتحقيق لا تنافر في كلامه فهو من حيث النظم والتوقيع والموسيقى موهبة ، ومن حيث اختيار الكلمات وانسجامها ، ومقدرتها على التجديد ، والقدرة على تفجير شحناتها العاطفية التي يعدها العقل المتريث ، والعاطفة الصحيحة ، ويجنحها الخيال المبدع ، ويجبوها التصوير والتلوين المتساوق والتظليل المناسب مع صوره ، ذلك صنعة وأي صنعة ، تتطلب المهارة والحذق والممارسة الجادة ، وهذا ما درج عليه المحدثون على اختلاف مدارسهم الفنية ، وتباين مناهجهم الأدبية ، وقد أصبح الشعر عند بعضهم عقلانياً بحتاً قليل الالتقاط إلى الخيال والتوقيع ، فدرجوا به في غير مداره العربي الأصيل :

وإذا الشعر لم يهززك عند سماعه
فليس خليقاً أن يقال له شعر

رأيه في شعراء عصره

يرى ابن طباطبا أن بعض الشعراء من معاصريه يتعجل الشهرة الأدبية فلذلك يسعى بقدر الإمكان ليتملّق القراء ، فيرضيهم بما يشبع رغباتهم ، ويثري غرورهم بالمدح المبالغ فيه ، والهجاء اللاذع ، والغزل المكشوف ، والنادرة المضحكة ، والنكتة الماجنة ، وكل ذلك على حساب الفن والإبداع ، فتبدو تجاربهم الشعرية متكلّفة غير صادرة عن طبع صحيح ، ولا عن خبرة أصيلة ، أو تجربة صادقة .

فإذا كانت هذه العجلة الأدبية ، والجري وراء الشهرة الفنية في عصر المخطوطات ، والتبدي لتلقي الأدب المنظوم والمنثور من أفواه الرواة ، فما بالك في عصر الطباعة والإذاعة والمجلات والصحف وغيرها من وسائل التثقيف والإعلام ؟!!

نصيحته لمعاصريه

ابن طباطبا رجل إيجابي في نقده للأعمال الأدبية فهو لا ينقد شهوة في النقد ، ولكنه يمارس ذلك العمل بدقة ، ويضع الأسس القويمة التي تقوم عليها ركائز الفن في منظوره ، وها هو ذا يزجي نصائحه الغالية للشعراء ، وبخاصّة الشداة منهم بألا يظهروا تجاربهم الشعرية إلا بعد أن يستوثقوا من جودتها ورونقها وسلامتها مما يشين الأدب ، ويهبط بكبريائه .

وتراه أيضاً يقدر الأدب حق قدره ، فلذلك يحذر الشعراء من السطو على تجارب غيرهم فيقول : « ولا يغير على معاني الشعر فيودعها شعره ، ويخرجها في أوزان مخالفة لأوزان الأشعار التي يتناول منها ما يتناول ، ويتوهم أن تغييره للألفاظ والأوزان ممّا يستر سرقته » . فالسرقة في مذهبه محرمة على اختلاف أشكالها فلا يسوغ منها ما يجوزه بعضهم .

وحقاً لو قدر الأدب تقدير ابن طباطبا لأقيمت لهؤلاء السُّراق الذين يسطون على نتاج غيرهم في رائعة النهار محاكم تتولى عقوبتهم والأدب مضياف كريم يصف حول خوانه الأدعياء الواغلين ، وإنه لمن دواعي العجب أن يحمي القانون نتاج المؤسسات والمصانع ، ولا يحمي بدائع العقول ، وذخائر المقول ، ولو فتحت هذه المحاكم في هذا العصر لما وجدت فراغاً من زحمة القضايا ، ولا أغلقت أبوابها ساعة من نهار أو ليل من كثرة الشكاوى والمرافعات ، ولقامت على قدم وساق مكاتب المحاماة ، فهذا محام للأدب الجاهلي ، وذاك للأدب الأموي والعباسي والأندلسي والمسرحي والمقارن ، وأولئك حماة الأدب الحديث وما إلى ذلك من مدارس الفنون الجميلة .

ومن إيجابياته تراه يرسم الطريق السوي لشداة الأدب ، وناشئة القريض الواعدين للتجويد والإبداع فيقول : « . . . بل يديم النظر في الأشعار التي اخترناها لتلصق معانيها بفهمه ، وترسخ أصولها في قلبه ، وتصير مواداً لطبعه ، ويذوب لسانه بألفاظها فإذا جاش فكره بالشعر أدى إليه نتائج ما استفاده مما نظر فيه من تلك الأشعار » ، فهو يذهب في ذلك إلى ما يحكى عن **خالد بن عبد الله القسري** فإنه قال : « حفظني أبي ألف خطبة ثم قال لي : تناساها فتناسيتها فلم أرد بعد ذلك شيئاً من الكلام إلا سهل عليّ » . على أنه مهما يكن فضل القدماء ومزيتهم فليس ثم مساغ للشك في أنك لا تستطيع أن تبلغ مبلغهم من طريق الحكاية والتقليد فإن الفقير لا يغنى بالاقتراض من الموسرين كما يقول **المازني** ، فلا بُدّ إذن من المعاناة الشخصية التي عناها القسري بالنسيان للمحفوظ ، وفي التقليد يقول المازني : « ليس الأصل في الشعر التقليد والحكاية والطبع على غرار من سبق ، إذ لو كان ذلك كذلك لاستوجب أن يظهر الفحول في آخر العصور ولما ظهر أحد منهم في أولها . ولكنك ترى الشعر في جاهلية الأمم وبداوتها كالشعر في حضارتها ، لطف تخيل ، ودقة معنى » .

المواضيع التي احتواها الكتاب

سوف نقف وقفات عاجلة على محتوى الكتاب نسلط عليها مؤشرات سريعة تغري بالمتابعة .

١ ـ المشاكلة بين اللفظ والمعنى :

في الكتاب صفحات أفردها المؤلف للمشاكلة بين اللفظ والمعنى ، وقد أبان وجه الانسجام بينهما فقال : « وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها ، وتقبح في غيرها » ، والمعرف أن اللفظ لا بد أن ينسجم مع المعنى غلظاً وليناً ولطفاً وخشونة ، يقول **ابن شهيد** : « إن للحروف أنساباً وقرابات تبدو في الكلام ، فإذا جاور النسيب النسيب ، ومازج القريب القريب طابت الألفة وحسنت الصحبة ، وإذا ركبت صور الكلام من تلك حسنت المناظر وطابت المخابر » ، ويقول **الصاحب** ، إنه لم يجد فيمن صحب من يفهم الشعر كما يفهمه أبو الفضل ابن العميد وعلّل

ذلك بقوله : « فإنه يتجاوز نقد الأبيات إلى نقد الحروف والكلمات ، ولا يرضى بتهذيب المعنى حتى يطالب بتخير القافية والوزن » . فنرى ابن العميد يربط القوافي والأوزان بالمعاني ، فليس كل وزن بصالح لكل معنى ، لأن بعض القوافي والأوزان أرق ، أو أضخم من بعض ، كما أن بعض الألفاظ والمعاني ألطف أو أجزل من بعض ، وفطنة الشاعر أو الكاتب هي التي تؤلف بين المعنى ، وبين لبوسه ، من ألفاظ ، وحروف ، وقواف ، وأوزان .

ثم تحدث عن شعر **المولدين** فنراه يعترف ، بعامل الزمن ، والتقدم في زيادة الخبرات ، وعمق التجارب علاوة على ما أفادوه ممَّن تقدمهم ، ولطفوا في تناول أصولها منهم .

ولا شك أن سر البلاغة والفصاحة يرجع إلى ما في المعنى من قوة وروح ، ويرجع جمال بعض الأساليب إلى دقة المعنى وطرافته ، وتخير الألفاظ تخيراً يجعلها تتمثل مع المعنى كتلة واحدة ، هذا وقد حوت كتب التراث أبحاثاً مستفيضة فيما يتعلّق باللفظ والمعنى من تآلف وتخالف ، أمثال كتاب « **الصناعتين** » وكتاب « **أسرار البلاغة** » وكتاب « **الوساطة** » **لأبي هلال العسكري ، وعبد القاهر الجرجاني ، وعبد العزيز الجرجاني** . ومما يزيد الشعر جمالا ويثريه إيحاء تخير أصباغ المجاز ، وأذكر تقسيم المازني للمجاز : « إن هناك نوعين من المجاز ، لفظي وشعري ، فأما اللفظي فذلك الذي ينقل فيه اللفظ إلى أشياء ما وضع له كالإشراق مثلاً يستعمل للشمس والنار والوجه والمعاني ، وأما الشعري فنعني به أن يعمد القائل مثلاً إلى الشمس فيجعل لها أيدي يرمز بها للأشعة ، أو للسحب فيسميها جبالا ، أو يشبهها إذا أمطرت بالإناث فيقول مثلاً : استحلبت الريح السحاب » ، ويقول صاحب المثل السائر في توسيع المعنى عن طريق المجاز : « ألا ترى أن حقيقة قولنا : « **زيد أسد** » هي قولنا : « **زيد شجاع** » لكن الفرق بين القولين في التصوير والتخييل ، وإثبات الغرض المقصود في نفس السامع لأن قولنا : « زيد شجاع » لا يتخيل منه السامع سوى أنه رجل جريء مقدام ، فإذا قلنا : « زيد أسد » تخيَّل عند ذلك صورة الأسد وهيئته وما عنده من البطش والقوة ، ودقّ الفرائس »[٢] .

٢ ــ طريقة العرب في التشبيه :

ثم دلف المؤلف على طريقة العرب في التشبيه فأرانا كيف ينتزع العربي تشبيهاته من بيئته الرعويّة فالعرب أهل وبر صحونهم البوادي ، وسقوفهم السماء ، فليس تعدو أوصافهم ما رأوا منها وفيها ، ثم نجده يتحمس لكل ما هو عربي ، فيرى جميع الفضائل منحدرة منهم ، ويلتمس لهم المعاذير ، ويصطنع المبررات فيما غمض من تعابيرهم أو أمثالهم ، فلا يردها إلى عدم وضوح الرؤية الداخلية التي تنحدر منها الصورة الخارجية ، ولكنه يعزو الغموض إلى المتلقي حيث إنه لم يدرك ما عناه الشاعر فيقول : « إذا اتفق لك في أشعار العرب التي يجنح فيها تشبيه لا تتلقاه بالقبول ، أو حكاية تستغربها فابحث عن معناه فإنك لا تعدم أن تجد تحته خبيئة إذا أثرتها عرفت فضل القوم بها ، وعلمت أنهم أدق طبعاً من أن يلفظوا بكلام لا معنى تحته .

وربما خفي عليك مذهبهم في سنن يستعملونها بينهم في حالات يصفونها في أشعارهم فلا يمكنك استنباط ما تحت حكاياتهم ، ولا تفهم مثلها إلا سماعاً ، فإذا وقعت على ما أراده لطف موقع ما تسمعه من ذلك عند فهمك ، فأنت تراه لا يحمل على العربي تبعة هذه التعميات » وتلك الهنات ولكنه يدعو المتلقي إلى البحث والتنقيب ، ولا ينشد من صاحبه العربي معاناة الإيضاح والتبيان ، لأنه ينضح عن طبع .

وقد ألمح إلى أن تحكم له أو عليه فلا بد من الإلمام ببيئته الطبيعية وملابساته الاجتماعية وهذه النظرة الصائبة لازمة من لوازم التقييم الصحيح الموضوعي .

٣ ــ المثل الأخلاقية عند العرب :

والكتاب يتعرض للمثل الأخلاقية عند العرب ، وبناء المدح والهجاء عليها ، فعدّد ما تمدّحت به العرب ، ومدحت به سواها ومن الخلال التي كان يمدحونها ويقدرونها في الخَلْق ــ بفتح الخاء وسكون اللام ــ الجمال والبسطة ، ومنها في الخُلُق ــ بضم الخاء واللام ــ السخاء والشجاعة . ثم سرد منها قسطاً وفيراً ، وهي في جملتها لا تعدو ما تواضع أكثر الشعوب على عدّه من خلال الشرف ، والمروءة الفاضلة ، والأخلاق الساميّة .

ولتلك الخلال حالات تؤكدها ، وتضاعف حسنها ، وتزيد في جلالة التمسك بها ، وذلك الهدف الاجتماعي من القصيدة المادحة ، كما أن لأضدادها أيضاً حالات تزيد في حط من وسم بشيء منها ، وتنفر من الاتصاف بها وذلك الهدف الاجتماعي من القصيدة الهاجية ، كالجود في حال العسر موقعه فوق موقعه في حال الغنى ، كما أن البخل من الواجد القادر أشنع منه من المضطر العاجز ، والعفو في حال المقدرة أجل موقعاً منه في حال العجز .

٤ ــ عيار الشعر

والمؤلف يوضح عيار الشعر فيقول : « وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب فما قبله واصطفاه فهو وافر وما مجّه ونفاه فهو ناقص » ويعلّل ذلك بقوله : « والعلّة في قبول الفهم الناقد للشعر الحسن الذي يرد عليه ، ونفيه للقبيح منه ، واهتزازه لما يقبله ، وتكرهه لما ينفيه أن كل حاسة من حواس البدن إنما تتقبل ما يتصل بها مما طبعت له ، إذا كان وروده عليها وروداً لطيفاً باعتدال لا جور فيه ، وبموافقة لا مضادة معها ، فالعين تألف المرأى الحسن ، والأذن تتشوف للصوت الخفيض الساكن .

وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه ، وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه ، فإذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحة المعنى وعذوبة اللفظ فصفا مسموعه ومعقوله من الكدر ثم قبوله له ، وإن

نقص جزء من أجزائه التي يعمل بها وهي : اعتدال الوزن ، وصواب المعنى ، وحسن الألفاظ ، كان إنكار الفهم إياه على قدر نقصان أجزائه » .

« ومثال ذلك الغناء المطرب الذي يتضاعف له طرب مستمعه المتفهم لمعناه ولفظه مع طيب ألحانه ، فأما المقتصر على طيب اللحن منه دون ما سواه فناقص الطرب » .

هذا العيار ينصب بأكمله على الشعر الموزون المقفى أما الدعوة إلى تحريره من الوزن والقافية فلنستمع إلى رأي أستاذنا العقاد : « أما الدعوة إلى « تحرير » الشعر من الوزن والقافية فليس لها صدى في هذا البلد يجاوز أسماء « شعرائها » المحدودين ،ولم يتفق لي حتى اليوم أن ألق قارئاً واحداً هذا « الشعر » **يحفظ عنه قصيدة واحدة تستحق الإعجاب** » ، ولا زلنا نستمع إلى العقاد : « **وليس في وسع هؤلاء « المتحررين » ، أن يحاربوا الشعر القديم بتحريره كما يقولون من الوزن والقافية واللوازم الموسيقية ، لأن أوزان الشعر أصيلة عميقة القرار في طبيعة الشعر كما نرى من أوزان الأزجال والمواويل ، وتراتيل الفرح والنواح في كل بيئة من بيئات الحضر والريف** » .

٥ ــ أنواع التشبيه :

والمؤلف يعنى عناية خاصة بأنواع التشبيه ، ويطنب فيها ، ويستشهد على كل ضرب منها ببيت أو أبيات من الشعر في عصور متباينة فتراه يورد بيت **امرئ القيس** :

كأن قلوب الوحش حول خبائها
وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

يسوق البيت شاهداً على تشبيه الشيء بالشيء ، صورة وهيئة ، ويستشهد على تشبيه الشيء بالشيء حركة وهيئة بقول الأعشى :

غراء فرعاء مصقول عوارضها
تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوجل
كأن مشيتها من بيت جارتها
مر السحابة لا ريث ولا عجل

وأما تشبيه الشيء بالشيء معنى لا صورة فكتشبيه الجواد الكثير العطاء ، بالبحر والحيا ، وتشبيه العالي الهمة بالنجم ، وتشبيه الحليم الركين بالجبل ، وتشبيه أضداد هذه المعاني بأشكالها على هذا القياس : كاللئيم بالكلب ، والطائش بالفراش .

وقد فاز قوم بخلال شهروا بها من الخير والشر وصاروا أعلاماً فيها فربما شبه بهم فيكونون في المعاني التي احتووا عليها وذكروا بشهرتها نجوماً يقتدى بهم ، وأعلاماً يشار إليهم **كالسموأل في الوفاء ، وحاتم في السخاء ، والأحنف في الحلم ، وسحبان في البلاغة ، وقس في الخطابة ، ولقمان في الحكمة** ، فهم في التشبيه يجرون مجرى ما قدمنا ذكره من البحر والحيا والشمس والقمر والسيف ، ويكون التشبيه بهم مدحاً كالتشبيه بها وكذلك أضدادها ، وقوم يذمون فيما شهروا به يشبه بهم في حال الذم كما يشبه بهؤلاء في حال المدح **كباقل في العيّ ، وهبنَّقة في الحمق ، والكُسَعي في الندامة** .

فالشاعر الحاذق يمزج بين هذه المعاني في التشبيهات لتكثر شواهدها ، ويتأكد حسنها ، ويتوقى الاقتصار على ذكر المعاني التي يغير عليها ، دون الإبداع فيها ، والتلطف لها لئلا يكون كالشيء المعاد المملول فأنت ترى نظرته الواعية لأنواع التشبيه وهي في جملتها إحضار للصورة لتوضيح المعنى بمثابة المعينات أو وسائل الإيضاح ، وذلك ليسهل على المتلقي التعرف إلى عالم الشاعر الداخلي ، فليس التشبيه تعداداً للمرئيات وكما يقول أصحاب الديوان « وإذا كان وكدك من التشبيه أن تذكر شيئاً أحمر ثم تذكر شيئين أو أشياء مثله في الاحمرار فما زدت على أن ذكرت أربعة أو خمسة أشياء حمراء بدل شيء واحد .

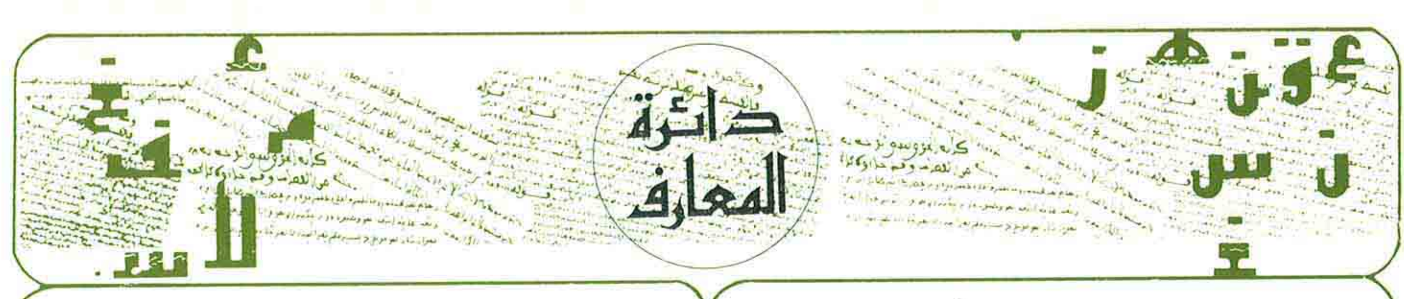
وما ابتدع التشبيه لرسم الأشكال والألوان فإن الناس جميعاً يرون الأشكال والألوان محسوسة بذاتها كما تراها وإنما ابتدع لنقل الشعور بهذه الأشكال والألوان من نفس إلى نفس » ، وهذا ما أجمله المؤلف في تعداد أنواع التشبيه من حركة وصورة ولون ومعاني ، وأورد من النصوص ما يبرهن على عمقه في تفهم معنى التشبيه ، ويقول أصحاب الديوان : « وبقوة الشعور وتيقظه وعمقه واتساع مداه ونفاذه إلى صميم الأشياء يمتاز الشاعر على سواه ، ولهذا لا لغيره كان كلامه مطرباً مؤثراً وكانت النفوس تواقة إلى سماعه واستيعابه لأنه يزيد الحياة حياة ، كما تزيد المرآة النور نوراً » وهذا ما عناه المؤلف يقول : « فالشاعر الحاذق يمزج بين هذه المعاني في التشبيهات لتكثر شواهدها ، ويتأكد حسنها » .

حقاً لقد كانت آراء ابن طباطبا في الأدب والنقد صادرة عن الفن الذي أعد نفسه له ، وعن التجربة التي عاش فيها حياته ، وقد حاول دراسة الفنون الأدبية دراستين : قاعديّة عني فيها بالحدود والتعاريف وجمع فيها كثيراً من مقوله ومنقوله ، ونقدية وفيها عني كثيراً بتصحيح المآخذ التي يقع فيها الشعراء والأدباء ، فقد جمع بين أصول البلاغة العربية والنقد الأدبي .

وصفوة القول : **إن كتاب « عيار الشعر » من كنوز الأمة العربية التي يحق لها أن تقوم أساساً لنهضة عامة تعتمد على قديمها في أصالتها ، وتسمح على قواعده في امتدادها وقوتها وهذا هو الهدف في إحياء تراث الأمم وذخائر الشعوب وكم لنا نحن العرب من تراث وذخائر ؟!!**

الهوامش

(١) الديوان ، ص ٢١/ط الشعب بمصر .
(٢) المثل السائر ، ص ١١١/ط نهضة مصر .



شعراء العرب الفرسان

أ

الأفْوَهُ الأوْديُّ :

هو صلاءة بن عمرو بن أود ، **والأفوه لقب غلب عليه** ، وكان يُقال لأبيه عمرو : فارس الشوهاء ، وكان الأفوه **من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية** ، وكان سيد قومه ، وقائدهم في حروبهم ، وكانوا يصدرون عن رأيه ، وتعده العرب من حكّامها . وذكر أنه كانت بين الأفوه وقوم بني عامر دماء ، فأدرك الأفوه ثأره منهم وزاد فأعطاهم ديات من قتل ، فضلاً على قتلى قومه ، فقبلوا وصالحوه ، وفي ذلك يقول :

وإنَّا لنعطي المال دون دمائنا
ونأبى فما نَسْتام دون دم عَقْلا
نقود ونأبى أن نقاد وأن نرى
لقوم علينا في مُكارمَةٍ فضلا



بسطام الشيباني :

بسطام بن قيس بن مسعود ، **سيد بني شيبان ، وفارس ربيعة المشهود له بالبأس والشجاعة** ، ضرب به المثل في الفروسية ، فقيل : **أفرس من بسطام** ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، قتله عاصم بن خليفة **يوم الشقيقة** ، فكان حزن قومه عليه شديداً ، حتى لم يبق له بيت إلا هُدم ، وقد رثاه صديقه الحميم **عنترة بن شداد** قائلاً :

أيا صاحبي فقدي لبسطام هدني
وأجرى دموعي فوق خدي سُجَّما
ستندبه الخيل العتاق لأنها
لقد فقدت قرناً هماماً مقدَّما

ولم يكن بسطام بأقل إعجاباً بعنترة ، قال يمدح عنترة :

ما للفضائل عن مديحك معزل
أم غير بابك للأنام مؤمّل
والله لو صيغ الكلام جميعه
شعراً لقصَّر عن مدى ما تفعل

ت

التميمي « عاصم بن عمرو التميمي » :

أسلم عاصم التميمي في السنة التاسعة للهجرة بعد **غزوة تبوك** ، وقاتل تحت لواء **خالد بن الوليد** في حروب الردة ، وفي حرب العراق ، وفي **معركة الأنبار** ــ غرب بغداد على الفرات ــ و « **عين التمر** » بلدة قريبة من الأنبار ، و « **دومة الجندل** » ، وقاتل تحت لواء **أبي عبيدة ابن مسعود الثقفي ، والمثنى بن حارثة** ، وله في **معركة** « **القادسية** » بلاء حسن ، وهو الذي عبر نهر دجلة مع ستين فارساً سماهم « **كتيبة الأهوال** » ، وقد شهد كافة معارك عتبة بن غزوان في منطقة البصرة وفارس ، ثم هو **فاتح** « **إقليم سجستان** » . صحابي شاعر فارس قائد فاتح .

قال يصف مطاردته للفرس بعد **معركة** « **النمارق** » :

لعمري وما عمري عليَّ بهيِّن
لقد صبّحت بالخزي أهل النمارق
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم
يجوسونهم ما بين « دُرْتا » و « بارق »
قتلناهم ما بين مسرج مُسلَّح
وبين الهوافي من طريق البذارق

وقدَّم الدهاقين ، وهم زعماء الأقاليم ، إلى أبي عبيدة آنية فيها أطعمة فارسية ، فلم يأكل منه شيئاً حتى علم أنهم قرّبوا مثله لأصحابه .



ثابت قُطْنَة :

لما وَلِيَ **سعيد بن عبد العزيز** من **أبي العاص ابن أمية**

خُراسانَ بعد عزل **عبد الرحمن بن نعيم** ، جلس يعرض الناس وعنده حميد الرواسي وعبادة المحازبي ، فلما دُعِيَ بثابت قطنة ، تقدم وكان شاكي السلاح ، فسأل عنه سعيد ، فقيل له : هذا ثابت قطنة ، وهو **أحد فرسان الثغور** ، فأمضاه وأجاز على اسمه ، فلما انصرف قال له حميد وعبادة : هذا الذي يقول

إنَّا لضرَّابون في حَمَس الوغى
رأس الخليفة إن أراد صدودا

فقال سعيد : عليَّ به ، فردوه ، وهو يريد قتله ، فلما أتاه قال له : أنت القائل

إنَّا لضرَّابون في حَمَس الوغى

قال : نعم ، أنا القائل

إنَّا لضرَّابون في حَمَس الوغى
رأس المتوج إن أراد صدودا
عن طاعة الرحمن أو خلفائه
أو رام إفساداً ولَجَّ عُنودا

فقال له سعيد : لولا أنك خرجت منها لضربت عنقك .



جعفر بن عُلْبة :

يكنى أبا عامر ، شاعر مقل غزل فارس ، وكان **أبوه عُلْبة بن ربيعة** شاعراً أيضاً ، حَدَث أن جعفر بن علبة خرج هو **وعلي بن جُعْدب والنضر بن مضارب** ، وأغاروا على **بني عُقيل** ، وأن بني عقيل خرجوا في طلبهم فلم يظفروا بهم ، فاستَعْدَت علي السريَّ بن عبد الله الهاشمي ، فأخذ علبة بن ربيعة بابنه وصاحبيه وحبسه حتى دفعهم إليه ثمناً لحريته ، أما النضر فاقتص منه ، وأما علي بن جندب فأفلت من الحبس ، وأما جعفر فأقامت عليه بنو عقيل بيّنة أنه قتل أحدهم فقُتل به .

وفي غارة جعفر على بني عقيل يقول :

إذا ما رُصِدنا مَرْصداً فرجت لنا
بأيماننا بيضٌ جلتها الصياقل
وقالوا لنا ثنتان لا بد منهما
صدور رماح أُشرعت وسلاسل
فقلنا هم تلكم إذاً بعد كرة
تغادر صرْعى نهضها متخاذل

لهم صدر سيفي يوم بطحاء سحبل
ولي منه ما ضُمَّت عليه الأنامل



الحكم بن عمير التغلبي :

صحابي جليل فارس شاعر قائد فاتح ، بعثه **عمر بن الخطاب** قائداً لأحد الجيوش لفتح « مُكرَّان » وهي ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى بين كرمان في غربها وسجستان في شمالها والبحر في جنوبها والهند في شرقها ، ويغلب عليها المفاوز . وبعد معركة طاحنة مريرة ، فتح الحكم **« مكران »** ودخلها المسلمون وفتحوا ما حولها من المناطق الآهلة ، وكان الحكم مثالا للقائد المكيث الحريص على رجاله وعتاده ، لا يتقدم إلا بعد أن يستوثق من النصر ، روى عن **النبي صلى الله عليه وسلم** أحاديث ، وكان عفيفاً صادقاً غيوراً كريماً ، فعاش فقيراً ومات فقيراً . قال يصف فتح « مُكرَّان » :

لقد شبع الأرامل غير فخر
بفيئٍ جاءهم من مكرَّان
أتاهم بعد مسغبة وجهد
وقد صَفِر الشتاء من الدخان
فإنني لا يذم الجيش فعلي
ولا سيفي يُذم ولا سنان



خُفافُ بن نُدبة :

هو ابن عم الخنساء ، جعله **ابن سلام** في الطبقة الخامسة من الفرسان ، وهو أحد أغربة العرب ، وكان قد أغار هو **ومعاوية بن عمرو** أخي الخنساء ، فلما قتل معاوية قال خُفاف : لا أريم حتى أقتل به سيدهم ، وحمل على **مالك بن حمار** وهو يومئذ فارس **بني فزارة** وسيدهم فطعنه فقتله ، فقال :

فإن تك خيلي قد أصيبت صميمها
فعمداً على عيني تيممت مالكا

وكان بينه وبين العباس بن مرداس خصام طويل .



درَيْد بن الصِّمَّة :

فارس شاعر فحل ، **وكان أطول الفرسان الشعراء غزواً ، وأبعدهم سفراً** ، وأكثرهم ظفراً ، وأيمنهم نقيبة عند العرب ، **أمه ريحانة بنت معديكرب الزبيدي** أخت عمرو بن معديكرب ، وذكر

أنه غزا مائة غزاة ما أخفق في واحدة منها ، وأدرك الإسلام ولم يسلم ، وخرج مع قومه مظاهراً للمشركين **يوم حنين** ، ولا فضل فيه للحرب لِكِبَر سنه تيمناً به ، وليقتبسوا من رأيه ، وقتل يومئذ على شِرْكه ، وقيل إن زوجة دريد قالت له : قد أسننت وضعف جسمك ، وقُتِل أهلك وفني شبابك ، ولا مال لك ولا عدة ، فعلى أي شيء تخلف أهلك إن قُتلت ؟ فقال :

أعاذل إنما أفنى شبابي
ركوبي في الصريخ إلى المنادي
مع الفتيان حتى كلَّ جسمي
واقرح عاتقي حمل النجادِ
أعاذل إنه مال طريف
أحبُّ إليَّ من مال تلادِ
ويبقى بعد حلم القوم حلمي
وينفد زاد القوم زادي



ذو النور ابن عمرو «سراقة» :

كان سراقة بن عمرو بن لبنة ، ويدعى ذا النور ، **صحابي شاعر قائد فاتح** ، فتح **«باب الأبواب»** وهي ميناء كبير على بحر الخزر ، وصارت قاعدة متقدمة لقوات المسلمين في حركاتهم العسكرية شمالاً باتجاه **إرمينية وتركستان والقفقاس** حتى حدود **سيبيريا** . ولولا فتح «باب الأبواب» لما عرفت هذه البقاع الإسلام . كان سراقة يتحمل المسؤولية كاملة ، جريئاً غاية الجُرأة في إعطاء القرارات ، فإذا اقتنع برأي أبرمه على مسؤوليته الخاصة ، متحملاً كافة نتائجه ، وهو الذي يقول واصفاً فتح «باب الأبواب» :

ومن يك سائلاً عني فإني
بأرض لا يؤاتيها القرار
بباب الترك ذي الأبواب دار
لها في كل ناحية مغار
نذود جموعهم عما حَوَيْنَا
ونقتلهم إذا باح السُرار
سددنا كل فرج كان فيها
مكابرة إذا سطع الغبار



الربيع بن زياد العبسي :

من رجالات العرب وفرسانها ، وكان **يلقب «والقا»** لكثرة غزواته ، **أمه فاطمة بنت الخرشب الأنمارية** ، وهي إحدى النساء المنجبات في العرب ، وقد قالت في ابنها الربيع : لا تُعَد مآثره ، ولا تخشى في الجهل بوادره . والربيع وإخوته العبسيون يُقال لهم «الكَمَلَة» ، **والربيع شاعر جاهلي** كان نديماً للنعمان بن المنذر وله شعر قليل ، أكثره في الفخر وفي الحرب .

بعد أن علم الربيع بمقتل **مالك بن زهير** ــ قتله «حذيفة» بابنه «ندبة» ــ وكان الربيع مجاوراً لحذيفة ، تحلل من جوار حذيفة وجمع بني عبس ، وحارب بني فزارة قوم حذيفة ، حرباً طويلة انتقاماً لمالك ، وفيه يقول :

إني أرقت فلم أُغَمِّض حار
من سَيِّئ النَّبأ الجليل الساري
من مثله تُمْسي النساء حواسراً
وتَقوم معولة مع الأسحار
أفبعد مقتل مالك بن زهير
ترجو النساء عواقب الأطهار



زيد الخيل :

كان زيد الخيل **«أبو مكنف»** فارساً مغواراً مظفراً شجاعاً بعيد الصوت في الجاهلية وأدرك الإسلام ، ولما استقبل **رسولُ الله صلى الله عليه وسلم** قال زيد : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله . قال : «ومن أنت ؟» قال : أنا **زيد الخيل ابن مهلهل** ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«بل أنت زيد الخير** ، الحمد لله الذي جاء بك من سهلك وجبلك وأرقَّ قلبك على الإسلام ، يا زيد ، ما وُصف لي رجل قط فرأيته إلا كان دون ما وُصف به إلا أنت ، فإنك فوق ما قيل فيك ، إن فيك لخصلتين يحبها الله» ، قال زيد : وما هما يا رسول الله ؟ قال : «الأناة والحِلم» ، فقال زيد : الحمد لله الذي جعلني على ما يحب الله ورسوله . وهو القائل في يوم محُجَّر :

بني عامر هل تعرفون إذا غدا
أبو مكنف قد شَدَّ عقد الدوائر
بجيش تضل البلق في حجراته
ترى الأكم فيه سُجَّداً للحوافر
وجَمْع كمثل الليل مرتجز الوغى
كثير تواليه سريع البوادر



السُلَمي «مجاشع بن مسعود» :

أسلم مجاشع قبل فتح مكَّة وهاجر إلى المدينة ، وكانت له صحبة ورواية وشرف الجهاد تحت لواء **المصطفى صلوات الله عليه**

وسلامه . كان فارساً قائداً فاتحاً شاعراً ، وكان جهاده في العراق مشرّفاً إلى درجة أن **عمر بن الخطاب** أسند إليه مهمة فتح لواء أردشير خُرَّه ، وهي مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخاً ، وفتح سابور ، وهي كورة واسعة مدينتها سابور . نزل مجاشع البصرة في **بني سليم** ، وقد استخلفه **عتبة بن غزوان** ، وكذا **المغيرة بن شعبة** من بعد عتبة ، **ثم استعمله عبد الله بن عامر** على كرمان التي أعاد فتحها في خلافة **عثمان بن عفان** ، وأخيراً عاد إلى البصرة واستقر بها .

قال في فتح تَوَّج وهي مدينة فارسية قريبة من كازرون :

ونحن ولينا مرة بعد مرة
بتوَّج أبناء الملوك الأكابر
لقينا جيوش الماهيان بسُحْرة
على ساعة تلوى بأهل الحظائر
فما فتئت جيلي تكر عليهم
ويلحق منها لاحق غير حائر



شهل بن شيبان « الفِنْد الزماني » :

غلب عليه لقب « **الفند** » وكان **أحد فرسان ربيعة** المشهورين المعدودين ، وقد شهد **حرب بكر وتغلب** ، وقد قارب المائة ، فأبلى بلاءً حسناً ، وكان مشهده في **يوم التحالق** . وحين وقعت **بنو شيبان في بني تغلب** أرسل الشيبانيون إلى **بني حنيفة** يستنجدونهم ، فوجهوا إليهم بالفند في سبعين رجلاً ، وأرسلوا إليهم : إنا قد بعثنا إليكم ألف رجل .

وهو القائل :

صفحنا عن بني ذُهْل وقلنا القوم إخوانُ
عسى الأيام أن يَرْجِعْنَ قوماً كالذي كانوا
فلما صرح الشَّرُّ فأمسى وهو عريانُ
ولم يبق سوى العدوان دِنَّاهم كما دانوا
مشينا مشية الليث غدا والليث غضبانُ



ابن الصَّمْصامَة :

شاعر بدوي مقل ، **وكان فارساً جواداً جميل الوجه** ، وكان يهوى **جَنُوب بنت محصن الجعدية** ، أخت **الأصبع بن محصن** من فرسان العرب ، وشجعانهم وأهل النجدة والبأس منهم ، ونمي إليه خبر مالك ، فآلى يميناً جزماً لئن بلغه أنه عرض عليه ليقتلنه ، وإن ذكرها في شعر ليأسرنه ، ولا يطلقه إلا بعد أن يجز ناصيته في نادي قومه . فبلغ ذلك مالك بن الصمصامة فقال :

أحبُّ هبوط الواديين ، وإنني
لمشتهر بالواديين غريب
أحقاً عباد الله أن لست وارداً
ولا صادراً إلا عليَّ رقيب
ولا زائراً فرداً ولا في جماعة
من الناس إلا قيل أنت مريب
وهل من ريبة في أن تحن نجيبة
إلى إلفها أو أن يحنُّ نجيب



ضِرار بن الخطاب الفهري :

كان أبوه الخطاب بن مرداس رئيس **بني فهر** في زمانه ، قاتل ضِرارُ المسلمين أشد القتال **يوم بدر ، ويوم الخندق** ، وأسلم يوم **فتح مكة** فحسن إسلامه ، وشهد مع **خالد بن الوليد** كافة المعارك في طريقه من العراق إلى أرض الشام ، كما شهد معه **اليرموك** ، وشهد مع **أبي عبيدة ابن الجراح** فتح الشام ، ولما رجع **هاشم بن عتبة الزهري** منتصراً من « **جلولاء** » بلغ **سعد بن أبي وقاص** أن الهرمزان قد جمع جَمْعاً في « ماسبذان » ، فكتب بذلك إلى **عمر بن الخطاب** فأمره أن يوجه إليهم **ضِرارَ بن الخطاب** ، فهاجمهم ضِرارُ وأسر قائدهم وفرقهم في الجبال المحيطة بالمنطقة ، واستولى على بلدهم .

وكان من شعراء قريش المطبوعين المجوّدين ، قال يُخاطب **النبي صلى الله عليه وسلم** بعد الفتح :

يا نبي الهدى إليك لجا
حي قريش وأنت خير لجاء

وقال في أسر قائد الفُرس في معركة (ماسبذان) :

ويوم حبسنا قوم (آذين) جنده
وقطراته عند اختلاف العوامل
وزُرْدَ وأذيناً وفهراً وجمْعُهم
غداة الوغى بالمرهفات الصواقل
فجاءوا إلينا بعد غب لقائنا
بماسبذان بعد تلك الزلازل



طريف العنبري :

هو طريف بن تميم بن العنبر ، **أبو سليط** ، وكان يسمى « **مُلْقي القناع** » **لأنه أول من ألق القناع بعكاظ** ، فكان لا يبالي أن تثبت عَيْنَه جميعُ فرسان العرب ، وكانوا يكرهون أن يُعْرفوا فيقصدهم فرسان

عدوهم ، أما طريف فكان ينزع قناعه ويقول : « من شاء فليصلبني » .
وكان فارس عمرو بن تميم في الجاهلية ، وصفه رجل من قومه للمنصور ، قال : « كان أثقل العرب على عدوه وطأة وأدركهم بثأره وأيمنهم نقيبة ، وأعساهم قناةً لمن رام هضمه ، وأقراهم لضيفه وأحوطهم من وراء جاره » ، قتله حميصة الشيباني بشراحيل الشيباني من بني ربيعة ، وحين ورد حميصة عكاظاً أخذ يتأمل طريفاً ليعرفه ، قال طريف :

أوكلما وردتْ عكاظَ قبيلة
بعثوا إليَّ رسولهم يتوسَّم
فتوسموني ، إنني أنا ذاكمُ
شاكٍ سلاحي في الحوادث مُعْلِم



ابن ظالم المُرِّيُّ :

هو الحارث بن ظالم المري ، كان **من أشراف بني مُرَّة وسادتهم** ، وكان أفتك الناس وأشجعهم ، وبه ضرب المثل : « **أفتك من الحارث بن ظالم** » ، وقد فتك **بخالد بن جعفر** ، وهو نازل على **النعمان بن المنذر** ، وفتك أيضاً بابن النعمان بن المنذر ، ولما أدركه النعمان أباح دمه لعمر بن الخِمْس ، فقتله بخالد بن جعفر ، وقال ابن ظالم إثر فتكه بخالد بن جعفر :

وإني يوم غمرة غير فخر
تركت النهب والأسرى الرِّغابا
فلست بشاتم ، أبداً ، قريشاً
مصيباً ، رغم ذلك ، من أصابا
فما قومي بثعلبة بن سعد
ولا بفزارة الشُّعرى رقابا
وقومي إن سألت بنو لؤي
بمكَّة علموا الناس الضِّرابا



عمرو بن معديكرب :

كنيته أبو ثور ، وهو **فارس اليمن** ، مقدم على **زيد الخير** في الشدة والبأس ، قيل إنه أدرك خلافة عثمان ، حدث أن رماه رجل بسهم في كتفه ، وكان عليه درع حصينة فلم ينفذ ، وحمل **عمرو بن معديكرب** عليه فعانقه فسقط إلى الأرض فقتله وسلبه ، ورجع بسلبه قائلاً :

أنا أبو ثور وسيفي ذو النون
أضربهم ضربَ غلام مجنون
يا لزبيد إنهم يموتون

وكان الفارس عليه سوار ذهب ومِنْطقة ذهب وقباء ديباج . وكتب **عمر بن الخطاب** إلى **سعد بن أبي وقاص** : إني قد مددتك بألفي رجل ، **عمرو بن معديكرب وطليحة بن خويلد الأسدي** ، فشاورهما في الحرب ولا توهما شيئاً .



ابن غَيْلان الثقفي :

« عامر » **أبوه غيلان بن سلمة** ، وأسلم عامر قبل أبيه ، وهاجر ومات في الشام في **طاعون عَمْواس** وأبوه حي ، وعامر فارس ثقيف غير مدافع ، وحدث خازن غيلان سرق ماله ، وأوهمه أن ابنه عامراً هو السارق ، فصعق عامرٌ من اتهام ابيه له ، وصمم على ألا يعتذر ولا يدافع عن نفسه ، حتى ظهرت الحقيقة فقال :

حلفت له بما يقول محمد
وبالله إن الله ليس بغافل
برئت من المال الذي تدعونه
أبرئْ نفسي أن أُلطَّ بباطل
ولو غير شيخي من مَعَدٍّ يقوله
تيممته بالسيف غير مواكل

وفي رثاء عامر قال غيلان :

عيني تجود بدمعها الهتان
سحاً وتبكي فارس الفرسان
يا عَامُ مَن للخيل لما أجحمت
عن شدة مرهوبة وطعان



أبو فراس الحَمداني :

الحارث بن أبي العلاء سعيد الحمداني ، **ابن عم ناصر الدولة وسيف الدولة ابني حَمْدان** ، فارس شاعر ، وكان سيف الدولة يعجب بمحاسن أبي فراس ، ويميزه بالإكرام على سائر قومه ، ويستصحبه في غزواته ويستخلصه في أعماله ، وقد أسرته الروم مرتين ، وله في الأسر أشعار كثيرة مثبتة في ديوانه .

عزم سيف الدولة على غزو واستخلاف أبي فراس على الشام فكتب يستعطفه أن يغزو معه ، قال :

لا تشغلن بأمر الشام تحرسه
إن الشآم على من حَلَّه حرم
وإن للثغر سوراً من مهابته
صخوره من أعادي أهله القمم

لا يحرمنّيَ سيف الدين صحبته
فهي الحياة التي تحيا بها النسم
وما اعترضت عليه في أوامره
لكن سألت ومن عاداته نعم



قيسُ المنْقَري :

قيس بن عاصم ، ويكنى أبا علي ، **شاعر فارس شجاع** ، حليم كثير الغارات ، مظفر في غزواته ، **أدرك الجاهلية والإسلام** فَسَادَ فيهما ، وهو أحد من وأد بناته في الجاهلية ، **أسلم وحسن إسلامه** ، أتى **النبي صلى الله عليه وسلم** ، وله صحبة ورواية . وذكر أن قيساً لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هذا سيد أهل الوبر » .

تزوج قيس المنقري **منفوسة بنت زيد الفوارس الضبي** ، وأتته في الليلة الثانية من بنائه بها ، بطعام ، فقال : وأين أكيلي . فلم تعلم ما يريد ، فأنشأ يقول :

أيابنة عبد الله وابنة مالك
ويابنة ذي البردين والفرس الورد
إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له
أكيلاً فإني لست آكله وحدي
أخاً طارقاً أو جار بيت فإنني
أخاف مذمات الأحاديث من بعدي

فأرسلت جارية لها يقال لها : مليحة ، فطلبت له أكيلاً .



كعب الأشقري :

كعب بن معدان الأشقري ، **شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان** ، من أصحاب **المهلَّب** ، أوفده المهلَّب إلى **الحجاج** ، وأوفده الحجاج إلى **عبد الملك بن مروان** .

وحدث أن أوفده المهلَّب إلى الحجاج يخبره وقعة كانت له مع الأزارقة ، فلما قدم عليه أنشده قصيدته التي يقول فيها :

خَبَّوا كمينهم بالسفح إذ نزلوا
بكازرون فما عزوا ولا نصروا
كانت كتائبنا تردى مسومة
حول المهلَّب حتى نوَّر القمرُ
هناك وَلَّوْا خزايا بعدما هزموا
وحال دونهم الأنهار والجُدُرُ
تأبى علينا حزازات النفوس فما
نُبقي عليهم ولا يبقون إن قدروا

فضحك الحجاج وقال : إنك لمنصف يا كعب . أخطيب أنت أم شاعر ، فقال : شاعر خطيب ، قال الحجاج : كيف كانت حالكم مع عدوكم ؟ قال : كُنَّا إذا لقيناهم بعَفْوِنا وعفوهم أيسنا منهم ، وإذا لقيناهم بجهدنا وجهدهم طمعنا فيهم .



لقيط بن زرارة :

لقيط بن زرارة التميمي ، **شاعر جاهلي ، فارس من أشرف رجال قومه ، وهو رئيس بني تميم** ويُقال له **(أبو نهشل) و (أبو دختنوس)** ابنته الوحيدة . خطب لقيط ابنة قيس بن خالد ــ ذي الجَدَّين ــ الشيباني ، فقال له قيس : ومن أنت ؟ . . قال : لقيط بن زرارة . قال : وما حملك أن تخطب إليَّ علانية ؟ . . قال : لأني عرفت أني إن عالنتك لم أفضحك ، وإن ساررتك لم أخدعك . فقال قيس : كفء كريم ، لا تبيت ــ والله ــ عندي عزباً ولا غريباً ، وزوجه ابنته ودفع المهر عنه ، وقتل لقيط في يوم شعب جبلة ، قال يفتخر بقومه :

إني من القوم الذين عرفتهم
إذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غار كوكب
بدا كوكب تأوي إليه كواكبه



أبو محجن الثقفي :

شاعر فارس شجاع ، معدود من ذوي البأس والنجدة ، هَوي امرأة من الأنصار يقال لها **شموس** ، واحتال حتى رآها فقال :

ولقد نظرت إلى الشُّموس ودونها
حَرَج من الرحمن غير قليل

فنفاه **عمر بن الخطاب** ، حضوضى ، وأقبل إلى **سعد بن أبي وقاص** وهو يقاتل الفرس **يوم القادسية** ، فحبسه سعد ، واحتدم القتال ، فسأل أبو محجن امرأة سعد أن تعطيه فرساً وتحلَّ قيده ليقاتل المشركين ، فإن استشهد فلا تبعة عليه وإن سلم عاد حتى يضع رجله في القيد ، فأعطته الفرس ، وأخلت سبيله ، وعاهدها على الوفاء ، فقاتل فأبلى بلاءً حسناً إلى الليل ثم عاد إلى محبسه وهو القائل :

كفى حزناً أن ترتدي الخيل بالقنا
وأُترَكَ مشدوداً عليَّ وثاقيا

إذا قمت عنّاني الحديد وأغلقت
مصاريع من دوني تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة
فقد تركوني واحداً لا أخاً ليا

نعيم بن مُقَرِّن المُزني :

الصحابي القائد الفاتح الفارس الشاعر **جاهد تحت لواء الرسول صلى الله عليه وسلم** ، وحارب أهل الردة ، وشهد معارك العراق ، **وفتح همذان والري ودنباوند** ، وهو جبل من نواحي الري ، وكان تحت لواء أخيه النعمان في **نهاوند** ، واستشهد أخوه ، فتناول «نعيم» الراية من يد أخيه قبل أن تقع ، وسجّاه بثوب وأتى حذيفة بن اليمان بالراية فدفعها إليه ، وكتم خبر استشهاد أخيه حتى لا يؤثر على معنويات رجاله ، وانهزم الفُرس ، فدفع «نعيم» **بالقعقاع ابن عمرو** وراء قائدهم **(الفيرزان)** الذي حاول النجاة بنفسه ، فأدركه في ضواحي **(همذان)** وقتله ، فكان ذلك أروع عزاء لقلب نعيم عن استشهاد أخيه . قال في **فتح واج رود** (بين همذان وقزوين) :

فلما أتاني أن (موتا) ورهطه
بني باسل جروا جنود الأعاجم
نهضت إليهم بالجنود مسامياً
لأمنع منهم ذمتي بالقواصم
فجئنا إليهم بالحديد كأننا
جبال تراءى من فروع القلاسم



هلال المازني :

هلال بن الأسعر بن خالد ، **من شعراء الدولة الأموية** ، كان رجلاً شديداً ، عظيم الخَلْق ، فارساً ، شجاعاً ، عظيم الفناء في الحرب ، حدث أنَّ هلالا كان في إبل له ، وذلك عند الظهيرة ، في يوم شديد الحر ، وقد عمد إلى عصاه فطرح عليها كساءه ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس ، وبينما هو كذلك إذ مَرَّ به تميميان وكان بهما عطش ، وطلبا منه شراباً ، فقال لهما : عليكما الناقة التي صفتها كذا في موضع كذا فانتحياها ، فظناه عبداً ولم يعجبها أن يكلمها وهو مضطجع ، وأهوى أحدهما عليه ضرباً بالسوط ، فتناول هلال يده واجتذبه ورمى به تحت فخذه ثم ضغطه فاستغاث بصاحبه فاجتذبه الآخر ورمى به تحت فخذه ثم أخذ برقابها فجعل يصك رأسيهما بعضاً ببعض لا يستطيعان أن يمتنعا منه ، فقال أحدهما : كن هلالا ولا نبالي ما صنعت ، فقال لهما : أنا والله هلال .

وقال يرثي **المغيرة بن قنبر** الذي كان يُفْضل عليه :

ألا ليت المغيرة كان حياً
وأفنى قبله الناس الفناء
لِيَبْكِ على المغيرة كل خيل
إذا أفنى عرائكها اللقاء
فقد أودى به كرم وخير
وعود بالفضائل وابتداء



الوليد بن طريف :

كان الوليد بن طريف رأس الخوارج ، وأشدّهم بأساً وصولة ، واشتدت شوكته أيام **الرشيد** ، فوجه إليه **يزيد بن مزيد** ، ويقال : إن يزيد جهد عطشاً حتى رمى بخاتمه في فيه وجعل يلوكه ، ويقول : اللهم إنها ليلة شديدة فاسترها ، ولأصحابه : فداكم أبي وأمي ، إنما هي الخوارج ، ولهم حملة ، فاثبتوا لهم تحت التراث فإذا انقضت حملتهم فاحملوا فإنهم إذا انهزموا لم يرجعوا ، فكان كما قال ، وانهزم الخوارج ، وكان الوليد بن طريف يرجز بين الصفوف :

أنا الوليد بن طريف الشاري
قسورة لا يُصْطَلى بناري
جَوْركم أخرجني من داري

فلما وقع فيهم السيف وأُخذ رأس الوليد صبَّحتهم أخته **ليلى بنت طريف** مستعدة عليها الدرع والجوشن ، فجعلت تحمل على الناس .



يحيى بن طالب :

هو شاعر من أهل اليمامة **من بني حنيفة** ، **من شعراء الدولة العباسية** ، وكان فصيحاً غزلا شاعراً ، فارساً ، وركبه دَيْن في بلده فهرب إلى الرَّي واشتاق إلى مرابع الصبا ، فقال :

ألا هل إلى ريح الخزامى ونظرة
إلى قرقري قبل الممات سبيل
ويا أثلات القاع من بطن توضح
حنيني إلى أفيائكن طويل
ويا أثلات القاع قلبي موكّل
بكن وجدوى غيركن قليل

وغنّى **إسحاق الموصلي** الرشيد في هذه الأبيات فأطربه ، وسأله عن قائل هذا الشعر ، فذكره له وأعلمه أنه حي وأنه هرب من دين عليه ، فأمر الرشيد أن يكتب إلى عامل الري بقضاء دينه عنه ، وإعطائه نفقةً وإنفاذه إليه ، فوصل الكتاب يوم وفاة يحيى بن طالب .

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

ج ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) ، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



السؤال الأول :

نشأ بالكوفة ، درس في البداية علم الكلام ، ثم اشتغل بالفقه لدرجة جعلت الشافعي يقول إن الناس عيال في الفقه عليه ، وقال عنه تلميذه أبو يوسف : ما رأيت فقيهاً أفقه منه ، وهو أول من حاول تنظيم الفقه على أساس القياس .. من تلامذته وأصحابه (أبو يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وزفر بن الهذيل ، والحسن بن زياد) .. وهو أحد الأئمة الأربعة .. ما اسمه ؟

السؤال الثاني :

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :

كتاب الطرديات في القصائد والأشعار ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ خريدة القصر ـ المقتبس في أنباء أهل الأندلس ـ عيون الأخبار .

السؤال الثالث :

اذكر أسماء ثلاثة من الرحالة الأجانب الذين زاروا الجزيرة العربية وكتبوا عنها .

السؤال الرابع :

لماذا سميت «أم درمان» المدينة السودانية بهذا الاسم ؟

السؤال الخامس :

الغدة الصنوبرية The Pineal Gland يتصور العلماء أنها مركز الحاسة السادسة لدى الإنسان .. أين تقع هذه الغدة من جسم الإنسان ؟

الاســم : ------------------------------------	قسيمة مسابقة مجلة الفيصل العدد (٥٠)
المهنة : ------------------------------------	
العنوان : ------------------------------------	

نتائج مسابقة العدد الثالث والأربعين

● فاز **بالجائزة الأولى** وقيمتها (٢٠٠٠) ألفي ريال سعودي الأخ عبد الرحمن بن عبد الله الجماز، معهد شقراء العلمي.

● وفازت **بالجائزة الثانية** وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي الأخت صفاء عبد الله الرفاعي، دمشق – سورية.

● وفاز **بالجائزة الثالثة** وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخ السوزاني التهامي عبد السلام، عمارة A، رقم 38، حي مابيلا، الرباط – المغرب.

وهناك **سبع جوائز** قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من بيروت – لبنان الأخت رهاف أحمد عطواني.

● من تونس، المعهد الفني بمدنين الأخ الشتيوي بن نصر بنور.

● من السودان – الخرطوم الأخت عواطف محمد حمد علي.

● من الأردن – عمان الأخت نسرين يوسف فضل موسى غانم.

● من تونس الأخ العيادي حميدة، نهج المكنين عدد 15، أريانة – تونس.

● من لبنان – بعلبك الأخت سلوى يوسف الرفاعي.

● من مكة المكرمة الأخ هاشم أحمد حسن كيفي، الزاهر، مدرسة الإمام البخاري الابتدائية.

بالإضافة إلى **عشر جوائز** قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتي ريال سعودي فقد فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من لبنان الأخ يوسف محمد إسماعيل شبشول، مفرزة قوى الأمن الداخلي، مطار بيروت الدولي – بيروت.

● من السودان الأخ أحمد الحاج جلال الدين، كلية الآداب، شعبة الترجمة، جامعة الخرطوم – الخرطوم.

● من الظهران الأخ أحمد غالب عبد الله عبيد، جامعة البترول والمعادن، ص ب ٦٩٢٧.

● من سورية الأخ مصطفى عبد السلام حلاق، بلدية حلب، الدائرة الفنية، شعبة المعامل – حلب.

● من مصر الأخ حنفي عيسى عبد الرحمن، ٤ شارع معهد الآثار الشرقية، المنيرة – القاهرة.

● من الكويت الأخ قاسم جبر بكر الشيخ قاسم، وزارة الأشغال العامة، إدارة الزراعة، مراقبة البيطرة.

● من المغرب الأخ بازي عبد الصمد، جميلة ٥، زنقة ٦٧، رقم ٦، قرية الجماعة – الدار البيضاء.

● من الأردن الأخ محمد سليمان سالم الجارحة، مدرسة ذكور النزهة الإعدادية الأولى – عمان.

● من سورية الأخ موسى شعبان مفلح، درعا، قرية كحيل، مدرسة كحيل الابتدائية للذكور.

● من مالي الأخ سعيد توري، وزارة التربية والتعليم، مركز مراقبة اللغة العربية:
Mr. Seydou Toure DNEF (MEN)–(Pla–B. P. 71 Bamako Mali).

أجوبة مسابقة العدد الثالث والأربعين

ج ١ الفرق لغوياً بين: غبط، غمط، وحسد.
غبط غَبْطاً وغِبْطة: عظم في عينه وتمنّى مثل حاله دون أن يريد زوالها عنه. غمط غَمْطاً: احتقره وازدرى به، وغمط النعمة: لم يشكرها والحقّ جحده. حسد حَسَداً وحَسادة على النعمة تمنّى زوالها وتحوّلها عن المحسود.

ج ٢ الديالوج استعمال في الموسيقى للتصويتات الغنائية بين اثنين في محاورة لحنية، وقد يكون اللحن المسموع من كلماتها أو من أحدهما موزوناً بالإيقاع، وقد يكون مطلقاً. واللحن المسموع من شخص واحد يسمى بالمنلوج، وهو على هذا الأساس لحن بسيط من نظم ملحن. ويعرف الأدب الآن «المنلوج الداخلي» أي حديث الشخصية القصصية أو المسرحية بما يتبادر إلى ذهنها وخاطرها.

ج ٣ ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، لأنه تزوج رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما ماتت تزوج أم كلثوم.

ج ٤ الباحث فونك ١٩١٢م، أول من اقترح تسمية المركبات الضرورية لحياة الإنسان والحيوان «بالفيتامينات».

ج ٥ لعبة البولو شديدة الشبه بلعبة الهوكي، وتفترق عنها في أنها تلعب من فوق ظهور الخيل، وفيها يضرب الفارس كرة بيضاء بمضرب خاص، وتقسّم المباراة إلى أشواط، وهي من أسرع اللعبات إذ يندفع اللاعبون بجيادهم اندفاعاً شديداً، وتلعب في الملاعب المكشوفة والمغطاة على السواء، وهي لعبة قديمة عرفت في فارس، ووصلت إلى إنجلترا عن طريق الهند في مستهل القرن التاسع عشر.

ج ٦ أسماء مؤلفي الكتب التالية:
أخبار أبي تمام: لأبي بكر الصولي، التكملة لكتاب الصلة: لابن الأبار، المعجب في تلخيص أخبار المغرب: لعبد الواحد المراكشي.

ج ٧ أسماء زهرة اللوتس:
غيفا بالرومية واليونانية، نيلوفر بالفارسية، وكرنب الماء (القرنبيط) بالسريانية والسنسكريتية، ونيلومبو بالسنغالية، والبشنين بعامية أهل مصر، والخندقوقي بعامية أهل العراق، والتاجر في المغرب.

ج ٨ من أسماء السفن عند العرب:
السفينة – الفلك – البارجة – القرقور – القرواء – الخلية – العدولية – البوص – المدرعات – المعبرة – الهندي – العمائم – الركوة – الرمث.

ج ٩ شاعت قصيدة كعب بن زهير في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وممن عارضوها:
البوصيري، الحملاوي، ابن نباتة المصري، ابن سيد الناس، أبو حيان الأندلسي، أمين الجندي، يوسف النبهاني... إلخ.

ج ١٠ الأبجر – الأدهم – الأغرّ – كلها أفراس لعنترة بن شداد.



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

ALAWI TAHA ALSAFI
Editor-in-Cheif

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 4653026-4653027
TELEX 202600 DRFATH SJ



أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات
الكويت	٦٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٧ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٥٠٠ فلس
سلطنة عمان	٦٠٠ بسة
الأردن	٤٠٠ فلس
ج . ع . اليمنية	٦ ريالات
ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس
مصر	٣٠٠ مليم
السودان	٣٠٠ مليم
المغرب	٥ دراهم
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دنانير
العراق	٤٠٠ فلس
سورية	٥ ليرات
لبنان	٥ ليرات
ليبيا	٨٠٠ درهم



EUROPE - AMERICA - ASIA

Belgium	BF	200
Denmark	DKR	30
Finland	FMK	30
France	FF	15
F.R.G.	DM	10
Greece	DR	100
Italy	L	4000
Netherlands	DFL	10
Norway	NKR	30
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	100
Spain	PTS	150
Sweden	SKR	30
Switzerland	SF	15
United Kingdom	£	2
U.S.A.	$	5

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا
لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعوديا
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 150
Others : S.R.250
PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة ، العمارية ، الرياض